



عندما كُنْتُ جندية

فالييري زيناتي

ترجمة
صلاح النصر اوي

الجزء الأول

ثلاث بنات وسط الصحراء

"نحن ثلاث فاشلات في أرض الفاشلين" تقول "يوليا" وهي تتلفظ كلماتها وترفع حاجبها بتعبير لا يمكن لأحد ان يجادلها فيه. "هذا جحر العالم" تمضي بالقول، "ولا يمكن ان يأتي شيء مميز من جحر العالم هذا."

أنظر الى تلك العينين الزرقاوين اللتين تفخر بهما، خاصة بعد أن ألبستهما عدستين لاصقتين في الماضي كانت ترتدي نظارات بلاستيكية ذات عدسات سميكة، بشعة، كما أن عينيها كانتا تعانيان من انحراف وبعُد نظر واستكمامتزم، وكما كانت تقول عمتي، فإن عينيها كانتا تومضان. لقد تحملت كل ذلك العبء طيلة سنين طفولتها. ولكن منذ ان استبدلت النظارتين بالعدستين الصغيرتين فكأنها كانت تسعى لأن تجعل العالم كله يدفع ثمن الأذلال الذي كانت تشعر به. الآن بدأت تنتقم. أحيانا كل ما تستطيع ان تراه في عينيها هو غضب واحتقار، أو حتى أخس من ذلك. حين تتكلم مع أساتذتها أو مع أحد الأولاد، تكذب، في حين ان عينيها، زرقاوتان وشفافتان، تلبسان قدراً لا يمكن تخمينه من البراءة. أنا أكره تلك العينين الزرقاوتين الكبيرتين. أنا أكره عيني صديقتي المفضلة، كراهية حرباء غاضبة، عاجزة، مثلما أشمنز من الطريقة التي تتكلم بها أحيانا، بغم ممزوز، مليء بالنتانة، وكأنما تحاول القول أنا حرة الآن. "انا لم أعد تلك البنت الصغيرة، اللطيفة."

على أي حال، انها صديقتي، علي الإقرار بذلك، وهي تقر بذلك أيضاً. في المدرسة يصفوننا باننا لا نفترق عن بعضنا، وليس بإمكان أحد ان يصادف احدانا دون ان تكون الأخرى هناك. نحن نجلس جنباً الى جنب، منذ أربع سنين، ونكلم احدانا الأخرى بمعدل ثمان مرات يومياً. عندما لا أكون معها أكون مع "راحيل"، صديقتي المفضلة الأخرى.

كلاهما ولدتا في ما كان يدعى سابقاً الإتحاد السوفيتي. "يوليا" تنحدر من "طاشقند" في "أوزبكستان". هي مغرمة بنطق هذه الأسماء، "طاشقند"، "سمرقند"، كأنها تتعامل مع كنوز تلمع في زاوية كل شارع هناك. أمام الآخرين القادمين من روسيا تشدد دائماً

ان والدها من أصول المانية وان أمها رومانية. وبإمكاني القول انها تشعر بالخجل من أوزبكستان التي يظن كل الآخرين بانها لا بد ان تكون الموضع الذي يقع فيه جحر العالم. شخصياً ليس لدي أية فكرة واضحة عن تشريح جسد الكرة الأرضية.

"راحيل" ولدت في "بيندري"، وهي مدينة صغيرة بالقرب من "كيشينيف" في "مولدافيا". عندمت تلفظ أسم مدينة طفولتها فانها تشدد على الياء، كما ينزلق صوت الراء، مثلما يفعل الناطقون باللغات السلافية، وهي تطيل الياء الأخيرة مصحوبة بابتسامة. بالتأكيد انها ممن يدعون بمرضى الحنين للأوطان.

وُلدتُ في نيس في فرنسا وهو ليس أمراً عادياً بل هو أمر مثير للملاحظة. ذلك ما يجعلني بعيون الجميع مختلفة نوعاً ما عن الأخريات كما يجعلني مثيرة للفضول أو حتى فاتنة للبعض. كل ما علي هو ان أفتح فمي حتى يجتمع الناس من حولي. دائماً ما يبسر ذلك معرفتي بالناس، لكن من الممكن أن يكون الأمر أيضاً مثيراً للضجر، خاصة اذا ما تطلب الأمر ان تقول شيئاً بالفرنسية... بودلير، كاموبير، سوليتيود، اينفان تيريبيل، أي شيء يمكن ان يخطر على بالي. ما يهم بالنسبة لهم هو الأصوات التي تأتي منها خاصة كلمات تحتوي على أصوات أي ، او، آ، دو دا، دينودو، كل الأصوات التي لا تتوفر في لغاتهم، والتي يجدونها مثيرة وغريبة. والفضل يعود اليهم انني اكتشفت ان اللغة هي أولاً وأخيراً نوع من الموسيقى، وانها مجمع للأصوات. وهم يحبون أي شيء يمكن ان أقوله لهم، لأنني لا أستطيع التفكير في ما يمكن ان أقوله لناس لا يفقهون كلمة مما أقول. ذلك يفطر قلبي لأنني بالحقيقة أحب الكلمات، انا مغرمة بها وابدئ احتراماً لها وأحاول ان أسبر أعماقها الغامضة، وان استخدمها بتأن في كلا اللغتين؛ لغتي الأم الفرنسية، واللغة الأجنبية، العبرية.

لكن أي من الآخرين لم يكن ليكثرث بذلك ولم يتوقفوا من القول، "رجاء قللي شيئاً بالفرنسية."

نحن نعيش في "بيرشيبا"، مدينة يسكنها 100,000 من البشر وتقع في صحراء النقب في اسرائيل. من السماء تبدو المدينة شبيهة باطلانطا (عدا بناية السي. أن. أن والملعب الأولمبي)،

مكعبات رمادية تقوم على رمال رمادية. وأي انسان يعتقد ان الصحراء هي مجرد امتداد للرمال الصحراوية البيضاء تتخللها واحات صغيرة هنا وهناك، لابد وان يكون من أولئك الذين كثيراً ما يشاهدون أفلام الكارتون. يا لسعادتهم، انا دائماً ما أغيظهم.

منذ ان وصلت الى هنا قبل خمسة أعوام مع والدي وشقيقتي وانا على اعتقاد ان الصحراء قمينة، ومضجرة، وبلا أية غاية. الشمس فقط والتي تغيب كل مساء بشعلتها الفائقة هي التي تبرر حقيقة ان لا شيء غير ذلك هناك.

لدي صديقتان مفضلتان روسيتان ذوات عيون زرقاوتين وشعر كستنائي لكنهما لا يشبهان بعضهما اطلاقاً. نحن بلغنا، على وشك ان نبلغ الثمانية عشر. خلال شهرين سوف نمر باختبار البكلوريا المرهق.

وخلال ستة أشهر، بالأقل، سنتسبدل قمصاننا ذات الكم القصير بقمصان وسروايل الخاكي. الجيش سيكون بانتظارنا. الجنديات يوليا، راحيل وأنا.

حالياً نضطجع على النجيل وسط حذوة الحصان التي تشكلها العمارات السكنية التي نعيش فيها. العقار يدعى "المنطقة السكنية للمهاجرين الجدد". ليس هناك أية علامة تقول بالإبتعاد عن النجيل كما ان الناس هنا يتكلمون نحو خمسة عشر لغة مختلفة.

نحن نتكلم عن الليلة الماضية ونعيد تكرار ما قلناه مرات عديدة عن الحفلة التي أقمناها في منزل أيلان، وهو واحد من مجموعة صبية أخذوا يصبحون قريبين منا.

"نفس القصة القديمة"؛، تتذمر "يوليا". "بعض الكوكولا، بعض الفودكا والأولاد يرقصون مثل بطات سكارى، البنات يشعرن بالضجر، انت تتعرقين ويذبل مكيالك فتذهبين الى الحمام لتضعي طبقة جديدة، ولكن لمن، لمن؟"

"راحيل" وانا نأخذ القرار الصح بان نبقي صامتتين بعد ان شعرنا بذلك الملل. نحن معتادتان على تأوهات يوليا بعد دقيقتين ستقوم واقفة وتمزقنا اربا بجملته حادة واحدة، نحن وجحر الجحيم هذا، او انها ستغير الموضوع الى آخر جديد تماماً... مثلاً.

وهي بطبيعة الحال ما تفعله الآن.

"على أي حال. الجميع كانوا ينظرون إليّ طيلة الليلة. انا أحياناً أتساءل لماذا؟.. بالتأكيد ليس لأنني أرثدي ثوباً أنيقاً مثلك يا فال." أسرق نظرة سريعة إلى "راحيل" التي لا تحاول ان تخفي ابتسامة واثقة.

"نعم" توافق "راحيل": "جثوا جميعاً تحت قدميك، متيمين، سائلين الشفقة، مستسلمين، مثيرين للسخرية... انه وضع تعجز الكلمات عن التعبير عنه. من اخترت في النهاية؟

نظرة غاضبة من "يوليا".

شعور من الإشمزاز يهبط في داخلي.

اذا ما استمر الأمر على ما هو عليه فسيكون هناك شجار، صراخ، ثم تبادل للشتم. يزلزلي الغضب. كلما يرفع الآخرون أصواتهم يشحب لوني ثم يحمر وأبدأ بالإرتعاش. اقف هناك صامتة، وتبدأ عيناى بالحكة، وأشعر كم انا غبية، وبلا جدوى. وسرعان ما أغير الموضوع. عن امتحان البكلوريا، مثلاً.

هل انهيتم ملاحظاتكم حول الجريمة والعقاب؟

"نعم"، تجيب "راحيل"، "لكن انا لذي مشكلة. ففي الروسية انه حول "الجريمة" اما بالعبرية فانه مترجم "اثم" وهو ليس كذلك. راسكولينيكوف يرتكب جريمة، نقطة.

"لكن الجريمة اثم"، أجيب انا. "لابد وان ديستوفيسكي رآها كذلك فلقد كان مؤمناً شديداً بالإيمان."

"ماذا عن "الغريب"؟ تقاطع يوليا، "هل انتهيت منه؟"

"ليس لذي مشكلة فقد قرأته ثلاثة مرات. ولقد انهيت كل ملاحظاتي حول كامو، الجزائر، اللامعقول، عقوبة الإعدام... دعونا نأمل ان نأتي الأسئلة عن ذلك."

"لذلك، ليس من الغريب ان تكوني مغرمة به، انه فرنسي."

"ثم ماذا؟ لا شأن لذلك به. هل انت مجنونة بديستوفيسكي فقط لأنه روسي؟"

"كلا"، تجيب "لوليا".

"نعم"، تعارضها "راحيل".

"هل ستعيريني ملاحظاتك عن كاميل؟" تسألني "يوليا" دون

تكلف.

"حاولي ان تلفظي اسمه بشكل صحيح ولو لمرة واحدة. كاميل
 أسم امرأة، أسمه كامو. كام. او. اما بالنسبة للملاحظات فلا جدوى
 لك فيها فقد كتبتها بالفرنسية."

انا متأكدة انها امعنت التفكير في تردي من الطريقة التي
 ادارت بها وجهها بشكل حاد. ولكن ظلت هناك ابتسامة صغيرة
 ارتسمت على شفثيها وهي تطوي بذقنها الى امام.
 "يا بنات انظرن من الآتي."

نجول بنظراتنا نحو الجهة التي نظرت اليها. انها ألينا، أو
 ورق الألوان، كما نسيمها، تمضي نحونا. هي من ضمن الأشياء
 الخمسة التي تدور حولها أحاديثنا المفضلة الى جانب الأولاد
 والمعلمين ومواضيع امتحانات البكلوريا. بإمكاننا ان نمضي
 بالحديث عن ملابسها لساعات طويلة. عادة ما ترتكب خطأين
 واللذين نعتبرهما لا يغتفران، فهي ترتدي ملابس بلون الأحمر الى
 جانب الزهري، اما أحمر الشفاه التي تضعه فانه يوحد
 اسنانها. وكثيراً ما نضحك عليها بشكل صريح. أدرك ان ذلك أمر
 شنيع ولكننا نحتاج ألينا. انها طراز من البنات بإمكان أية بنت ان
 تقف الى جنبها لكي تشعر بانها مشرقة وفاتنة وأنيقة. على أي
 حال لديها دائماً اهتمام في احاديثنا دون دعوة. تذكرني الطريقة
 التي تمد بها اذنيها لتصغي وتتعبيراتها المثيرة للشكوك بعانس
 عجوز معقوفة الأنف كانت تدير ملجناً قبل الحرب، وبطبيعة الحال
 لم يتسن لي أن أقابل احداهن ابداء، ولكن الخيال هو احدي مميزات
 البشر. البنت يمكن ان تكون جاسوسة ممتازة.

"هل سمعتم آخر الأخبار؟"

"لا، نقول جميعنا في نعمة واحدة."

تلك هي حقيقة خالدة. ليس هناك أبدا احد سمع آخر الأخبار. ما
 عدا طبعا من يحاول اعلانها بشئ من الانتصار.

"البرتقالي هة لون الصيف. هل تصدقون ذلك؟"

"هممممم."

"لا أصدق."

"لا يمكن ان يكون ذلك."

لسبب ما قررنا يوماً ما ان اللون البرتقالي لا يليق بنا. انه يناسب فقط البنات اللاتي لا مستقبل لهن. ألينا تعرف ذلك وهي تستمتع بان تغيض مجموعتنا الصغيرة.

"اسمعوا"، اتهد، "انا لا أكثرث كثيراً أو قليلاً بالبرتقالي. تعرفون اني ساكون غارقة بالخاكي قبلكم بكثير." يهبط صمت مهيب.

"على أي حال، انا مغادرة." أقول بينما أنط من مكاني. "لدي عمل لأنجزه."

أمشي فوق النجيل بخطوات سريعة، أحاول قدر الإمكان ان أبدو مثل "فايه دانوي" في فلم "بوني وكلايد". لا أنظر الى الخلف ولكني أعلم ان البنات يراقبوني. اذا كان شئى وحيد انا متيقنة منه فهو انهم يحسدون ساقي. ذلك شئء لا يجعل الإنسان محبطاً في هذا العالم.

تنتهي المحاضرات في المدرسة في الساعة الثانية. ليس هناك مطعم أو وقت مخصص للغداء. نحن ندرس على امتداد فترة ممتدة ثم نكون أحراراً بعد ذلك لباقي ساعات اليوم لنذاكر أو نمارس الرياضة أو نشاهد التلفزيون. اما انا فاني اشتغل في صيدلية كبيرة، واحدة من سلسلة صيدليات، حيث أعمل تحت مسمى متبجح وهو "منسقة عرض." وبالاساس فان ذلك يعني ان علي ان أمضي بين ممرات الصيدلية عرضاً وطولاً منهمة في ترتيب المنتجات على الرفوف كي تظل دائماً منظمة ومملونة بكل انواع الشامبو، ومزيلات الروائح، وفوط الصحة. والواضح ان الهدف من ذلك هو جعل الزبون يكسر هذا الترتيب المنظم ومن ثم يقوم بشراء البضاعة. بين فترة وأخرى يتم نقلي الى قسم العطور للقيام بعملية تغليف المبيعات التي تقدم كهدايا حيث أستمتع بإختراع أشكال مختلفة من الأغلفة بطويات معقدة ثلاثية أو خماسية مع حافات ثنائية أو رباعية. هم يدفعون لي لأنني امضي وقتاً أعمل خلاله شيئاً فيه بعض الجمال في حين ان شخصاً ما سيقوم بازالته بحركة سريعة فقط.

عندما، أطلعني "رافي"، رئيسي في العمل، على فلسفة محلات "أكسترفارم" بعد ان وظيفني قال لي خلال عشرين دقيقة ما

خلاصته ان الزبون هو ملك، ما يريده هي أوامر، نحن خدم بين يديه وعندما يدفعوننا الى الانهيار العصبي حين يترددون بين شراء مسحوق غسيل، بي أو بدون منع للملابس (مرعوبين من ان زوجاتهم قد يقلبن الدنيا اذا لم يستجيبوا لطلباتهن) فان علينا ان نطبع ابتسامة حلوة وودودة على شفاهنا وان نساعدهم في اتخاذ القرار خلال تلك اللحظات الحاسمة.

وبعد ان أعطاني "رافي" مثالين أو ثلاثة عن حالات من هذه يمكن ان اواجهها في عملي الجديد الرائع ذي المستقبل الواعد أعطاني عقد عمل "أكسترفارم" والذي يعيد التذكير بان على العمال ان يظهروا (تواضعاً) أمام الزبائن. تعلمت كل ذلك سريعاً عن ظهر قلب ليس ايماناً أو خضوعاً بل لأنها كانت معلقة على جدران المراحيض وغرف تبديل الملابس حيث أقضي وقتاً لا بأس به كل يوم. بعض منها:

لا تقل: هذا ليس فرع تخصصي، اطلب من (سين) في فرع (صاد)، بل قل: اتبعني سأخذك الى شخص على اطلاع بهذا الفرع.
لا تقل: ليس لدينا مخزوننا، ولكن قل: ان هذا المنتج مرغوب جداً ونحن بانتظار الإرسالية الجديدة في أي وقت. اذا ما تركت لي عنوانا فاني سأكون سعيداً لكي ابلغك متى ما وصلت.
لا تقل: وداعاً بل قل شكراً لكونك زبون دائم، أمل ان نراك قريباً."

ومن الواضح ان الوصايا السبع الأخيرة هي على هذا المنوال. في البداية لم يكن باستطاعتي التوقف عن العض على شفتي حين أرى تعابير الحبور وهي ترتسم على وجوه العجائز من الرجال والنساء من بولندا أو المغرب، غير قادرة على الكلام لرد المجاملة، ولكني تعودت على ذلك بمرور الوقت. كنت أضع نفسي مثلما توضع الطائرة على جهاز الطيار الآلي واذا ما نسيت تلك الطبيعة العلائقية لعملي فان ساعتني سرعان ما تذكرني بذلك. بإمكانك ان ترى ان الفقرة الأخيرة من العقد تنص على ما يلي: ضع ساعتك على رسغك الأيمن وليس الأيسر حتى تتذكر دائما

انك عامل إستثنائي في مؤسسة إستثنائية، وفي خدمة زبون إستثنائي.

وإذا ما سألتني فان اختيار الساعة كان ذكياً من قبل مدراء "أكسترفارم" لانهم يدركون انها من الأشياء التي تساعد على التذكير لأن النظر الى الساعة هي من أكثر العادات شيوعاً بين العاملين. لكن العقد لا ينص فيما اذا كان على المؤسسة ان تشتري ساعات للعاملين الذين لا يمتلكونها.

دعوني أقول كذلك باننا أقل أجوراً مما ينبغي. فالدفع هو على أساس اضافة ساعات العمل على 120 ساعة أساسية شهرياً بعد استقطاع التأمين الاجتماعي ومساهمتي لصندوق التقاعد (على الرغم من ان لدي مشكلة في تقييم فائدة تلك الأخيرة). ولكن ان تكون عاملاً متميزاً في مؤسسة متميزة هو شيء جيد بحد ذاته، فليس بإمكانك ان تطالب بالمزيد من المرتبات فوق كل ذلك.

عندمت أفكر بذلك فاني أقتنع بانني في فترة لاحقة من حياتي سأكون نقابية عمالية، أو ربما ثورية. وفي اليوم الذي سأكون فيه، فانهم سيضيفون صفرين الى كل صكوك الدفع، او ربما لن يكون هناك صكوك أساساً وسوف لن يكون المال ذلك الشيء الغريب الذي من أجله يمكن ان أكون مستعدة من أجله للعب دور البهلوان (ظاهرياً، مع بعض الشطارة) بين تلك الممرات التي تفوح منها روائح الصابون ومساحيق الغسيل والعطور الباهظة الثمن. في اليوم الذي سأكون فيه لن يشعر أحداً بالمهانة لمجرد انه فقير ولن يكون هناك مؤسسة تدار كدكتاتورية صغيرة.

انني أحلم.

أعرف ذلك ولكن ما الحيلة، ذلك حالي. في لحظة من الشعور بالزهو المفرط التي تمر علي (أحياناً يراودني ذلك) كتبت مرة: لست على قناعة فيما اذا كنت أحياء، ولكنني أعرف اني أحلم.

(حلم رقم 1. سلسلة من الأفكار، الصور، الانفعالات تمر خلال عقل الشخص وهو نائم. 2. تصورات غير واقعية او خادعة.)

في قاموسي الشخصي كنت سأضيف: نقاشات لا نهاية لها مع صديقاتي، توقعات حميمية عن المستقبل، صياغة أفكار حول الحياة الحقيقية التي تنتظرنا هناك. كل ذلك يأتي مع قرارات مؤلمة

بشأن المساومة: مالذي سنفعله بعد الجيش؟ ستة أشهر أو عام في سفر للخارج، الى أمريكا اللاتينية، أو الهند، مثل الكثيرين من الأشخاص، لكي يتخلصوا مما علق في رؤسهم؟ أم الدراسة أولاً ومن ثم الرحلة الكبيرة بعد ذلك؟ نعم ولكن اذا ما صادفنا رجلاً، الرجل المثالي بينما نحن نجلس لامتحان البكلوريا، فهل سنقول وداعاً للأبد لرحلة الحياة تلك، للحرية المشافية التي نحلم بها، في مكان بعيد ما في قارة لا يتوجد فيها ما يذكرنا بالأشياء التي نعرفها؟ ومالذي سندرسه؟ العلاقات الدولية؟ التاريخ؟ دراسات الإتصال؟ لكي نصبح ماذا؟ دبلوماسين؟ صحفيين؟ موظفي علاقات عامة؟ ما هي الحياة التي سنعيشها؟ المستقبل يبدو غامضاً، وغير واضح المعالم، اما نحن فنريده ان يكون مختلفاً تماماً عما نعيشه الآن. آه، لو كانت هناك عصا سحرية لكي تأتي به مدهشا وجميلا ولكي تجعل كل العالم في غيرة. المستقبل بالنسبة لراحيل، ولليا ولي، ويا للغرابية، هو اشبه بكلمة انتقام.

تأتيني كل تلك الافكار وانا أقود دراجتي نحو "أكسترفارم". أفكر بأصدقائي الذين هم مختلفون جداً، لكنهم بالنسبة لي على نفس الدرجة من الإهتمام. أفكر بانني فعلاً أستحق الإجازة في إيلات والبحر الأحمر والتي نخطط ان نقوم بها بعد امتحان البكلوريا. (عندما تكون يداي ملطختان بالسخام الأسود نهاية هذا اليوم، فذلك يعني اني قد حصلت على ما يعادل نصف إيجار ليلة واحدة في مركز استضافة الشباب وان علي الانتظار ليوم غد كي احصل على النص الثاني. أفكر في ان فترة خدمتنا في الجيش ستكون جنوح عابر، فقرة اضافية في حياتنا، لا ندري ما الذي سيكون فيها. أفكر بانني سأمر بمشاكل كثيرة لكي اتمكن من التفكير، دائماً، كما أفعل الآن، في دوامة كبيرة، لانهاية، أفكر دائماً بالغد، لكي أكون مطمئنة بانني لا أفكر بشأن حقيقة ان جين-ديفيد ذهب الى العيش في اورشليم قبل أسبوع ولم يتصل بي منذ ذلك الحين.

والآن إلى البكالوريا

"فاليري ي ي ي!"

سنة أيام بالاسبوع تصرخ "يوليا" بأسمي من تحت شبك
غرفتي وهي في طريقها الى المدرسة.
"انا نازلة، حالاً."

تلك كذبة صغيرة. حالاً تعني خمسة دقائق على أقل
تقدير. حوالي نصف محتويات خزانة ملابس منثورة على السرير
وانا لم ارتد ملابس بعد. ما الذي يجب الا ارتديه؟ ماذا اختار؟ ربما
الأخضر. مرة قال لي احدهم انه يجلب الحظ السعيد. ولكني لا أملك
الا جاكيتاً أخضراً واحداً وهو متسخ الآن. مالذي ترتديه "يوليا"،
هذه المرة؟ ليس بإمكانني رؤيتها جيداً. انه بنطلون جينز وقميص
أزرق، ربما بنطلون أبيض وقميص بنفسجي. أمضي في الغرفة
يميناً وشمالاً، ألقب الملابس دون ان ألقى بالحقيقة نظرة عليها.
لا قرار. رعب.

انه يوم امتحانات البكالوريا الأول اليوم. التاريخ في الصباح
ومن ثم الدراسات التوراتية بعد الظهر. وبصراحة فاني لا أفكر
فيهما كثيراً.

انا لا أعرف ما الذي ارتديه.

بسرعة ألتقط تنورة بيضاء من العلاقة بيد، بينما تعبت يدي
الأخرى في ركاب القمصان لكي تلتقط قميصاً أسوداً. أبيض
وأسود. لونان متطرفان. الكل، او لا شيء. مرة قال لي "جيدى"
"كوني الأفضل او الأسوء، ولكن لا تكوني وسطاً أبداً". "جيدى"
هو مدرس التاريخ ونصف التلميذات وقعن، أو لا يزلن، يقعن في
غرامه (النصف الثاني قرروا عدم بحث الأمر، بل اختاروا علاقات
غرامية حقيقية). أسود أو أبيض اذا. بالإضافة الى أنهما يعبران
عن فلسفة معينة فانهما لونان لا ينمان معا عن أية أخطاء في
الذوق.

جهاز الانتركم يثقب طبقتي أذني. "يوليا" غاضبة وانا لا ألومها
فالساعة الآن هي الثامنة الا ربعاً. أمر من أمام أمي التي يعلو
وجهها (التعجب).

"لم تأكلي شيئاً."

"لا تقلقي، لدي الكثير من المقرمشات في حقيبتني."

"هل ستأتين على الغداء فسأعمل بعضاً من"

المزيد من قرع الانتركم، أكثر تهديداً من ذي قبل.

"لا سوف نتغدى لدى "راحيل"، والديها ليسا في البيت."

تبدو محبطة. انه لأمر مؤذ، اذا ما غادرت بهذه الطريقة وقد

أغضبتها فاني سأفشل في الإمتحان، لامحال.

لذا أقول سريعاً: "أعملي شيئاً رائعاً لهذا المساء فسأكون هنا."

تبتسم وتقول "أكسري رجلاً" وبعدها تهمس في اذني:

"أعرف انك ستتجحين. انه أمر عادي بالنسبة لك."

يوماً ما على ان أتحرى لماذا أن قول كسر رجل تعني حظاً

سعيداً. لابد ان هناك منطق وراء ذلك ولكن ليس باستطاعتي ان

أدركه الآن. كما على ان أعرف لماذا لدى امي كل هذه الثقة بي في

حين انني دائماً ما أشك في نفسي. ولكن بالتأكيد لن أجد اجابات كل

ذلك في كتب المراجع التي لدي.

تجلس "يوليا" على الحائط وهي تقرع بنغمات سريعة صغيرة

باضافرها الطويلة والقوية.

"لقد تأخرتي طويلاً. لقد قررت ان تتخلي عن البكلوريا وان

تصنعي لنفسك مهنة ككاشير في اكسترفارم. هل ذلك ما تبغينه؟"

"لا، لم يكن بوسعي ان أعرف ما الذي سأرتديه."

"حسناً لقد وجدتي شيئاً وفي الحقيقة فان هذه التنورة ليست

سيئة. لكن ما الأمر. علي ان اتذكر انه امتحان كتابة وليس شفهاياً."

"أعرف ذلك. ولكني كنت أريد ان أشعر بانني حسنة

المظهر... وحتى جميلة. لغرض الجمال بذاته. انه من أجلي."

"نعم، ذلك صحيح." (لم يكن بوسعها ان تكون أكثر اهتماماً)

"اذن كيف تشعرين الان؟"

"غريبة...."

"وخلاف ذلك؟"

غريبة.خاوية.مثل واحدة غريبة.حسنا انت تعرفين ما أعني.
"لا، لا أعرف."

"هيا.انه مجرد امتحان مثل غيره.بالنتيجة انهم لا يتوقعون منا أن نعرف الآن أكثر مما نعرفه طيلة العام.ولكن في نفس الوقت فان كل واحد يحاول ان يجعله شيئاً مهماً.منذ ان انتقلت الى الصف الأول وانا أسمع الكثير عن البكلوريا.مدرس اللغة الأنكليزية كان يقول:"عليك بالعمل على التحضير للبكلوريا منذ الآن.الآخرون كانوا يقولون: سترين مالذي تعنيه البكلوريا.اعتقدت حينها انها مسألة حياة او موت.أي أحد سيجتازها فإنه سيكون إنساناً خارقاً.أشعر هذا الصباح وكأنني لست انا هي التي تمضي معك الى المدرسة.كأنني أرى نفسي أقوم بأشياء دون أكون انا فعلاً من يقوم بها."

"ذلك لأنك تفكرين بـ"جين ديفد."

ها هي تضيع فرصة كان بإمكانها ان تبقى فيها فمها مغلقاً.لو انها وجهت قبضتها اليمنى نحو فكي لكان ذلك أرحم مقارنة مع ما قالته.نستمر بالسير نحو بوابة المدرسة.

"راحيل" وصلت قبلنا.تأتي باتجاهنا.عيناها تلمعان ونفسها متقطع.تلك هي الاشارات التي تعرف من خلالها انها اما قلقة أو مضطربة.دائماً ما ترفض ان تعبر عن مشاعرها بالكلمات.حين أخبرها "ليرون"، أول صديق لها بانه يحبها قالت له:ليس الأمر جاداً وانه سيتجاوز ذلك.لم يحاول مرة ثانية وانفصلا بعد ذلك بقليل.كان عليه ان يكون أكثر فهما لها لكنه هو نفسه كان غريب الأطوار.

"انه لأمر مزعج"، تقول لنا."هناك ستة غرف للامتحانات وان ترتيب الجلوس سيكون حسب الحروف الأبجدية.

أسمها الأول يبدأ بالباء، "يوليا" بالكاف وانا بالزد نحن ثلاثتنا نغطي كل الأبجدية.هناك أوقات أظن فيها اننا نمثل العالم كله بكل تنوعاته.

يقرع الجرس.نقبل احدانا الأخرى ونتمنى لكل منا حظاً سعيداً في حين ان الجميع يراقبونا.تقبيل الأصدقاء عادة فرنسية

صميمة. "يوليا" تحب العادة بعد ان شاهدت فلما لصوفي مارسو مرات عديدة (بالسر كانت تشعر انها شبيهتها).

يمضي قطيع الطلبة الى غرف الإمتحان. هناك البعض ممن لا يزال يراجع، يتأكدون من التواريخ، يسألون عباقرة المدرسة عن أية احتمالات. هؤلاء العباقرة الذين عادة ما يكن بنات يبدون مرعوبات ويبدأن بالصراخ: "لقد نسيت كل شيء، لقد نسيت كل شيء. آخرون يبدون لامبالين، هناك أثنان يلفان ذراعيهما حول أحدهما الآخر كأنهما في عالم ثاني، وكأن مجرد اظهار الحب أمام الآخرين هو جواز سفر الى البلوغ. في العبرية وأظن في الالمانية البكلوريا تعني البلوغ.

امتحان التاريخ (الذي هو بثلاثة درجات) ينقسم الى قسمين.

تاريخ الهولوكوست (درجة واحدة)

التاريخ العام (درجتين)

ذلك هو التاريخ. الهولوكوست منفصل، انه موضوع تاريخي واكله مع ذلك خارج امتحان التاريخ نفسه. قسم اجباري، موضوع قائم بحد ذاته. انه ليس موضوع يأتي عابراً مثل قصة دريفوس، الحروب النابليونية، العصر الذهبي ليهود اسبانيا أو الحروب الصليبية. ليس هناك اسرائيلي واحد يجلس لإمتحان البكلوريا دون أن يمتحن بالهولوكوست. ستة ملايين ماتوا، اشرح متى، من، أين، كيف ولماذا. عليك ان تكون دقيقاً في الأرقام، في التواريخ، مع أسماء الجلادين، تحفظ فصول من كتاب "كفاحي" وشعارات الدعاية النازية، تعرف أسماء المعتقلات، بتسلسل فترة بنائها، تميز بين معسكرات السخرة ومعسكرات الموت، تعرف انه كانت هناك حياة بكاملها وثقافة في الغيتوات، المدارس والانتاج المسرحي، دور الأوبرا. تذكر املاء كلمات "اينساتغريون" و"اوبرستاربانفير"، لا تنسى عمليات الاختيار، أولئك الذين على اليمين يتم اعدامهم بغرف الغاز فوراً، أولئك الذين على اليسار سيعيشون فترة أطول قليلاً، يموتون كل يوم. أعرف عن ظهر قلب قوانين "نيرمبرغ"، من هناك بدأ (الإجتثاث). يتم انتقاء الناس ثم يعزلون، ثم يؤشرون-تلك هي عملية قتل ببطئ. الحل النهائي، مؤتمر "وينز"، أقرأ كل ما هو بوسعك عن هذه

الموضوعات، دون ملاحظتك، رتب أوراق المراجعة. إنها قصة ضخمة، تروى خلال آلاف الكتب والفصول والأجزاء، قصة اجتثاث يهود أوروبا، ألمانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، بولندا، روسيا تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا (كما كانت حينذاك)، اليونان، هنكارييا، إيطاليا، يا الله ان أوروبا لاتبدو بلاداً شاسعة.

وهكذا فان امتحان الهولوكوست في اليوم الأول من الأيام الخمسة لامتحانات البكلوريا هو أول خطوة على طريق البلوغ. اجلس ومثل كل الباقيين أضع قنينة ماء أمامي. انه لأمر مذهل كمية المياه التي يشربها أحدنا خلال الإمتحان. أوراق الإمتحان على وشك ان توزع ورويداً ورويداً تختفي المهمات. الآن ما عدنا نتواصل الا عن طريق الإشارات. يرفع كل من "ألون" و"ميكى" خديهما ويفتحان عيناها في اشارة الى أنهما لا يتوقعان سهولة الإمتحان، اما "تال" و"رافي" فانهما لا يخفيان اشمنزازها محاولين تنفيس بعض التوتر خارج اللحظة. يبدو الأولاد اكثر تماسكاً من البنات، البعض وضع رهانا على أي من الأسئلة ستأتي في الإمتحان. الساعة هي الثامنة الا دقيقتين. تأتي نائبة المدير حاملة معها ظرفاً بلاستيكياً أسمرأ كبيراً. تديره من كل الجهات لكي تبرهن انه محكم الإغلاق ومن ثم تخر الأوراق منه وكأنها أثن ما حملته بيدها خلال سنين طويلة.

الارشادات، التي ستردد كل يوم وسنحفظها جميعاً عن ظهر قلب، يقرأها "أفي" طالب الرياضيات الغريب الأطوار الذي يكاد صوته يخرج بالكاد من زوره.

"سيبدأ الإمتحان عن الساعة الثامنة تماما وينتهي عند العاشرة بالضبط. ومن ثم سنقوم بجمع الأوراق ونوزع أوراق امتحانات التاريخ العام. ذلك الإمتحان سيستمر لمدة ثلاث ساعات. استخدام الحاسبات ممنوع بتاتا.

أسم العائلة أولاً.

رقم الهوية.

تاريخ الميلاد.

.... وكذلك استخدام القواميس....

المدرسة:

تاريخ الإمتحان

الإمتحان:

الدرجات:

"إذا اردتم استخدام الحمامات، فلا بد من الذهاب بصحبة مرافق. بإمكان شخص واحد مغادرة القاعة في وقت واحد. لا يمكنكم ترك القاعة لأكثر من خمسة دقائق...."

تاريخ الهولوكوست. درجة واحدة.

"هل لي بتذكركم ان لديكم خيارين. لا تنسوا ذكر أي خيار من الأسئلة اخترتم. وهل لي ان أذكركم بان عليكم عدم كتابة أسمائكم على ورقة الإمتحان لأي سبب. لا يجوز لكم كتابة الأسم او شيء بإمكان الممتحن ان يتعرف عليكم من خلاله."

السؤال الأول: 1935-1938. صف ومن ثم علق مع التأكيد على الأحداث المهمة التي وقعت خلال هذه السنين الأربع فيما يتعلق بتطبيق سياسات الاضطهاد النازية تجاه اليهود.

السؤال الثاني: غيتو وارشو، 1940-1943.

هناك روح من المرح تهيمن على القاعة. الواضح ان البعض قد كسب رهانه. أتردد قليلاً بين السؤالين. الأول تقني الى حد ما، واضح، ما عليك الا ان تشير الى قوانين نورمبيرغ وليلة الزجاج. (نوفمبر 10 / 1938 ليلة تعرض فيها اليهود الى مذابح في المانيا)، لتحليل التطورات المتعلقة بالعنف الاجتماعي الذي شجعه القانون، ومن ثم بدء العنف البدني، تدمير الممتلكات وأخيراً تدمير الحياة البشرية. السؤال الثاني أوسع كثيراً. الغيتو هو الحياة والموت جنياً الى جنب، عوائل تكسب بعضها الى جنب بعض، العمل الإجباري، الجوع، المرض، الأغاني، الثقافة، التنكيل، الإذلال، العزل، والتمرد الذي يقوده حفنة من الشباب الذين كانوا في أعمارنا. سنهم ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر، يحملون البنادق في أيديهم مع قليل من الرصاص لكي يقفوا بوجه الجيش الألماني لأكثر من شهر، بندقية، وبضعة رمانات وقليل من الطلقات، في مواجهة الدبابات وأيضاً الطائرات. كانوا يعملون أي شيء لكي يموتوا مرفوعي الرأس، كمقاتلين، كجنود، يواجهون جنوداً آخرين وليسوا كضحايا يواجهون جلاديهم. أنا لم أعد في

قاعة الإمتحان، لم أعد أجلس لإختبار البكلوريا. أقف أمام واحد من قادة التمرد في غيتو وارشو، "موردخاي انيلفيتش" الذي رأيت صورته في متحف ياد فاشين. صورة بالأسود والأبيض، باهتة قليلاً، لرجل جميل المحيا وصارم الملامح، من الطبيعي ان يكون جميلاً وصارماً. وانا كذلك ساكون قريباً جندياً وسأحمل السلاح بيدي، ولكن ليس هناك من مقارنة بين الأثنين، والمثال الذي ضربته مثير للسخرية.

اتيح لعقلي ان يخلق بينما الوقت يمضي...تك...
تك...تك. بإمكانني القول اني لو اخترت سؤال الغيتو فسأكتب قطعة من الشعر. سأضع جملاً حزيناً ومثيرة للعواطف، وأظني سأبكي كذلك. ستغرق دموعي الورقة الإمتحانية وسأفقد بالنتيجة عشرة درجات. (تحسب الدرجات على أساس مائة بالمائة وحسب ما يقوله المعلمون فان الأجوبة يجب ان تكون جيدة لكي تنال الدرجات العشرة.)

علي اذاً أن أخذ السؤال الأول.

طالب الرياضيات يعد الذباب بين حين وآخر يمشي بين الصفوف، يبدو مهماً كل ربع ساعة يعلن كم الوقت تبقى. يبدو حزيناً ربما هو أيضاً ينتظر، ينتظر نداء تلفونياً لا يأتي أبداً. أو ربما ما هو أسوأ من ذلك. هو لم يقع بالحب من قبل فالرياضيات هي كل حياته.

خلال مدة ثلاثة سنوات أسس النظام النازي جهازاً للقمع في اطار القانون. انطلقت آلة الكراهية التي تقود من الفصل العنصري داخل المجتمع الى تدمير الأملاك والحياة نفسها. نظام من الرعب تم بناءه تحت أعين الأمم الأوروبية الأخرى. أكثر صفحات التاريخ الإنساني عتمة بدأت كتابتها.

ساعدي يؤلمني ولكني أشعر بسعادة مع نفسي. كتبت ثمانية صفحات وأظن أنها واضحة بما فيه الكفاية. وأخيراً أرفع بنظري للمرة الأولى منذ ساعتين. أولئك الذين انتهوا ينظرون في عين أحدهم الآخر. "ألينا" و"رينات"، البقرتان الممتلئتان تجران أنفاسهما بصعوبة بينما تدونان جملاً سريعة في اللحظات الأخيرة،

وبعدھا يبدأون التوسل الى طالب الرياضيات لكي يدعهما تكملان. كلمة واحدة أخرى فقط، مجرد ربع نقطة فقط، ربما... لا وقت لدينا لكي نلاحق أنفسنا. علينا ان نولي أهتمامنا لورقة امتحان التاريخ العام. نعيد كتابة أسمائنا، الموضوع، التاريخ. هناك ثلاثة أسئلة مطروحة.

1-ولادة الأمم؛

2-الحرب الأهلية الأمريكية؛

3-ثورة أكتوبر.

لا أتردد ولو للحظة واحدة، وأبدأ على الفور الكتابة عن الموضوع الثالث، حتى قبل ان أبدأ بالتفكير حوله. أبدأ هكذا: ساعد حكم القيصر ألكسندر الثاني على بروز مشاعر الأمل في روسيا الى حد كبير. كان يتهيأ لكي يمنح روسيا دستورها الأول حين قتل عام 1881. اما ألكسندر الثالث فقد كان بعيداً جداً عن متابعة تلك الثورة الديمقراطية وأمعن في اخضاع شعبه وولد ذلك الإحباط والغضب.

مضيت بعيداً، أدرك ذلك. كانت ثورة أكتوبر عام 1917 وليس عام 1881. أي ممتحن نحس سوف يشطب الفقرة الأولى برمتها بجرة من القلم الأحمر، ليس لأن بإمكانني رؤية ذلك ولكن لأنه سيشعر بحالة أفضل. لا حيلة فانا من المعجبين بألكسندر الثاني. انا أتحدث عنه في أية مناسبة. ربما يعود الأمر الى فلم رائع كنت قد شاهدته حوله وحول عشيقته كاتيا. لقد قرأت بنهم كل ما وقع تحت يدي بشأنهما. يقال ان كاتيا هي التي أقنعت القيصر بان يتبنى السياسات الليبرالية وانها كانت ملهمته. عندما يروقي الأمر فاني أنحو الى الإقتناع بمثل هذه الإشاعات (حتى حين يكون قد أضفي عليها طابع رومانسي جدي). ربما كان الكسندر يريد ان يتوجهها امبراطورة بعد وفاة زوجته. (كانت توصف في الكتب التي لدي بانها عجوز من دون أي لون، ضعيفة مثل عودة مجرفة بلامح صارمة، أي بمعنى آخر كانت نقيض عشيقته). لم يكن لديه متسع من الوقت، وبالتالي فان كاتيا، واسمها الكامل كاترينا دوغوروكي نحيت جانباً من قبل متولي العرش الجديد. بعدها غادرت الى فرنسا حيث توفيت في نيس.

على أية حال ان مجرد ذكر أسم الكسندر الثاني يضغني في مزاج رائق وفي نهاية يوم الإمتحان هذا أشعر بثقة عالية.
 في الفرصة التقيت ب"راحيل" و"يوليا". كانت الأولى محطمة اما الثانية فعلى الحافة لم يكن لدي الجرأة ان أسأل أي سؤال. "يوليا" تضع ذراعها حول "راحيل" وانا أفعل الشيء ذاته، دون كلام. نبقى هكذا لدقائق، نهزها برفق، ونتجاهل نظرات المارة الذين يتجمعون حولنا وكأن هناك حادثة.
 "هل تريدان ساندويتش، أم اننا سنذهب للغداء عندك كما خططنا؟" أهمس.

تنظر الى الأرض بعناد، ثم تحول عينيها بحدة نحوي، بنظرة ملئها فرح زائف والتي تشعرني بألم. تهزج بالطبع، سنعود الى بيتنا. أمي ملئت الثلجة برمتها وجعلتني أقسم لها باننا سنأتي على كل الطعام الذي فيها.
 "هيا بنا نجري، اذن."
 "هيا."

ذلك شيء نفعله. هو أمر ننفرد به نحن الأثنتين. في اللحظة التي يكون هناك شيء ما في احدانا فان الأخرى تقترح الجري. ليس الأمر هو من سيفوز. "راحيل" هي التي تفوز لأنها بطلة المدرسة بركضة مسافة ال 100 متر وال 400 متر (بغض النظر عن المسافة فانها تغلب الصبيان ونحن نفخر بذلك كثيراً). ما يهم هو ذلك الشعور الذي يربطنا به الجري سوية. فنحن نرمي وراء ظهرنا كل ما يمكن ان يزعجنا، أي شيء يمكن أن يقلقنا. انها وسيلة أخرى للهروب من أنفسنا.

لا تبعد المسافة الى حيث تسكن "راحيل" سوى مائة متر. ننتظر "يوليا" والتي تتبختر بلا مبالاة. وجهها ينم عن استعلائية وتعابيرها غير مفهومة. بإمكانني ان أسمع كلمة "صبياني" تتردد في رأسها حين ترسم تلك الصورة على وجهها. حين تكون على تلك الهيئة، تبدو صداقتنا وكأنها في مهب الريح. بدأت أشعر بذلك منذ بضعة أشهر، وتأكدت منها اليوم. أضغط على نفسي لكي أفكر بشيء آخر، عن الأسئلة التي سوف تأتي في امتحان الكتاب المقدس بعد ظهر اليوم.

"لقد أصبت برعب حقيقي في امتحان التاريخ العام"، تهمس "راحيل". لم أكتب شيئاً، لا شيئاً على الإطلاق عدا أسمى وبعض التفاصيل.

أعصر يدها بقوة. أعرف انها لن تخبر احداً بما أسرتني به الآن. انها شديدة الفخر بنفسها، كتومة، معقدة والبعض حتى يقول انها ملتوية. ولكني أحبها مثل أختي، كانها مثيلتي، صديقة بإمكانني ان أقسم يمين الاخلاص لها مدى الحياة، حتى الموت. عاصفة الامتحانات تتجدد بسرعة، وطقوسية الارشادات تجعلني أشعر وكأنني أمثل نفس المشهد مرة تلو الأخرى لمجرد الامتاع السادي للمشاهدين الغامضين.

الدراسات الإنجيلية. عالمية رسالة النبي عاموس.

البايولوجيا: ميكانزما ال دي أن أي.

اللغة الانكليزية: خطاب مارتن لوثر كنج لدي طم.

الأدب: البطل المضاد عند ديستيوفسكي.

بعد انتهاء امتحان الأدب طرأت لدي "جين ديفيد" تلك الفكرة السيئة في ان يتصل بي تلفونيا. كان متلعثما ويداخله شعور بالذنب والحرص وهو يحاول ان يشرح لي، مع الكثير من عدم التركيز والإرتجاف في صوته، انه التقى ببنت في القدس وان الأمور تجري بينهما بشكل جيد. قال انه يأسف على ذلك. لكني كنت سأذهب الى الجيش على اية حال ولن يكون بإمكاننا ان نلتقي بانتظام، سألتقي بأناس آخرين، أبدأ حياة جديدة. من الطبيعي ان بإمكاننا ان نبقى صديقين. هو يرغب ان يراني مرة ثانية. أجيبه بصمت طويل قبل ان أقول له وداعاً مصحوبة بأهة مع أول دمعة، ثم أجري لكي أبكي في ذراعي "راحيل" و"يوليا" لوقت طويل.

يعلم الله وحده ما الذي ارتديته في امتحان الرياضيات في اليوم التالي. لم أدرف دمعاً كما فعلت حين أجبت عن أسئلة امتحان الهولوكوست، ولكن حين جاء دور مسائل المثلاث، والتي لا أستطيع عادة حلها بشكل كامل، كان هناك قليل من البقع الصغيرة. ساجتاز البكلوريا، ذلك شيء يكاد يكون مؤكداً. ولكن مهما يكن فالأمر لا يقلقني الآن. انا مجرد جرح يمشي. حين تطلع النتائج في

أكتوبر سأكون جندياً. سأعيش في ذلك العالم الغريب الذي تدخله
مراهقاً، وتخرج منه على ما يبدو، ناضجاً.

العد العكسي الى الجيش

عندما أخبرت أولاد عمي في فرنسا الصيف الماضي اني في طريقي الى الجيش بعد البكلوريا، ذهلوا تماماً، خاصة البنات اللواتي لم يكن باستطاعتهم فهم أي واقع يمكن ان يختبأ خلف كلماتي تلك. بنات في الجيش، في اليزة العسكرية، أسلحة وكل شيء آخر بدا لهم وكأنه شيء من فولكلور غامض، تماماً مثل لعبة ترتدي فيها البنات ملابس الأولاد لبعض الوقت. كان بإمكانني الإستنتاج بأنهن لن يفهمن مطلقاً وان علي ان أتخلى عن محاولة الشرح.

هنا الجيش هو جزء من حياتنا. حتى قبل ان يتم تجنيدنا، وحتى قبل ان يتم فحصنا لأول مرة (الفحص الذي يرعب كل الفتيات لأنهن يعرفن انهن سيوضعن في مجموعة من خمسة حيث عليهن الاصطفاف والمرور عاريات على الاطباء الذين يكونون بالغالب من الرجال، الفكرة بحد ذاتها مثيرة للخوف لديهن).

الجنود هنا، سواء أكانوا فتياناً أو فتيات هم أبطال الماضي، أولئك الذي ربخوا حرب الإستقلال، حرب الأيام الستة، وحرب يوم الغفران. في يوم الشهداء كل عام يعرضون أفلاماً وصوراً بالأبيض والأسود عن جنود، يأخذون الألباب بأناقتهم، ينظرون الى الكاميرا في حين تبدو على محياهم ابتسامة مرهقة، مبهرة. نمرُ بهم كل يوم في الشارع، في السينما، في محلات التسوق، في النوادي، في محطات الحافلات، عند جيراننا، عند أصدقائنا، معظمهم في لباس الخاكي، وأقلهم في بزات القوة الجوية الرصاصية. يعودون الى بيوتهم من قواعدهم، أو بالعكس، في ساعات راحتهم، يخرجون للنزهة، يغازلون. لا احد يلاحظهم بالذات لأن هناك الكثير منهم، ولأنه شيء معتاد، ولأن كل واحد اما انه كان في الجيش أو لا يزال فيه، أو سيكون فيه يوماً ما. ولكن حين ينام جندي على كتف شخص ما في حافلة، فان الجميع يتبادلون تلك النكات المحببة، ورغماً عنه فان الشخص الذي يتكأ عليه الجندي يبدي حرصاً الا يتحرك لكي لا يوقظ ذلك الفتى، أو الفتاة في الثامنة عشر من أعمارهم، والذين يندرون عامين أو ثلاثة من حياتهم لخدمة

الوطن، كما يقولون عندنا حين يتعلق الأمر بالجيش فان الجميع يتفق على شيء واحد: انه شيء مضني ولكنه ضروري.

دائماً ما يكون الجيش والجنود هناك، في الأفلام القليلة التي انتجت في اسرائيل، في الأغاني التي لا عد لها والتي تعزف في الاذاعات دائماً في كل شريط لـ"شلومو ارتزي"، مطربي الاسرائيلي المفضل، هناك أغنية عن الجندي. أشعر كأن الشريط الذي ظهر قبيل التحاقني بالجيش المعنون "حر يوليو-أغسطس" يروي قصتي، كأنه كتب خصيصاً لي، كأنها هذه الأشهر من الصيف، الأخيران من الصيف، هما ملكي، يختزلان في خمسة عشر أغنية: حب يتلاشى وسط الآلام ومشاعر الذنب، وجع الحنين، وسواد هذه الإنتفاضة الذي يجثم فوق كل شيء، يستهلكنا، أو كما يقول البعض، يهدد بابتلاع أرواحنا.

والحقيقة، وأخيراً وليس آخراً. فالجيش بالنسبة للفتية هو البنات وبالنسبة للفتيات هو الفتيان. وبتعبير آخر فان كل بنت (نأخذهن على سبيل المثال) تأمل بأنها ستجد في ذلك (الكتالوغ) الكبير من ينتظرها من الفتيان الذين هم في الثامنة عشر أو في العشرين من أعمارهم، شاب يبدو لديه متسع من الوقت لكي يصارحها بحبه، شاب يعني كل ذلك بالنسبة لها: أنا رجل، رجل حقيقي، قوي ولكن حساس، أنا هنا لكي أحملك. أما الآخريات اللواتي لديهن أصدقاء فيعشن في خوف، تنتاب كل واحدة منهن الكوابيس كل ليلة، من ان جندياً رائعة الجمال، تستحق الموت من أجلها، ربما تظهر لصديقها وتعرض له كتفها لكي يبكي عليه. ومن بين الأشياء الأخرى ان الجيش هو مسرحنا الكوميدي.

نحن أمة عالقين بين الأغاني والبحر والحرب. بلد الموت فيه مقبول من سن الثامنة عشر، ولكن ذلك لا يجعل من أي شخص أكثر ذكاءً. بلد نحن فيه مقتنعون بان الحب يمكنه الانتظار في تلك القواعد العسكرية التي تحيط بها الأسلاك الشائكة، تحت الخيام، في أكياس النوم. هذا هو بلدي، لذلك فاني أعرف وأفهم كل ذلك بشكل طبيعي. ومع ذلك فاني أحس تجاهه بأني غريبة، أجنبية.

لدي متسع من الوقت، شهور، لكي أفكر بيومي الأخير، قبل الموعد المحتوم. سأذهب لحمام السباحة مع "جين-ديفيد"، سألعب معه التنس، طبعاً سأغلبه، دعوني أقول 4-6، 4-6، 5-7، سيقبلني ويهمس لي، "مبروك ايتها العقيد" وسنمضي بعد ذلك الى بيتنا حيث يلحق بنا الجميع، "يوليا"، "راهيل" وصديقها "فريدي"، "ايلان"، "رافي" و"توفا". سيجلب "ايلان" غيتاره معه، وسيغني الجميع بالروسية، أغنيات لا أفهمها ولكني أحبها، انا و"جين-ديفيد" سنغني بالفرنسية وستبتسم أمي والدموع في عينيها، بينما تأخذ لنا صوراً، وهي تقول "يا لكم من شباب رائع." "جين-ديفيد" سيقضي الليلة معي (أمضيت أياماً أتوسل الى امي لكي تتفضل بالموافقة على ذلك) وفي صباح اليوم التالي 19 سبتمبر سيذهب معي الى مكتب التجنيد، سيضمني اليه وسيقبلني لمدة طويلة بينما يراقبنا اصدقائنا بحنو، في حين ان البنات الأربعين من بئر سبع اللواتي سينضمن الى الجيش سينقسمون بين من هي غيورة ومن هي معجبة، وهم يروني أودع صديقاً جميلاً ببشرة بيضاء، وجاكيث (شبابي) يدخلن سجاثر مالبورو حمراء.

اليوم هو الثامن عشر من سبتمبر ولا شيء يحدث وفقاً للخطة الشخصية الرئيسية في السيناريو لا يزال غائباً ومنذ الصباح وأنا أتمتع مع نفسي "وغد، وغد، وغد". لم يعد الأمر مؤلماً (كما كان طيلة الصيف حيث قضيت الليالي ساهرة أستمع الى أغانينا المفضلة). فالآن أنا غاضبة فقط عليه لأنه أفسد السيناريو الذي وضعته.

صباح اليوم ذهبت الى "اكسترفارم" لكي أعمل للمرة الأخيرة. الجميع احتفوا بي حتى أنهم علقوا بالونات في مخزن البضائع مع لافتة كتب عليها: "ايتها الجندي اذهبي بسلام وعودي لنا بالسلام". وجدت الأمر برمته مضحكاً ومثيراً للعواطف. كما أنهم أهدوني قنينة سائل تلطيف الجسم ماركة "نينا ريتشي". شكرتهم من كل قلبي رغم اني كنت أعرف بانها ليست غالية لأن العاملين يحصلون على خصم قدره 30 بالمائة. كنت أفضل قنينة العطور، وأشعر بالإستياء ان لا أحد فكر بذلك. لدي مزاج يتسم بالقرف، في

رأسي أصوات تطحني ومع هذا فاني أبقى مبتسمة، أقبل الناس، أضحك على نكتة تافهة حول الجيش سمعتها مئات المرات، وأوافق دون تردد على أشياء يصرون عليها:

"سترين...ستكبرين..الجيش يغير كل شيء...ستشعرين بالحنين الى البيت...وخاصة طعام أمك.ان ذلك من أجل الوطن، انه شيء عظيم..عليك ان تعلمي شيئاً للوطن..انها تجربة، انها جامعة الحياة...، أضبط أعصابي.أجوبتي غامضة، أدمم بعبارات لا يصغي اليها أحد، لأنني لست هنا لكي أتكلم، بل لكي أستمع الى الحكم البليغة لهؤلاء الناس الذين يفخرون بتجاربهم، كما أنهم سعداء لأن الفرصة واتتهم لكي يستعيدوا ذكرياتهم في الجيش للمرة المليون مصحوبة، كما لا بد منه، بـ"طبعاً انها كانت أكثر صعوبة حينذاك".انهم لطفاء، لقد قدموا لي هدية، كما أنهم اشتروا قطعتين من الشكولاتة البيضاء،(أيضاً مع تخفيض 30 بالمائة)، كما انهم لم يحملوا عني عبء العمل-"ستحتاجين الى طاقتك نظراً لما تنتظرينه غداً-ولكني أشعر ان علي ان اشحنهم جميعاً الى غزة(كما نقول هنا)، أرغب بأن أقول لهم اذهبوا الى الجحيم بكلماتهم الجوفاء، التي لا تصلني، أشعر بالضجر أكثر فأكثر، حزينة وغاضبة،دون ان أدري لماذا.أدعي ان لدى صداع كي أستطيع ان أغادر مبكرة، لا أحد يسألني.والحقيقة انها ليست كذبة:الألم الغامض الذي أعرف كنهه جيداً حين أكون متنفرزة يدك رأسي.اخلع بزة العمل الزرقاء للمرة الأخيرة.أمضي خارجة.انها الساعة 3:27.

أذهب الى الحمام حيث لا حيلة الا أن أشاهد أمامي الميثاق المشهور بالوصايا العشرة.أحمل في حقيبتي قلماً احمرّاً للخط.أخرجه، يصبح دافئاً في يدي، أو لربما ان يدي هي التي تصبح دافئة بعد ملامستها له.لقد نسيت تماماً ان كان درس الفيزياء أم الكيمياء هو الذي يفسر ذلك لنا.ارفع الغطاء، اتردد ليس بسبب خوفاً من ان يمسكوني، بل بسبب اني لم أقرر حتى تلك اللحظة ما يمكن ان أكتبه.احتاج لكلمة واحدة، جملة واحدة صاعقة تقول كل شيء، شيء محدد يمكنه ان يعكس مشاعر الثورة التي في داخلي.تورية، شيء مختصر، كلمة منحوتة، ضربة

معلم. أخيراً أختار: "وقال الرب: "ليكن هناك رأسمالية متوحشة،
"فكان هناك "اكسترافارم". وأشير الى مرجع: اصحاح الشغيلة
المستغلة، الفصل الأول، الآية 7.

أودع العاملين المجتمعين بالشركة وامتطي دراجتي. لم أكن
لأهتم لو انهم أمسكوا بي-في الواقع كان سيبدو الموقف مثيراً
للضحك في رؤية وجوههم حين يتوجه العشرات منهم الى الحمام
لكي يعلقوا على وجهة النظر الجاحدة تلك. ولكن كان على ان أعود
الى البيت بسرعة. رأسي ينفجر.

الشقة فارغة. أخذ ثلاثة أقراص أسبرين. أشياءي منثورة على
فراشي، أمي رتبها بعناية، وفقاً للقائمة التي أرسلت من قبل
الجيش. الملابس الداخلية يجب ان تكون بيضاء، الجواريب سوداء
أو بيضاء، وبمواصفات خاصة، الا تكون بشرائط، أو بحافات ملونة
أو مطرزة. المجوهرات ممنوعة تماماً خلال التدريب. بإمكانني ان
أخذ معي مواداً تكفيني لأسبوعين. أعلم اني سأغادر غداً ولكن لا
أعلم متى ستكون اجازتي الأولى.

أنظر الى الأكوام الصغيرة التي صفت بعضها فوق بعض،
الحقيقية الجديدة التي يمكن ان تنظف بالماء والتي اشتروها
للمناسبة. كأي ذاهبة الى مخيم لقضاء عطلة. او لفسحة. ولكن من
بإمكانه ان يذهب لقضاء عطلة في مخيم لمدة عامين؟ فجأة أشعر
بموجة من الرعب في داخلي. ماذا لو كتبت وصيتي؟ قد يكون هذا
هو الوقت المناسب. في هذا الوقت من الغد سأكون بعيدة جداً من
هنا... أضيف جهاز الستريو الخاص بي الى كومة الملابس، معه
أشرطة غنائية، بضمنها أشرطة اغاني فرنسية، أريد ان يكون
جزءاً، ولو صغيراً من فرنسا معي. كذلك كتاب، كتاب جيد يمكنه ان
يبكيني ويضحكني في آن. ذلك هو تعريفي للكتاب الجيد، مزيج من
التعاسة والسعادة.

هل سيكون هناك وقت للقراءة؟ لا يهم. لكن ينبغي ان يكون
هناك دائماً كتاب معك. وكذلك دفتر ملاحظات لتدون فيه. انهما
ضروريان من أجل البقاء.

يرن الهاتف. أتردد لبرهة، ربما هو مدير "اكسترافارم" لكي
يخبرني كم هو محبط من نكراني للجميل.... بعد كل ما فعله من

أجلي...أغادر بتلك الطريقة، أشوه الوصايا العشر! ليس لدي رغبة بان أصغي اليه. لا أشعر بأني قادرة ان أشرح له. غير ان الهاتف يظل يرن. ليس لدينا جهاز تسجيل المكالمات، انه غال. لا يهتم فلن أعرف ان كان هو أو شخص آخر.

انتظر توقف الرنين قبل أن ان ارفع السماعة. أريد ان أكلم أي كان لكي أبدد عصبيتي. "لويبا" أخت "يوليا" الصغيرة تقول لي ان "يوليا" ذهبت الى المدينة، ربما بصحبة "راحيل"، هي ليست متأكدة. أم "راحيل" تقول لي ان ابنتها بالخارج، ربما ذهبت الى المدينة مع "يوليا". تتمنى لي حضاً سعيداً في خدمتي العسكرية. حضاً سعيداً... لا يمكنني أن أعرف ما الذي يعنيه ذلك ولكني أشكرها بأدب. أنا فرنسية وعلى أن احافظ على سمعتنا الوطنية في ميدان اللياقة.

أحاول الآن ان أعثر على "فريدي" صديق "راحيل". هو طويل، عريض المنكبين، وذو عينين خضراوين تجعلك تشعر انه يصغي للشخص الذي يكلمه. انا متيمة به. تتوتر "راحيل" حين تسمعي أقول ذلك، ولكنها الحقيقة، ولا أرى اني اسيء الى أحد في ذلك. تم تجنيد "فريدي" قبل ثمانية أشهر في سلاح الهندسة. أعتبر يومها أكثر الجنود براعة من بين أفراد دفعته. ولكن ما ان عرض قابلياته وبرهن على براعته خلال الشهور الست للدورة لم يستطع الإستمرار بتلقي الأوامر التي اعتبرها أحياناً غبية، لذلك فقد هرب من الجيش، بما يعني انه عاد الى البيت في احد أيام الجمعة، قبل أسبوعين، ولم يعد أدارجه يوم الأحد التالي. لا يبحث الجيش عنه (بجدية) الآن، وبالنسبة لنا فنحن نحاول ان نستغله بأكثر ما يمكننا، سيارته، مهاراته في المطبخ، وصوته المحبب الذي يعني به بالعبرية أجمل من أي أحد آخر. ليس في ذلك ما هو غريب فقد ولد هنا، فهي لغته، بغريزته يضع المقاطع الصوتية في مكانها تماماً، دون أي عناء بشأن عدد المقاطع أو بناء الكلمة. هو الأخ الأكبر الذي تمنيت أن يكون لي. لسنوات كنت اظن ان ذلك كان سيحل كل مشاكلي.

لكن لا أحد يجيب في بيت "فريدي"، ولذلك أقفل السماعة، وانا يائسة. أين هم؟ لماذا اختارت "يوليا"، والأهم "راحيل" هذا

اليوم بالذات لكي يتبخروا في الهواء الطيار. في هذا المساء الذي احتاجهم فيه، كان يفترض ان يكون أمراً منتهياً منه، ولكن لا، كان يجب ان أخبرهم، "يا بنات، سوف أذهب الى الجيش في التاسع عشر من سبتمبر. ان لم تكن لديكم مشكلة، فانا لن أمانع اذا ما التفتوا حولي يوم الثامن عشر. تعلمون بودي أن أتحدث اليكم، أعني اذا كان لديكم ما هو أهم من ذلك تعملوه، فلا تتردوا ان تتظاهروا بأنني لست هنا، فانا بالتأكيد لا أود ان انتهك حرمتكم، فانا أعلم كم هي مهمة في أقل من أربع وعشرين ساعة سوف لن يتبقى لي أي شيء منها.

أذهب لأتمشى حول المبنى فربما أجدهم في الحديقة، يتبادلون الأحاديث بسعادة، وغير مكترئين بي. لا أحد هناك. أعود الى الشقة لكي أخذ المضرب والكرة والعب مع الحائط في نادي الألعاب، المواجه لمبنى السكن بعد ساعة من توجيه الضربات المباشرة، أقرر بأنني قد هزمت نفسي، 4-6، 4-6، 5-7. الضربة الأخيرة كانت مشكوك فيها ولكني لم أعترض.

أمي تحيني بإبتسامة عريضة.

"أين كنت؟ اختك تكلمت من القاعدة لكي تتمنى لك حظاً سعيداً. تتأسف لأنهم لم يسمحوا لها بالمغادرة الليلة.

"سونيا" في القوة الجوية منذ عام، في قاعدة ضخمة على نحو سبعة كيلومترات من هنا. قاعدة خمس نجوم، كما هي كل القواعد في القوة الجوية. لديهم ساحات للتنس، حمامات سباحة، دور سينما، غرف موسيقى وسوق كبير. تستمتع "سونيا" بأوقات رائعة. لديها اجازات اعتيادية، اما باقي الوقت فتستمتع فيه بحياة مريحة في قاعدتها المرفهة. وهي أيضاً تعتقد بانك تأملين بان تكوني محظوظة.

"ذهبت لألعب التنس لوحدي. ألم يتصل أي أحد آخر، عدا

سونيا؟"

"لا."

لا "راجيل"، لا "يوليا"، لا "فريدي".

لا، لا أحد."

مجروحة، أشعر بانني مجروحة جداً. أعرف ان ذلك يبدو غريباً، ولكن ذلك ما أشعر به. أمي قلقة.

"هل هناك أي مشكلة؟"

"لا، لا، كل شيء على مايرام. (اقول ذلك بالانكليزية، لأنني حين أفعل ذلك، أشعر بأنني أكثر حرية واطل انكشافاً)

"كيف كانت أكسترا فارم؟"

"ممتازة، ممتازة تماماً. نفخوا بالونات وأطلقوها، نشروا الزينة في كل أنحاء المحل. كان شيئاً عظيماً، شعرتُ بأنني مثل طفلة في الثالثة من عمرها."

"تبددين ساخرة جداً."

"لا، لست كذلك."

"نعم أنت كذلك. عندما تتكلمين الأنكليزية فانت ساخرة. انا أعرفك جيداً."

"أولاً وقبل كل شيء، أنا تغيرت نوعاً ما، منذ أن كنت طفلة. ثانياً، هذه ليس وقت المزاح. ثالثاً، من يطبخ هذا المساء أنت أم أبي؟"

"أبوك. فكر بالبيتزا، هل سيلانمك ذلك؟"

"ممتاز، جدد-دأ."

أستدير نحو الهاتف الذي قرر فجأة ان يرن. صوت محبب يأتي من الطرف الآخر يقول، ""فاليري"، كيف أنت يا جميلتي؟"

ما هذه العادة التي لا يقول الناس فيها من هم حين يتكلمون على الهاتف. شيء مقرف حقاً. هل يعتقدون ان هناك جهاز فيديو هاتفي مزروع في الجانب الأيسر من دماغي؟"

"ليس لدي جهاز فيديو هاتفي مزروع في الجانب الأيسر من دماغي"، أقول، "من المتكلم؟"

"يا لك من مهرجة!" انها "كاثرين". (احدى صديقات أمي.) أردت ان أتمنى لك حظاً سعيداً وان أواسي أمك، المسكينة. لا بد انها حزينة، بنتان في الجيش..."

"لا، ليست حزينة، ليس هناك من هو أسعد منها، أعني الليلة بإمكانها أن تدفن حياتها كأم شابة، اذا كنت تريدين ان تريها فستكون في أحد النوادي منتصف الليل. أخيراً هي تتخلص

منا.ثمانية عشر عاماً، تلك فترة أكثر من كافية لكي تعرفي أولادك."

أسمع ضحكة لا تخلو من احراج، رداً على ماقلته.أمي تنظر الي بشزر.أعطيتها سماعة الهاتف بدون اكرات وأغلق علي باب غرفتي.سأحول أي أحد آخر يتمني لي حظاً سعيداً الي صوص السباجتي.

"شلومو ارتيزي" يغني لي، يقول لي أنه جندي وان على الا أبكي، انا تلك البنت الصغيرة.فجأة أفكر بان كل، أعني كل الأغاني، تدور حول الجنود، عن الجنود الفتيان، ليست عن الجنديات.كأني أبحث عن سبب اضافي لكأبتي، هذا هو:امضين سنتين في الجيش، ايتها الفتيات، لكن بالله عليكم، لا تتدمرن.مهما كان ما ستفعلونه، لا تظهرن ذلك في أية أغنية!
انها السادسة والنصف.

حينما تركني-نبدني-دمرني "جين-ديفد" أدركت بان بالإمكان الغرق ولكن من غير أن أموت.أفتح كتاباً كيفما اتفق، أقرأ جملة دون ان أعرف ما الذي جرى قبلها، ثم أعود وأقرأها في السياق ما يجعلني أشعر وكأني التقى بصديق قديم، صديق يعطيني الثقة.شيء لا يصدق.

ومضى، هكذا، مع معاني كثيرة مخبأة.أعود الي البيت أعاني من أفضع نوبة ارهاق دون أي سبب:تلك هي أفضل ما يكون.ما أعنيه هو ان ذلك النوع من قلق ما قبل الولادة دون تفسير هو الأكثر عمقاً، الأكثر منطقية، الوحيد الذي يمكن ان يكون حقيقياً.إنه ينبع من عمق المشكلة الحقيقي.

يرن الهاتف، يرن ثانية، ومرة أخرى.أقفز في كل مرة ولكن أمي لا تبدي اهتماماً بان ترد.جدتي، عمتي، خالي، أختي كلهم يتصلون ويمطروني بكلمات التشجيع وكأني رياضي عظيم قبيل دخوله مباراة حاسمة، كأني محكوم قبيل ان يمضي لتنفيذ عقوبته.كم هم لطفاء.لكني باننظار اتصال آخر.ليس بنفس القناعة الآن، ولكني لا أزال بنفس الأمل.

الساعة حوالي الساعة الآن وانا على استعداد لكي أنفجر بالبكاء.لدي تلك العقدة التي في حلقي، وها هي على وشك

الإنفجار. يرن جهاز الأنتركم، ذلك ربما أبي تذكر بان على ان اوى الى الفراش مبكراً لكي أنهض صباحاً وانا بأتم انتعاش وراحة ويقظة، ولذلك جاء لكي يعمل البيتزا التي سأكلها دون أية شهية، حزينة ومنطوية.

"نعم."

أسمع جلبة غير مفهومة، ثم كورسا.

"نحن."

"هم؟ نعم انهم هم. في تلك الأصوات المتمازجة أعرف صوت "راحيل"، "يوليا" و"فريدي". يطلعون السلم بسرعة وها هم هنا وأيديهم ممتدة بصواني وهدايا يقبلوني ويعانقوني.

"هل اعتقدت اننا نسيناك؟"، تسألني "راحيل: مع ابتسامة تأمرية.

"لا، لا، اطلاقاً..."

"كاذبة"، تطلقها "يوليا"، علي بينما تضربني برفق على أنفي.

"انت مقنعة بقدر ما "بنيشيو" مقنع."

"لا، صدقوني، لقد خمنت انكم ستفاجؤني! كنت أقرأ كتابا وانتظر قدومكم...."

لا وقت لدي لكي اتمم جملتي قبل ان انفجر بالبكاء. لم يكن أمراً موفقاً، ولكن لم أستطع ان أمسك زمام نفسي، لقد جاء الأمر عفواً. يعانقوني ويأخذوني لأجلس على القنفة.

"انها عاطفية جداً"، تقول "ايلينا"، التي كانت هناك أيضاً.

"لا تقلقي، فقد جئت بما هو مطلوب"، يقول "ايلان" وهو يلوح بغيتاره.

"هيا، دعوا الحفلة تبدأ!" يصرخ "فريدي" وهو يفرغ الصواني المليئة بالمعجنات المطعمة بالجبنه وبالبيتزا والحلويات الشهية.

"كنت أعمل طيلة النهار، مع مساعدتاي"، يضيف واضعاً يديه بحنان حول عنقي "راحيل" و"يوليا".

ومضة ضياء. أمي تلتقط صورة حسناً فعلت، كانوا رائعين، الثلاثة، عيونهم تلمع بابتساماتهم وصدقاتهم وبالسرور الذي يبدوه

في اعداد هذه المفاجئة لي. على حين غرة، أجد نفسي اتنفس براحة أكثر. اكلنا، شربنا، تحدثنا عما يعتريني من شعور، انا البنت الأولى في المجموعة التي تلتحق بالجيش.

"انا خائفة"، أقول، "انا مرعوبة حد الموت. لا أستطيع الثبات لدقيقة. لا أطيق الإنتظار الى يوم الغد، حتى أرى مالذي يريدون ان يفعلوه بي."

"ان تعرفي الكثير"، يخبرني "فريدي"، "ستعرفين فقط القاعدة التي ستدربين بها، ومن هن البنات اللواتي سيكونن معك في نفس الخيمة. دورات التدريب، وخاصة للبنات، هي بداية، مجرد مقدمة. الكثير من الأشياء تجري هناك ولكن معظمها لا علاقة له بما سيجري بعد ذلك.

"خذي الاشياء كما هي"، يقول "أيلان". "على أي حال، ليس بإمكانك ان تتخذي أي قرار. هم من سيختار مالذي ستفعلين ولمن ستتنسبين. ستكونين واحدة من بين آخرين، ستكونين مجرد واحدة من الجيش.

"دعها وشأنها"، تتدخل "راهيل". انتم تزعجونها بحكمكم الدنيوية الرخيصة!"

"يا ألهي، كأنه الأمس يوم خطوت لأول مرة نحو المدرسة"، تتمم "يوليا"، تنظر بعينين مغشيتين. "لم تكوني تتكلمين كلمة عبرية واحدة، وحاولتي ان تتفاهمي بالانكليزية، غير ان لكنتك الفرنسية جعلت الكل يضحكون، لذلك لم يكن يصغي اليك أحد. كنت تبدين أجنبية جداً، ضائعة جداً...، والأن تتكلمين مثلنا، وتحبين نفس الموسيقى التي نسمعها، وتلتحقين بنفس الجيش مثلنا..."

نسترجع ساعات النقاش تلك، حين كنا نصوب مسيرة العالم، حين كنا نتجادل بشدة لأننا كنا نحمل أفكاراً سياسية متباينة. حفلات القمامة، أحزاب البراعة، افلام هوليوود العاطفية، أفلام "ودي الن"، المسلسلات الأمريكية التي كنا نشاهدها دون ان نترك أي حلقة منها، حفلات "شلومو أرتيزي"، النميمة الفضيعة التي نتبادلها كل يومين أو في الأمسيات على الهاتف، تحت مسمع الوالدين اللذين كانوا يفكرون بجدية اقامة جمعية لإلغاء نداءات الساعات الثلاثة. ارتياد النوادي في بئر سبع، أو تل ابيب، أول مرة

شربنا فيها "التكيلا"، أول مرة (تعرفون ما أعني) حسب الترتيب: انا، ثم "راحيل" وبعد ذلك، أخيراً "يوليا" مع رجل الماني كان متطوعاً في "كيبوتز" قضت فيه أسبوعين ليالي السكر تلك، الحزينة، السعيدة، المليئة بالفلسفة، الكتب التي بدأنا كتابتها على أمل ان يقربنا يوماً كروائيات شابات لامعات ("يوليا" وانا)، الكتب التي ذرفنا دموعاً فوقها، الأشياء التي كانت تجمع الأولاد والبنات سوية، الأشياء التي كانت تفرقهم، هل الصداقة ممكنة بين ولد وبنت؟ (انا وفريدي)، البكلوريا، التي لم نستلم نتيجتها بعد، والتي لا نبدي تجاهها أي اهتمام هذا المساء، الحب الخالد الذي لا يدوم الا أياماً قليلة، الرحلة الى إيلات والبحر الأحمر، درجة الحرارة 40 بالظل، "راحيل" تدهن نفسها بمرهم "فاكتور-90" المقاوم للشمس، اما انا و"يوليا" فدهن انفسنا بمرهم "فاكتور-4" كل ثلاثة ساعات كي نمح انفسنا لونا برونزياً خفيفاً، في المساء ينضج الجلد، وتصبح أي لمسة به مؤلمة، نظرات "راحيل" المبدئية. التعبيرات القليلة الفرنسية والروسية التي تعلمناها طوال السنين: كاك ديلا، خرشو، يا هاتشو دامواي، يا تيبيا ليلو، سباكيون نوتش، باجولستا، شتو تي هوتشيتش! كتو تا كويا، بريفييت؟ كومن سافو، سا فا بين، جيتيم، مون اموا او ايرا تو فوندررا كوند تو فودرا. جي فوا لا في تين روزن، الأسئلة، الأجوبة، الشكوك، المعلمون السخفاء، والرئعون. حياتنا، سنوات الصبا تبرعم أمام أعيننا ونحن نمر بتجربة المشاعر غير المألوفة، شيء جميل ولكن حزين يثقل على قلوبنا، لأول مرة ينتابنا شعور هائل بالحنين.

"ماذا لو فتحت هدايك؟"، تقترح "راحيل"، وعيناها مثلنا جميعاً، تحتفظ بدموعها، لكنها ليست من ذلك النوع الذي يستلم بسهولة لكل تلك العواطف.

يشكلون حلقة حولي، يراقبون ردة فعلي، التي انا متأكدة انهم تنبؤوا بها.

أصدقائي الأبعد مثل "ايلان" و"ايلانا" اختاروا أشياءً كلاسيكية، كريم الحمام بطعم الكرز، أقراط وطاقم تجميل. "راحيل"، "يوليا" و"فريدي" اشتركوا لكي يقدموا لي شيئاً خاصاً جداً، او

مفاجأة شريط أغاني لـ "داني روباس" (أصبح يشكل تهديداً لـ "شلمو أرتزي" وفي مقدمة العشرة الذين في القمة.)، بضعة أشعار لـ "يوناتان غيفن"، الأكثر حساسية وسخرية بين شعرائنا وصحيفنا وكتابنا، ومطوية على سبيل النكتة، تحتوي على أشياء من أجل البقاء، صفت بعناية، بحيث ينبغي علي ان أفتحها بنسق معين: مع كل واحدة منها هناك ملاحظة تفسيرية:
 رزمة واقي ذكري، للحالات العاطفية الطارئة.
 رزمتان من مناديل ورقية، لمساءات الإحباط الشديدة.
 شمع ازالة الشعر، للحالات المستعجلة.
 أسبرين، لمعالجة الرأس المتصلبة.
 مصباح يدوي، لرؤية نهاية النفق.
 قميص، كتب عليه "من اجل العطلة"، لكي يمنحني "أحلاماً سعيدة".

أنف المهرج، لكي أضحك، على الأقل مرة واحدة في اليوم،
 حين أنظر الي وجهي بالمرآة.
 25 بطاقة تلفون، للاتصال بهم عند منتصف الليل، لكي لكي
 أقول لهم "..."

البوم تصاوير صغير كتب عليه "مع أفضل صورنا"، لكي لا
 انسى ان لي اصدقاء سيكونون دائماً هنا.
 أقول لكل منهم شكراً، أقبلهم جميعاً، وبرصانة أمنح كل واحد
 فيهم وساما لأفضل الأصدقاء في العالم يبدأ "ايلان" بالعزف على
 غيتاره ويغني أغنية لـ "لروسى" "فلادمير فيسوتسكى". ثم يغني
 جميعاً بالعبرية بينما تأخذ امي صوراً لهم من جميع الزوايا. لدي
 شعور طيب. غداً لم يعد في الحسبان.

إلى السلاح، إلى آخره...

توقظني أمي بطريقة أكثر لطفاً مما هو معتاد. إنها السادسة والنصف وعلي أن أكون في مكتب التجنيد في غضون ساعتين. "ماما... الوقت مبكر جداً" أغمغم. "دعيني أنام قليلاً." "لا"، ترد بحسم. "لا يجب أن تذهبي إلى الجيش وانت على عجل."

أجر نفسي من تحت غطائي. رأسي ثقيل قليلاً. أعرف أنني حلمت بـ "جين ديفد": كان في دوامة ولم يكن بوسعي الإقتراب منه. كان يرسم على وجهه تلك الابتسامة الساخرة الدائمة ولم يلحظ الجهد الذي كنت أبذله ولا خيبة أمني اللاحقة. ثم كان هناك ثمة اطلاق نار، لكن ربما كان ذلك صوت مزلاق الباب الذي كانت تفتحه أمي وهي تدخل إلى غرفتي.

اتسلل إلى الحمام وأشعر كان الأمر برمته يجري بطريقة آلية. كيف يمكن للجسد أن يقوم بكل تلك المناورات حين يكون العقل متوقفاً، حين يكون هامداً. أعد نفسي باني سأحاول أن أجد كتاباً بشأن الموضوع. أفترض دائماً أن جميع الأجوبة موجودة في الكتب.

أمي صنعت فطوراً من طراز خمسة نجوم. كيك، رائب محلى بالقيقب، شكولاتة حقيقية ساخنة، عصير برتقال طازج. لا بد أنها استيقظت الساعة الخامسة لكي تنجز كل هذا ولكي تجعلني سعيدة ولكن من غير أن تدرك أنها قد تجعلني أبدو مثل مدان بالموت يلتهم وجبته الأخيرة. في هذه الحالة مدانة. أحصل الآن على الأفضل قبل أن يرسلوني لكي أواجه الأسوأ. أنا أبالغ. دعوني أقول الأمر بشكل صريح أنا الآن في طريقي لكي أواجه المجهول، وهو بالتأكيد أمر مثير للمخاوف كبداية.

بعد أن أنهيت وليمتي، أنزل لكي أتمشى قليلاً في الجوار. أمشي بين الممرات والمساطب والمساحات الصغيرة المعشبة. ثم أمضي ناحية زاوية العمارة التي يقع فيها بيتنا وأنظر من هناك نحو مدرستي التي تقف أمام الصحراء، ثم أنظر إلى شباك "يوليا" وبعدها إلى شباك "راهيل". أطبع كل التفاصيل الدقيقة في مخيلتي

وكأني ألتقط صورة لعالم مراهقتي بالضبط مثلما عملت لعالم طفولتي في الريف الفرنسي قبل ان أغادره قبل خمس سنوات. عرض علي "فيردي" ان ينقلني الى مكتب التجنيد. ذكرت انه جندي هارب من الجيش وان ذلك هو أسوأ مكان يمكن ان يذهب اليه. يضحك ويرد بان صورته ليست معلقة في كل القواعد العسكرية ضمن قائمة أكثر المطلوبين. ثم يضيف ان ترمي نفسك الى فك الذئب هو أفضل طريقة لكي تتفادي تحديقه بك. بإمكانني القول ان "راحيل" قلقة لكنها لا تقول شيئاً. في تمام الساعة الثامنة يتم وصول الجميع.

يأتي "أيلان" الذي حصل على إجازة سوقه توأً بسيارة والدته. سيارتان ليستا بالكثير إذ ان هناك عشرة أصدقاء سيصاحبوني. انه موكب رئاسي، تكريم غير مسبوق، يكرسه بشر. يشكلون حرس للشرف ويؤدون تحية عسكرية لي. أشعر بانني على حافة البكاء، كما فعلت أمس. غددي الدمعية تبدأ بالسيلان بطاقتها القصوى، انها تعمل ساعات اضافية غير مدفوعة الأجر. انا سيدة الغدد الدمعية المسالة.

يضع "فيردي" أغنية "شلومو ارتيزي" على أعلى درجات الصوت. "لكني جندي ايتها الفتاة الصغيرة فلا تبكي". يعلو صوتنا. "ولكني جنديه أيها الصبي، فلا تبكي". خلفنا يقرع "ايلان" ببوق السيارة من حين لآخر على نغمة اللحن الذي يستمعون اليه. لم يعد الأمر مجرد جعجعة، بل تجربة في قياس مدى تسامح الناس مع مستويات الصوت. ولكن ليس هناك من يعترض. انهم يعرفون ان الخريف هو موعد الحصاد وان المحصول هو شباب في عمر الثمانية عشر.

في الخارج يبدو مكتب التجنيد مثل سوق لقطيع من الجنود. ناس تصرخ، تعانق، تضحك، تبكي. البنات اللواتي في طريقهن الى ان يغادرن، مثلي، من السهل التعرف عليهن فهن محاطات باصدقاء ومعارف يتحلقون حولهن. الدفئ الذي يحيط بهن مستساغ. جرعة من الصداقة، حصة أخيرة من الحب، قبلة من أب أو أم. قبلة لأخ صغير يقف باعجاب صامت (هناك واحد ربما في

السادسة او السابعة) يرتدي ملابس عسكرية وينظر اليه الجميع بحب. أشيخ بنظري بعيداً بإرتباك.

الأباء والأمهات يمكن التعرف عليهم أيضاً. أنهم في الخامسة والأربعين من أعمارهم، وليسوا في العشرين بطبيعة الحال، ولكن أكثر ما يلاحظ فيهم أنهم الذين تدمع أعينهم، يبدون فخورون وقلقون في آن واحد. يتفادى أحدهم نظرات الآخر التأميرية. الظاهر أنهم يفهمون بعضهم البعض من دون كلام.

كما ان هناك الإعلام. حين يقترب المصورون من البنات فان معظمهن يأخذن موقفاً يبدون فيه وكأنهن في وضع طبيعي، على أمل ان يكن فوق صفحات الجرائد في اليوم التالي مع خبر صغير: "العد العكسي في الطريق الى الجيش" أو "قبلة قبل الخاكي."

بسرعة أرفع نظراتي عن عيني. اما "يوليا" فان أجفانها ترتعش بسرعة خاطفة.

"أصدقاء وخصوم للأبد"، أتمتم مع نفسي.

فجأة تندلع حركة في الحشد الواقف. جندي يظن نفسه رئيس الأركان أو شبيهه برامبو، يندفع ممتطياً مقدمة إحدى الحافلات التي كان محركها يعمل مستعدة للإطلاق. ينظر الى الحشد لثوان بينما ترتسم على شفثيه ابتسامة سادية. تغمره سعادة تمنحها اياه لحظات السلطة التي تعبر عنها نظرات البنات التي تكاد تأكله وكأنه يحمل حياتهن بين يديه، في حين ان كل ما كان لديه هي حفنة أوراق يقرأ منها بلا مبالاة متعمدة. يهبط سكون، يتحنج ثم يبدأ التمثيل.

أشعر وكأني في عام 1914 واني جزء من التعبئة العامة.

"سيداتي، ايها الجنديات. سنبدأ الآن بسحب القرعة.. لا انا أمزح معكن. حين اقرأ أسمائكن أرجو من كل واحدة ان تنهض وتمضي الى الحافلة وتعطيني رقم تسلسلها. هل لي ان أطلب منكن الا تطيلوا التوديع.. انه أمر ضار بالصحة، كما انه لن يساعدكن في انقاص الوزن."

تحز "يوليا" أسنانها باحتقار.

أتمنى ان أفعل مثلها وان أصرخ بأنه مجرد غبي مزعج. ولكني ارتعب من فكرة ان يكون هو الأحق الأول الذي أبدأ به هذه الرحلة الطويلة وبالتأكيد لن يكون الأخير.

“كما انه قميء.” تقول “يوليا” لتواسيني.

“انه مجرد جندي اداري يهمس ”فريدي“. ”انظري اليه بامعان وستدركين انهم جميعاً كذلك، لا أدري لماذا يشبهون بعضهم بعضاً وكأنهم عائلة.

“الغباء هو سمة عائلية.” يقول “ايلان”.

يحملق الجندي الاداري بنا. ولكن بسبب المسافة بيننا فلا يمكنه سماع الحديث الذي يدور بيننا، ولكن لمجرد اننا منهمكون بالحديث فإن ذلك هو بمثابة اهانة له، لأنه بالتأكيد ينتظر منا صمتاً تاماً. يبدأ صلواته.

“:تالي افيري...”

تنفجر كتلة من اللحم على رأسها شعر مجعد بالبكاء وتحضن أمها. يتفرق الحشد لكي يفسحوا لهما المجال لكي يمرا، وكانما اشارة انطلقت وعلت صيحات الوداع، مما حدا بالإداري ان يعلي صوته الطالع من أفه لكي يجعل الجميع يسمعونه.

“رونيت بيربي..”

أقبل كل واحد عشرات المرات باحساس المتعجل. يقولون أشياء كثيرة تختلط معا حتى لم أعد أسمع شيئاً.

والديّ في ذروة انفعالاتهم وتبدأ دموعهما بالتساقط.

تعتذر والديتي “وعدت نفسي الا أبكي”.. فلم أرد..

“لا تعبأي بذلك.” أهمس في أذنها. “لايمكنك ان تكوني مختلفة عن الآخريات. وعلى أية حال، فإن الأمر ليس بذئ بال. فمهما كان الوقت الذي ستنهظين به لكي تلتحقي بالجيش عليك دائماً ان تسرعي.”

تبتسم من بين دموعها. يعانقتني أبي بحنان ويهمس بعبارات تبدو مثل “اعتني بنفسك.” أصدقائي يقولون أشياء تهدف الى اثاره ضحكي.

حرف (Z) هو الحرف السابع في الألف باء العبري. لن يطول الوقت حتى أسمع أسمي.

"تامي فارشافيسكي... فاليري زيناتى..."
 أعض على شفتي، أحاول ان احافظ على توازني وانا أرفع
 الكيس الذي يصل وزنه الى ثلاثة اطنان وانا اول أوراق استدعائي
 الى ذلك القميء، الذي انتقل بالمناداة على الاسم التالي.
 أختار المقعد الأخير القريب من الشباك. الحشد يتجمع حول
 الحافلة، هناك من يومئ بالحب، بالوداع أو بالتشجيع. تمتلئ
 الحافلة بسرعة، تغلق الباب وتشرع الحافلة بالمسير وتختفي
 الوجوه.

أتمدد في مقعدي وأغمض عياني.
 كل شيء انتهى. انها فقط البداية.
 تمضي الحافلة خارج المدينة تجلجل عجلاتها على الطريق
 الصحراوي باتجاه تل أبيب. هو الطريق نفسه الذي قطعه عشرات
 المرات من قبل ولكني أشعر الآن وكأنني لا أعرف أين ينتهي. جئت
 بجهاز الاستريو معي وأرغب بالإستماع الى شريط "داني روباس"
 الذي أهدها أصدقائي لي.

هناك كوع يلدغني في الجنب ويجذبني بعيداً عن الموسيقى
 التي بدت لي وكأنها تراتيمي الخاصة. انزع سماعات الأذن. البنت
 التي تجلس الى جانبي تنظر الي بنظرة تأنيب.
 "يا حلوة، هل تعتقدين انك في رحلة الى "إيلات؟ الا تدركين
 اننا جنديات الآن؟"

"طيب، وما هي المشكلة؟"
 "المشكلة. انها على بعد خمسة مقاعد. متر وسبعين سنتمترا
 ويبدو مثل عجل غير انه ليس مرئياً. انه مسؤول عنا حتى نصل
 الى قاعدة الإستقبال."
 "نعم ولكن ثم ماذا؟"

"لقد قال لتوه انه غير مسموح بالإستريو."
 "ولكننا لسنا في طائرة على وشك الإقلاع." أرد بغضب.
 "لا أدري فلم يسبق لي ان ركبت طائرة من قبل. ولكن ما
 أعرفه ان عليك ان تهبطي الى الأرض والا فانك لن تصلي الى أي
 مكان اذا ما واصلت ذلك. ستواجهين مشكلة حقيقية."
 "انت تغمريني بالتفاؤل، لا بد انك ملاك النهايات السعيدة."

"وانا بإمكانني القول أنك ستكونين ممتعة. انت لست كالأخريات. تبدين وكأنك هبطت بضربة حظ... مثل.. مثل". تحاول ان تعثر على ابتسامة وانا أحاول ان أساعدها.

"كأنني فضلات طيور"

تتسع عيناها بدهشة. "لابد انك من كوكب "دولالي". تقول بإحتجاج. أنه كوب جديد ضمن مجموعتنا الشمسية."

"نعم ذلك صحيح، انت ذكية جداً، ملاك النهايات السعيدة. ولكي أكون صريحة معك فقد جئت لكي اتجسس على ثاني اقوى جيش في العالم، ام هل هو الرابع، لست أتذكر."

"ستجحين في مهمتك. اذا كان الجميع مثل ذلك العجل الذي كنتم تهزؤون به أنت واصدقاؤك قبل قليل. لن يكون الأمر هيناً عليك لكي تدركي مدى قوة الجيش الإسرائيلي."

"هنا انت مخطئة، ايتها المسكينة ذات الخيال المحدود. ليست العجول أو حتى الأولاد ما يعينني. انه الجيش برمته. نقطة. فقرة جديدة."

"همممم.... لديك كومبيوتر معقد في رأسك. "توشوش باعجاب". "اتمنى الا نفترق سريعاً بعد وصولنا للقاعدة. هل لديك ادنى فكرة عما سيفعلون بك؟"

"همممم... نعم، ربما. خلال العام الماضي استدعيتي ربما أربع مرات لإختبارات نفسية. لخدمة الإستخبارات ربما. لكن لا شيء أكيد."

"ها..ها انا أمام جندي حقيقي."

أومئ برأسي مواقفة. حان الوقت لكي أظهر بعض الإهتمام بها. "وهل تعرفين انت اين ستذهبين. هل تعرفين ما الذي تريدين عمله؟"

"نعم انها مرسومة في ذهني، انا أريد ان أكون معلمة رياضة."

هذه القناعات الراسخة توقعني في ورطة. أنظر اليها بتمعن. نحن الإثنان جالستان، ولكن لدي أحساس باننا في نفس الطول، حوالي 164 سنتمتراً. هي أكثر ذكورية كما يمكنني ان استنتج من عضلات ساعديها ورجليها. شعرها الكستنائي قصير

جداً، قصة شائكة هي المودة السائدة منذ حوالي عام. لا أدري لماذا ولكني دائماً ما اعتقدت ان البنات بقصات الشعر القصيرة تلك يكونن شديداً الثقة بأنفسهن، يمارسن الرياضة واجتماعيات. وبعبارة اخرى انهن في سلام مع أنفسهن. ملامحها مربعة، جلدها ناعم وعيناها خضراوان، كلها متنافرة وكأنها كانت طيلة عمرها تحاول الهزء من العالم حولها، وستبق كذلك. تزرع الثقة في نفسي. أمل الا نفترق حين نصل الى قاعدة الإستلام.

"علي ابلاغك، من باب المعرفة بالشيء، بان أسمى هو فاليري زيناتي."

"سعدت بلقائك، احتراماتي...وانت لك الشرف بمخاطبة اينات هايموفيتش."

"لا أدري ماذا أقول...هل تعتقدن انه من غير المسموح لنا بالنوم؟"

"ذلك العجل الصغير لم يقل شيئاً عن ذلك."

"حسناً، اذا سمحت لي فاني أريد ان أغمض عيني قليلاً. لدي شعور بان ذلك لن يكون متاحاً كثيراً خلال الأيام القليلة القادمة."

"صدقت، فاليري زيناتي. دعيني أفعل ذلك أيضاً."

أوافقها وأغمض عيني. في نصف اغماضة أرى رأسينا يستريحان أحدهما الى الآخر. أشعر بارتياح.

الصوت الآتي عبر الأنف والمضخم بمكبر الصوت يوقضنا بحدة.

"ايتها الجنديات، نحن على وشك المرور عبر البوابات الى قاعدة الإستقبال. ستمضون اليوم هنا. ستستلمون أغراضكم وتتهون اجراءات التسجيل. وبعدها سترسلون الى قاعدة التدريب حيث ستنضمون في الصفوف."

احدى الفتيات في المقاعد الأخيرة ترفع يدها وتسال برجفة: "هل صحيح انهم سيطعموننا باللقاحات؟"

موجة من الضحك تسري في صفوف الحافلة. تعتذر الفتاة والدموع تجري في عينيها، بينما تتمتم بانها ترتعب من الحقن.

العجل يؤكد الخبر المؤسف، مضيفاً، "أرجو ان تظهرن أفضل ما عندكن خلال السنتين القادمتين."

تميل "اينات" نحوي وتهمس، "نسى ان يقول وداعاً، وبلا رجعة."

أبتسم لها. أنظر خارج النافذة. نحن على حاجز بوابة القاعدة. هناك لوحات بيضاء معلقة على سياج الأسلاك الشائكة كتب عليها: "منطقة عسكرية مؤمنة يمنع التصوير. المخالفون يعاقبون بموجب القانون."

سبق وان رأيت العشرات من هذه اللوحات في الماضي. اسرائيل بلد صغير جداً، ومن الصعب الا ترى منطقة عسكرية كلما خرجت من دارك. ولكن مثل باقي الفتيات في الحافلة لم يتسنى لي ان أعرف ما الذي يتخبئ وراء الأسلاك الشائكة. قلبي يخفق بشكل أسرع قليلاً، أفقد صبري وينتابني الخوف. هذه واحدة من أكبر القواعد في اسرائيل والتي تقع على حافة تل ابيب. كل جندي اسرائيلي سواء أكان فتاً او فتاتاً لابد وان قضى يوماً او يومين من حياتهم في هذا المكان. أول يوم في الخدمة وآخر يوم فيها.

هناك جندي يقوم بالحراسة عند البوابة. يبدو ضجراً بشكل لافت. يفتش حقائبنا بلا مبالاة، يقول بضع كلمات الى مرشدنا ثم يلوح للحافلة بالمرور. تسير الحافلة لبضعة دقائق قبل ان تتوقف أمام عدة مباني مشيدة بطريقة البناء الجاهز. هناك امرأة بانتظارنا، ضابطة كما هو واضح من الرتبة التي تحملها على كتفها. يهبط مرشدنا من الحافلة يؤدي لها التحية. ينتابني شعور بان هذه مجرد تمثيلية صغيرة هدفها اثاره اهتمامنا. الضابطة ترد التحية.

نترجل من الحافلة.

"صباح الخير يا فتيات. انا الرائد "ساريت نيغون"، انا مسؤولة عن الإستقبال والتدريب. ادعوني بالرائد، لاشيء غير ذلك. هذه هي المرة الأخيرة التي ستكن فيها فتيات. اليوم ستصبحن جنديات، وعندما تخلعون البزة العسكرية بعد سنتين، اذا ما سار كل شيء على ما يرام ستكن سيدات."

"هذه ليست تحية استقبال انها خطبة مأم." "أهمس في أذن "اينات".

"لم توضح في ما اذا كان فض البكارة هو جزء من الثمن أيضاً." تهمس هي أيضاً.

"عليك تعلم بعض القواعد الآن." تستمر الرائد "ساريت" بالقول. "القاعدة الاولى، لاتسألوا أي سؤال عدا في الحالات الطارئة. كل ما ستأمرون به تم مراجعته من قبل أناس مسؤولين ومتمكنين. يجب تنفيذ أي أمر يصدر من أي شخص ذو رتبة أكبر منكن، طبعاً على الا تكون قتلا أو خيانة أو اعتداء جنسي."

ضحكة مكبوتة يضح بها الجميع.

"القاعدة الثانية: لا ضحك، لا كلام، ولا حتى حركة عندما يخاطبكم أحد ما لا أحد هنا لمجرد المتعة. هناك مجموعة معدة من القواعد العامة ستعطى لكل واحدة منكن في قاعدة التدريب. والآن ستستلمن أرقامكن وهوياتكن العسكرية وبعد ذلك سيتم تطعيمكن." صاحباتي يغلقن أفواههن. هل هن خائفات فعلاً أم انهن يخشين من اظهار عجزتهن أمام الجميع.

شخصيا انا لست خائفة من أي منهما.

"ستتناولون الغداء هنا ثم توزع عليكم البزات. وسأستغل هذه المناسبة لكي اتلو عليكم القاعدة الثالثة. ان سرقة او ضياع أي قطعة من الملابس أو المعدات أو السلاح عقوبتها السجن بين مدة تتراوح بين أسبوع الى سبع سنوات. واضح. والآن العودة الى اليوم. بعدما تغيرن ملابسكن وترتدين البزات سيتم نقلكن الى قاعدة التدريب بالحافلة وهناك ستبدأ رسمياً فترة الخدمة العسكرية. والآن اتبعوني."

نشك طابوراً منفرداً. الجميع متعاونات وكأتهن طالبات في المدرسة الابتدائية. "اينات" تسير خلفي مباشرة.

نمضي الى مساحة مغطات يصطف فيها بعض الجنود الاداريين الذين ينظرون الينا بهزاء. أدرك انها لن تكون المرة الأخيرة التي نتعرض فيها الى مثل هذه الإهانات الحمقاء العابرة. نحن الفتيات الجدييات وتلك هي الحالة التي سوف نبقي عليها لبعض الوقت.

يتم تصويرنا لعمل الأوراق الثبوتية. ليس هناك وقت لكي تختاري الوقفة أو تعدلي شعرك أو تتصنعي ابتسامة، عشرة ثوانٍ هي أكثر ما يمكن ان تأخذه كل واحدة.

يمنحوا كل واحدة منا قرصاً معدنياً ذي جزئين معلقاً بسلسلة متينة ويأمرونا بالانزاعه أبدأً على كل جزء من القرص كتب الأسم واللقب والرقم العسكري. يخبرونا بأنه في حالة الموت أو القتل في المعركة فإن القرص سيساعد على معرفة هوية الضحية. إذا كان من الصعوبة نقل المصاب من ساحة المعركة فإن الجندي غير المصاب سيقوم بكسر القرص ونزع نصفه لكي يأخذه الى السلطات التي تأخذه بدورها الى عائلته، في حين يترك الآخر على جسم المصاب. حين يؤخذ الجندي أسيراً فإن القرص يعني ان بإمكان الصليب الأحمر التعرف على هويته.

أثارت الإشارة الى إمكانية الموت ظلالة من الجدية على وجوه كل واحدة منا. الف السلسلة حول رقبتى وأبدأ بفرك القرص لتدفنته، بينما أبقى مرعوبة بما اطلقتة هذا الصوت الميكانيكي عن الجثث والضحايا والموت وأرض المعركة والعائلة التي ستنقل اليها الأخبار المؤكدة.

أستدير نحو "اينات".

كان بإمكانه ان يقول كل ذلك بصوت أكثر رقة، أكثر حزناً وأكثر اعتذاراً. لقد بث كل ذلك الرعب وكأنه كان يروج لبضاعته في مركز تسوق.

"الجيش ليس للشعراء، يا فتاتي العزيزة."

تبدأ الرائد بالحديث مجدداً.

"احفظن أرقامكن العسكرية، هنا هذه الليلة. انه هويتكن. عليكن بترديده بسرعة حتى لو أوقضت احداكن في منتصف الليل."

انظر الى قرصي: انا 3810159. رقم "اينات"، (علي ان اقول) "اينات" هو 3810168.

يعطونا بطاقة الأسير. تستوقفني بطاقتي، مكتوبة بالعبرية والفرنسية والتي أصبحت معروفة بأنها لغة الجيوش العالمية. يملؤني ذلك بالغبطة، وهو ما أثار استغرابي قليلاً: كأنها فرنسا، رغم انها بعيدة جداً، غير انها تعطي مؤشراً على الصداقة، مؤشر بإمكانني وحدي ان افهمه، وسط استغراب باقي البنات اللواتي حولي. أغرق نفسي باهتمام جدي بقراءة ملخص اتفاقات جنيف المطبوعة خلف البطاقة.

بعد ذلك يأتي دور التطعيم، الألم، لأننا كنا متوترات جدا كدنا ان نموت، عشرون منا في غرفة واحدة رافعات مؤخراتنا عالياً.
ثم جاء دور الطعام في مقصف كبير. نحمل صوانينا ونمر من بين جنود يرتدون بزات القتال يدافع بعضهم البعض يتبادلون النظرات والضحكات. هناك شيء ليس باستطاعتي فهمه: لو كنا التقينا مع هؤلاء الفتيان والفتيات في ظروف مغايرة لكنا تبادلنا الأحاديث بشكل طبيعي، كأشخاص متساوين. لكن في هذه القاعدة لكل منا دور يلعبه، نحن نمثل مجموعة المستجدين بمواجهة أخرى القدامى، وفي الحقيقة لا يهم كثيراً من يكون ماذا، فكل عنصر لا بد أن يعمل ما بوسعه ليسخر من الآخر. أعترف لـ "اينات" بما يجول بخاطري، أتوقع ان يكون هناك بعض التعليقات الساخرة. لكن ذلك لا يحدث. هي تومئ برأسها بشكل جدي. يقودونا لكي نقوم بعمل شيء آخر. شيء كان وقود حديثنا مع صديقاتنا خلال الأشهر القليلة الماضية: البزة العسكرية.

أعتقد اننا جميعا نتوق لها بشكل غير معن لأنها ستحولنا، ستمنحنا بعض الغواية، بعض الثقة، احساس بالهوية. تمتد أيادنا بتوق لكي تتلمس الحزمة؟ في الداخل هناك كيس كبير مصنوع من الجوت (كيس الجندي) قميصان بأكمام طويلة، قميص واحد باكمام قصيرة مصنوع من القطن الخشن، بلوزة واسعة، زوجان من السراويل، تنورة تشبه كيس البطاطة، انوراك رجالي نوع ميشلن، قبعة سوداء عليها رمز الجيش الاسرائيلي، حقيبة ظهر (سوداء كذلك عليها خيطان من الشرائط الفسفورية حتى يمكن رؤية حاملها أثناء الليل.) مع أحذية من موديلات الخمسينات والتي تعرف بأسم حذاء "غولدا" نسبة الى "غولدا مائير" التي استعملت 82 زوجاً منها خلال حياتها، والتي كان اهتمامها بالأزياء مثل اهتمام فلاحه من اوكرانيا في القرن التاسع عشر.

تحذير بان علينا الا نقوم بأية تغييرات في البزة لأننا قد ننقل الى البحرية او القوة الجوية حيث ان بدلاتهم رصاصية بالنسبة لسلحنا، والمعدات وبدلة القتال فاتنا سنتسلمها من قواعد التدريب.

نرتدي البزات في زمن قياسي وتبلغ الإثارة أقصاها امام
المرآة الوحيدة التي في الغرفة. دهشة وزخم من العواطف والسعادة
في ارتداء البزة، شيء أشبه بارتدائك لحذاء أمك وأنت طفل
صغير. يمضي الوقت سريعاً.

يأمرونا بالإسراع والخروج والوقوف في تشكيلات من خمسة
في كل صف لكي يعطونا هوياتنا وأخيراً للصعود الى
الحافلة. الفتيات اللاتي يعرفن بعضهن يحملقن بفرح في عيون
بعضهن البعض. اضغط على قبضتي بشدة، وأمل بغباء ان يعني
استعراض القوة هذا ان يتم ارسال "اينات" معي الى نفس القاعدة.
النداء على الأسماء ثانية. انتظر سماع رقمي. أحي صديقتي
الجديدة بإشارة صغيرة وامضي ببطئ الى الحافلة وفي حلقي
غصة. أكاد اقع على الأرض بعد ان يصدمني كيس يبلغ وزنه نحو
65 كيلو غراما. 65 كيلو غرام هو تقدير تقريبي يمثل وزن
"اينات" ال 55 كيلو غراما و10 كيلو غرامات هو وزن كيسها.
ها نحن على الطريق. انا في البزة أجلس الى جانب فتاة
أصبحت لتوها قريبة مني، وهي أيضا في البزة. أنظر الى ساعتني.
مضت نحو عشرة ساعات منذ ان أبتدأنا.

الرقم 3810159، الكتيبة 3، سرية (د)

أخرجت دفتر الملاحظات من حقيبتي على الغلاف كتبت ببساطة: جنديّة 19 سبتمبر--؟ وضعت علامة الإستفهام، اما لكي تزيدني ثقة، أو لترعيني حقيقة لا أعرف. مهما يكن فلا شيء أكيد بشأن المستقبل.

أريد ان أدون ملاحظات وافية عن أحداث اليوم، وخاصة تلك المتعلقة بمشاعري. أشعر اني اذا لم أكتب ما اقوم به بشكل يومي فكأنما لا شيء يحدث. أشعر بذلك منذ كنت في الثانية عشرة. السنة الوحيدة التي لم أدون فيها شيئاً كانت سنة قدومي الى إسرائيل: كان هناك الكثير من الاكتشافات والإنفعالات والناس الجدد، كل دقيقة فيها كانت مفعمة واللغة، العبرية، التي تجعل كل العالم من حولك عديم الفهم، كانت غامضة. لا أتذكر أي شيء من تلك السنة، كانها فجوة واسعة في ذاكرتي. وحتى اذا ما حاولت فلا شيء غير الظلام التام.

اليوم شيء من ذلك القبيل، استغرق الأمر بضعة ساعات لكي أنطلق نحو عالم غريب. وهكذا فبالرغم من أو بسبب تلك المنعرجات فاني أكتب جملاً دون فاعل أو دون فعل، مجرد صفات متفرقة.

الجنود الإداريون، مثيرون للسأم. الطعام، صعب المذاق. العالم كله رمادي وخاكي. حتى أشجار اليوكالبتوس تبدو وكأنها زرعت لكي تستكمل النظام اللوني الرمادي-الأخضر. مبكرة نوعاً ما، بزة الجنديّة. إثارة. انه لمن الغباء، ولكنني أشعر بانني مختلفة. است وحدي. جميعنا نتكلم بلغات مختلفة حين ارتدينا البزة. لا أطيق الإنتظار لكي أرى نفسي بمرآة كبيرة، من أخمس رأسي حتى قدمي.

"اينات". صديقة بنت لطيفة على أية حال.

كل شيء يمضي بسرعة، بسرعة كبيرة.

حل الظلام و"اينات" غطت في النوم. نمضي باتجاه حضرا، شمال تل ابيب. نظرة سريعة الى القمر، مدور ومضيء، وأعط انا في النوم.

تهتز الحافلة، تندفع، تختض. نترك الطريق السريع وندخل الى طريق جانبي ضيق. سلسلة من المطبات والأخاديد. من الواضح انهم يريدون ان ندرك اننا لسنا هنا من أجل المتعة. أستطيع ان أرى الأسلاك الشائكة التي تحيط بالقاعدة على ضوء القمر، نقطة التفتيش التي يحرسها جنديان، ضلال أشجار اليوكالبتوس الضخمة التي تبدو أشد سواداً من الليل. صورة مكررة لما رأيته هذا الصباح، بنسخة ليلية.

يطلب منا النزول من الحافلة مع متعلقاتنا وبضمن ذلك كيس العدة الكبير الذي يصل طوله نحو 120 سنتيمتراً. البنت القصيرة التي ارتعبت من التلقيح لا يمكن ان يكون طولها اكثر من 150 سنتيمتراً وبالكد يمكن رؤيتها من وراء كيسها. أبتسم.

"لماذا تبتسمين"، تسألني "اينات" مندهشة.

أميل بحنكي نحو "تالي"، اذا كنت الفظ أسمها بشكل صحيح.

"اسمعي. انا أشعر بالأسف لها. فهي تبدو مثل كيس له قدمين مع بعض الشعيرات من فوق. تذكرني بأفلام "لوريل وهاردي" و"شارلي شابلن". لعلك تعرفين ما أقصد؟"

"ليس تماماً. لا بد واني شاهدت بعضها حين كنت طفلة، ولكن الجميع كان يعتقد ان الدهر أكل عليها وشرب ، من زمن ما قبل الحرب"

"ليست مما أكل عليها الدهر وشرب." قلت محتجة. "انها تدور حول رجال قصار، سمان، سذج، متناقلون، فاشلون، أناس يخفون وراء أكياس كبيرة."

"انت تحبين الفاشلين، اذن، أليس كذلك؟"

أصابني السؤال بالصمم. انا كنت الأولى في كل شيء، خلال كل سنوات الدراسة، في الموسيقى، في التنس، (وفي الحقيقة ليس في الرياضة أو في السباحة) مما يعني اني لست بفاشلة. ولكني أرى في الفاشلين ما هو مثير.

ليس لدي الوقت لكي أشرح كل ذلك لـ "اينات"، أو حتى لنفسي. تمر الى جانبنا فتاة في منتهى الجمال. شعر بني قصير، بشرة زيتونية، وجه مستدير تماماً، ترتدي بزة حربية تبدو وكأنها صممت من قبل "ايف سان لوران"، ويعلو رأسها قبعة ذات حافة

عريضة تربط رشاشة ام-16 حول جسمها، انه السلاح الأكثر شيابة والذي يحمله الضباط فقط. ويدل الشريطان اللذان على كتيفيها بأنها برتبة ملازم.

"الملازم انبار كاتز"، تقدم نفسها. "انا قائد كتيبتكم. ضعوا الأكياس على الحائط واصطفوا في صفوف من خمسة أفراد، رجاءً."

صوتها لا يرتفع، ليس هناك في نبرة كلامها ما هو مزعج أو حتى فاتر. انه محايد، مع شيء من التعاطف. من الواضح انها تدرك ان ما عليها هو ان تكون هنا وان تفتح فمها، فقط حتى يطيعها المئات من البنات او أكثر. فجأة أشعر بقرف شديد، اميل نحو "اينات".

"هل تعتقدن انها عميلة مأجورة من قبل سوريا لكي تضع معنويات الجنود الإسرائيليين.
ربما، انها خارقة، الجميع يطيعونها فوراً. لديها قوة شخصية فائقة."

"ونحن نبدوا حمقاوات بيزاتنا الجديدة المتصلبة التي تفوح برائحة النشا من على بعد 200 خطوة."

تقف "انبار كاتز" بقامتها المستقيمة أمامنا، أربعة بنات أصغر منها سناً قليلاً، بمعنى آخر انها ليست أكبر منا، يرتديين قبعات عريضة الحافة أيضاً.

"مرحبا بكن في القاعدة 80. خلال الأسابيع الأربعة القادمة سنتلقين الدروس هنا في الكتيبة 3. هذه الكتيبة مكنونة من أربعة سرايا، كل منها تحت قيادة واحدة من العرفاء الأربعة اللواتي هنا. سيتلن أسمائكن ويأخذونكن الى خيامكن."

فجأة تغير نبرة صوتها، "العريف تمار!"
أطول البنات تتقدم أربعة خطوات الى أمام، تستدير ربع استدارة، ثلاثة خطوات الى اليسار، ثم ربع استدارة، خطوة للأمام، ثم ترفع يدها بسرعة خاطفة نحو صدغها. انها المرة الاولى التي أرى فيها تحية عسكرية حقيقية، أمر مثير للإعجاب.

"نادي على أسماء جنديات السرية أ."

"نعم سيدتي."

التحية العسكرية ثانية. تستدير العريف باتجاهنا وتقرأ قائمة الأسماء، وأنا أبدأ بالتعرف على الأرقام. أنط قليلاً حين أسمع رقم "اينات" بينما تغمز لي وهي تسير لتلتقط أشياءها. تضع العريف "تامار" القائمة في جيبها ثم تستدير نحو الضابط وتؤدي التحية، وتقول:

"عشرون جندياً في السرية، سيدتي."
"حسناً، انصراف."

تتصرف السرية. أنفصل عن "اينات" ولكني لا أشعر بأي إنزعاج. هناك الكثير من الإثارة. خلال دقائق سأكون قد انغمست في هذا العالم الذي تطغي عليه الجدية والرموز والتنظيم. نسيت كل مخاوفي، وخفقان قلبي، أشعر بغبطة وكأني أخبرت للتو بأني سأقوم بدور البطولة في إنتاج ضخم يدعى "جندياً" أو "بندقية في يدي".

تبدأ عريف أخرى بنفس الإجراءات التي قامت بها الأولى، لكنها أيضاً لا تنادي على رقمي، إنها العريف "كنيريت" ذات الشعر الأشقر المموج والعينين الزرقاوين الهادئتين. لم يبق إلا عشرين منا ولكنها مستمرة في النداء على الأرقام، وبعد ذلك تبلغ الضابط بالتقرير. نتبعها خطواتها إلى حيث يطبق الظلام. تأخذنا إلى الخيام، وتؤشر إلى الخيمتين المخصصتين لنا ثم تبدأ بتقسيمنا.

داخل الخيمة هناك عشرة أسرة بمراتب يبلغ سمكها حوالي سنتيمترين، وربما كنت كريمة في تخميني هذا.
"ضعوا حاجاتكن بجانب الأسرة، لديكم دقيقتان لكي ترتبوا كل شيء." وبعد ذلك عليكن بالإصطاف خمسة خمسة خارج الخيمة مع باقي أفراد السرية."
تغادر.

الخيمة يسودها جو من الإثارة. بعض البنات اللواتي يعرفن بعضهن يبدأن سجالات حول أي سرير سيخترن.
أسأل بهدوء. "هل لدى احداكن ساعة يد؟
كل الأنظار تتجه نحوي بدهشة.

"لقد قالت دقيقتان في الجيش ذلك يعني 120 ثانية وليس أكثر من ذلك. اعطوني ساعة يد وقرروا أي سرير ستأخذه كل واحدة منكن وأنا سأخذ المتبقي."

كنا جميعا خارج الخيمة في الثانية 118. العريف تنظر الى ساعة رياضية كبيرة بيدها. تخطو باتجاهنا لتقف في الأمام.

"ايتها الجنديات. من الآن سوف تسيرون صفوفًا حين تكن تحت قيادتي. المسير يبدأ عادة بالقدم اليسرى. عليك السير بخطوات و بانتظام في خط واحد، والإصغاء الجيد لأوامري.. "نصف استدارة لليمين. نصف استدارة لليسار. عندما تكن في تشكيل رباعي كما أنتن الآن، عليك ان تكونوا في وضع الإستعداد حتى تسمعوا الأمر استرح. ليكن كعبا الرجلين متلاصقين وقفن باستقامة مهما طال وقوف التشكيل. كل يوم سأسمي احداكن رئيسة السرية. عليها ان تعطي تقريراً بالأرقام في كل مرة يتم المناداة. سأعطيها قائمة بالمهام التي ستقوم بها السرية وعليها التأكد من متابعة التنفيذ واحترام التوقيتات. ستتحمل مسؤولية أي تأخير. هناك شيء آخر، عندما تكن في القاعدة فالواجب ان تؤدوا التحية لكل من هو أعلى مرتبة، بهذه الطريقة. تميل ذراعها بدرجة 45 وترتفع الى مستوى حاجبها الأيمن. ستتسلمون الأغطية والبطانيات وبزة الميدان. سرية (د) انتباه.

نقف بحالة الإنتباه.

"نصف استدارة لليسار"

نستدير كأننا امرأة واحدة.

"يسار، يمين، يسار، يمين، يسار، يمين..."

تتطلق المجموعة الصغيرة. البعض تواجه مشكلة في الخطوات فيتترك بعضها لكي يظل في الصف مع الاخرين.

"سرية (د) وقوف."

الجميع يقف كالموتى. بعض البنات لايزلن بأرجل واحدة معلقة بالهواء. تبدو وكأنها لعبة أطفال ولكن من غير سناجب رقيقة تتقاذف. نحن أمام بناية من تلك الأنواع الجاهزة البناء. مثل بناية الإستقبال في القاعدة، أو أي مكان آخر، واذا ما سألتني فان لا احد اعتنى بمعمارها.

"سرية (د) الى البناية في طابور واحد.
 نأخذ بطانيتين لا لون لهما وخشنتان مثل البلوز. بعد ذلك نعطي
 مقاسات ملابسنا واحذيتنا. يعطون كل واحدة منا طاقمين من البزة
 العسكرية مع قبعة صغيرة كتب عليها كلمة "تساهال" باللون
 الأصفر مع زوج من الأحذية ذات القياطين والتي تبدو أكثر اناقة
 من أحذية "غولدا"
 "سرية (د) انتباه."

"يسار، يمين، يسار، يمين، يسار، يمين.."
 نعود الى الخيمة حيث أمامنا خمسة دقائق فقط كي نغير
 ملابسنا وترك حاجياتنا.
 مرة ثانية في تشكيل رباعي أمام الخيمة. انتباه. استرح. يسار،
 يمين، يسار، يمين، يسار، يمين."
 اللاتجاه، مركز القاعدة. نتواجه مع سرايا أخرى تسير كما
 نحن. نتبادل النظرات محاولين التعرف على الوجوه، لكن الامر يبدو
 صعباً، فالجميع يرتدون قبعات.
 "سرية (د) قف."

نقف أمام ما يمكن ان يكون مطعماً، يبدو ذلك من خلال
 الروائح المنبعثة. هناك خمس سرية تنتظر دورها. الحذاء بدأ يحك
 قدمي، القبعة الضيقة بدأت تسبب لي صداعاً. ثم اني أشعر بالجوع.
 بعد حوالي ربع ساعة من الوقوف الثابت دون ان ننطق بكلمة
 واحدة، تدعى سرية (د) الى داخل المطعم. منذ تلك اللحظة لدينا فقط
 عشرون دقيقة، تلك هي تعليمات الإدارة وعلى الجميع الإلتزام
 بها. عشرون دقيقة للطعام وست ساعات للنوم يومياً، تلك هي
 حقوق الجندي الأساسية، الحقوق الوحيدة على ما أراها.
 في لوحة الطعام هناك سلطة الطماطة، اللحم المشوية بالذرة
 و جزر مسلوق. كل تلك المواد موضوعة في صينية ننظر اليها
 جميعاً بشيء من القرف. ثم يتم ارشادنا الى طاولة كبيرة مشغولة
 نسبياً الا أن احد الجنود المناوبين يقول لنا ان نجلس في الأماكن
 الشاغرة بشكل منتظم.

معظم البنات لا تمتد أيديهن الى ما هو موجود في الصينية
 ويتناولن علبه اللبن الزبادي الموجودة أمامهن. أسحب صينيته

أمامي بشيء من الحماس وسط نظراتهن المؤنبة. أسألهن ان كن سيمضين الأسابيع الثلاثة القادمة مضربات عن الطعام. ينظرن الي نظرات ودودة.

"بالمناسبة، هل انت فرنسية؟"
"نعم."

"ها.يا لك من محظوظة."

"اخبرينا عن باريس."

"قولي شيئاً بالفرنسية."

"غني لنا (تحت ضوء القمر)."

ها نحن نعود الى ذلك ثانية. لكنهن يبدون سعيدات جداً وانا استجيب لطلباتهن بكل سرور. أقول بالفرنسية شيئاً مثل اننا سنقضي وقتاً رائعاً بالبزة العسكرية، ثم أبدأ اغني الشطر الاول من (تحت ضوء القمر) بينما هن يصغين بإقتناع. انه لأمر سريالي، ها أنا هنا جنديّة في بزتي العسكرية وأستعد أن أقضي ليلتي داخل خيمة، وغداً ربما سأحمل سلاحاً وبعد كل ذلك أغني بالفرنسية.

يحين الوقت لكي نفرغ صوانينا ونضعها على حزام ناقل.

لا غرابة. تشكيل رباعي. يسار، يمين، يسار، يمين، يسار، يمين. الى اليسار استدر. يسار يمين، يسار يمين، يسار، يمين. سرية (د) قف.

"لديكن الآن نصف ساعة حتى اطفاء الأضوية. الحمامات هناك بعد ثلاثة خيم. الليلة وكإستثناء لن تقوموا بواجب الحراسة. الإستيقاض صباح الغد سيكون في تمام الساعة الرابعة والنصف وفي الساعة الخامسة ستكون خيمتكم قد افرغت تماماً وأنتن في تشكيل رباعي. من هي الرقم 3810254؟

ترفع بنت يكسو النمش وجهها يدها.

"حسناً، أنت الآن مسؤولة عن المجموعة من الآن وحتى الأربع وعشرين ساعة القادمة. ستقومين بعد رفيقاتك الجنديات صباحاً وتعطيني تقريراً بذلك، هل تفهمين ذلك؟"

تقوم رقم 381054 برفع يدها حتى صدغها.

"نعم."

"عليك القول نعم سيدتي."

"نعم سيدتي."

"جيد؟ هل هناك أي سؤال من المجموعة؟"

"هل بإمكاننا ان نقوم بأية اتصالات تلفونية؟" تسأل تلك التي عينت لتوها رئيسة المجموعة.

"هناك كابينا تلفون مخصصتان بالقرب من المقصف يعملان بالعملة المعدنية. ولكن تذكرن ان ندائاتكن التلفونية يجب الا تؤثر على الوقت المخصص للنوم. هل هناك أسئلة أخرى؟"
صمتنا هو الجواب.

"حسناً، سرية (د) انصراف، عمتن مساءً."

واخذاً ان الليلة ستكون قصيرة، فقد اعتبرت ذلك نوع من السخرية.

مرة أخرى يدب النشاط في السرية.

حوالي عشرة من الفتيات أو أكثر يسرعن الى الخيمة ويفتشن بجنون عن بطاقات التلفون التي جلبناها معهن. أخريات بسبب أنهن أكثر اهتماماً بالنظافة أو لأنهن أكثر إستقلالية يمضين نحو الحمامات يحملن بأيديهن فرشاة الأسنان والصابون.
أجلس انا لوحدي مترددة. هناك بعض الخيارات التي لا أستطيع ان أقررها.

مثل الأخريات، أشعر بان على أن أخبر أحداً بما جرى طيلة يومي هذا. أعرف ان هناك في البيت من ينتظرنني على أحر من الجمر. ولكن ان ذهبت الى كابينة التلفون فسأكون على لهفة ان أكلم "راحيل"، وبعدها "يوليا". الفتيات الأخريات (لم أعود بعد على مناداتهن بالجنديات) سيبقين يضربن بالكابينة قبل ان أبدأ بضرب الرقم الثاني. تلفونان فقط وهن حوالي 200 بنت وصلن اليوم. وبحساب سريع فاذا ما قامت كل واحدة باتصال واحد فان كل واحدة ستحصل على عشر ثواني وضمن ذلك الوقت المخصص لضرب الأرقام، وبدء الإتصال وضرب الجرس.
مزعجات.

لسنوات كانت أمي تردد على مسامعي، أغسلي أسنانك ثلاث مرات كل يوم، بشكل جيد، صباحاً، ظهراً ومساءً. ولربما فان علي

ان أبرهن هذه الليلة مرة والى الأبد، ورغم اني قد كبرت واني أردي البزة العسكرية، بني لم انس شيئاً مما تربيت عليه.

الطقس مداري بشكل لافت داخل مجمع النظافة (.. النظافة يا لها من كلمة). هناك نحو عشرين فتاة يستحمن. الآخريات ينتظرن دورهن. ليس هناك ستائر، ربما غالية الثمن أو لعله أكثر نظافة. أعتقد ان ذلك قد يكون السبب. ما لم يعتبر الخفر هنا خصوصية مرتبطة بفترة المراهقة، ولا مكان له هنا.

ألتقط فرشاتي الجديدة من الحقيبة وأقف أمام واحدة من خمس عشرة حنفية معلقة فوق حوض معدني واحد ضيق. الماء يجري ضعيفاً، مثلما تجري مياه الرصيف، لكن هنا يجري مختلطاً ببقايا معجون الأسنان واللعاب. لا شيء من هذا يبدو مقلقاً للفتيات. بعضهن ينشدن أغاني من تلك التي تعلمناها في الكشافة، الحركة الوطنية غير الدينية. يبدوون متسقات مع أنفسهن. ذلك ما جعلهن يخترن الحمام على التلفون.

أفتش عن "اينات" ولا أجدها. لا أعلم في أي خيمة هي وليس لدي أكثر من عشرين دقيقة قبل ان تطفى الأضواء. أريد ان أقرأ بعض الشيء وان أكتب بعض الأشياء قبل ان أخلد الى النوم. الاتجاه خيمة السرية (د).

ثلاثة من رفيقاتي في الخيمة أستلقين في أسرتهن. يقرمشن البسكويت بينما يناقشن رحلتهم غير المجدية الى كابينات التلفون. يحدقن بي بين الحين والآخر ولكن ليس بما يكفي لكي يقطعن نقاشهن. أفتح كتابي.

"انت ايتها الفرنساوية، هل تقرئين دليلاً سياحياً عن قواعد الجيش الإسرائيلي؟"

"هل تأملين ان تنهي رسالة دكتوراه في الإستراتيجية العسكرية في عامين؟"

"هل تحتاجين لقراءة ليلي والذنب قبل النوم؟"

تستمر التعليقات الساخرة بالتطير. لا أعيرها أية اهتمام. الدعابة الساخرة والإزدراء في هذا البلد هي وسيلة تواصل يدركها كل فرد. هي لغة داخل اللغة. انها طريقة للتأكيد للشخص

المعني بانه ليس هشاً (وهو ما يعادل هنا كونه مبتسماً)، أي انك لا تحتاج للدوران حوله بحذر. انا أجعلك هدفي، وان عليك ان تكون واحداً منا.

لذلك أغلق كتابي، الذي هو بالفرنسية، وأشرع بالتفكير في فرنسا، حول كيف كنا نساغر الى باريس في العطلات. أختي وانا كنا نحلم بذلك طيلة العام. ربما ليس من المناسب الآن ان أسترجع ذكريات أسعد الأيام في طفولتي.

أشعر بالقليل من الذنب لأنني نحتيت الكتاب جانباً. ويمتلكني شعور بان علي أن أدافع عن قرائتي أمام رفيقات الخيمة.

"اذا كان علينا ان نرتدي البزة العسكرية فذلك لا يعني الا نكون متعلمات. واذا كنت فرنسية فذلك لا يعني ان أعيش قصصاً خرافية."

أدرك انني ربما تماديت قليلاً.

مدعية، متحذقة (كاذبة، لصة، قمينة، شريرة، أستمتر بالكتابة. بشكل آلي أصنع قائمة في رأسي، وهناك قليل من الشك ان ذلك ينطبق علي.)

ولكي أعوض عن عجرفة المثقف فيّ، أظيف "أو ان علينا ان نساير التيار. نحن سنكون ملازمات لبعضنا البعض شهراً بطوله. لا بد ان نتعرف أحداً بالأخرى."

لم يكن لإقتراحي ان يأتي في أفضل من هذا الوقت. جاءت الفتيات الأخريات من الحمام ومن كابينات التلفون. تفوح منهن رائحة الصابون بالفانيليا أو باعينهن المحمرة، أو كما أتخيل باحاديثهن التي تفرط القلب مع أمهاتهن. مقدمة.

"كارين، من حيفا."

"تمارا، من عسقلان."

"شلوميت، ادعيني شولا، من بتاح تكفا."

"سيفان، رئيسة المجموعة، اذا ما كان علي ان اذكركن، من

القدس."

"ريكين من كفار سابا."

"يائيل، من رفيفيم."

"دوريت، من طبريا."

"غاليت، من تل ابيب."

"فيريد، من بات يام."

وانا.

أسم غريب. من مدينة لم أولد بها. أسمائهن كلهن لها معاني خاصة مباشرة، شعاع الشمس، تمر، غزالة، موجة صغيرة، وردة. أو انها تعود الى شخصيات توراتية مثل ربيكا (رفيكا والتي تختصر الى ريكي) أو شلوميت. انها أسماء تعني شيئاً، وهن يسألن مالذي يعنيه فاليري.

"لست أدري. أعتقد انها من اللاتينية. ولكن اذا ما قطعتن الكلمة، فا، لي، ري، فانها تعني اذهبن واضحكن."

ذلك يثير حيرتهن قليلاً. ثمّة في الخارج من يصرخ. "اطفؤوا الأضواء. اطفؤوا الأضواء."

تمتد عشرة أيادي لكي تطفئ الأضواء. أصوات تقول "تصبحوا على خير" من كل الاتجاهات.

انها العاشرة والنصف. منذ خمس سنوات لم أخلد الى النوم في مثل هذا الوقت المبكر. سألهو بشيء من التفكير. ادس نفسي في الفراش الضيق الصغير لكي تجد موقعاً مريحاً، أستعيد ما حصل اليوم، سوف ...

لا شيء من ذلك، وأعط في نوم عميق.

الى الامام سر

شيء مزعج ان يوقظك شخص ما لا تكاد تعرفه في منتصف الليل (حتى لو كان الصباح في عرف الجيش يبدأ الساعة الرابعة صباحاً). حالما تخرج من الفراش تشعر بالبرد. ومع ذلك انه سبتمبر. لم أشعر قبلاً بالبرد في مثل هذا الوقت في إسرائيل. أرى بعض فتحات التهوية العملاقة والتي تبدو مسؤولة عن تبريد قواعد الجيش، لتعليمنا كيف ان الحياة جديّة هنا.

من الواضح ان الجميع أقل ثرثرة من مساء الأمس، نضع بزاتنا العسكرية. اذا ما كنت أبدو مثل الآخريات فمن الأفضل ان أبتعد عن المرأة: وجه منتفخ، بشرة شاحبة، عيان متورمتان. تبدو "سيفان"، التي تشعر انها قد بدأت الإضطلاع بدفة القيادة، قلقة بعض الشيء من ان بعض الفتيات يرتدين البلوزات أو الانوراك.*

"هل تعتقدن انه مسموح لنا بذلك؟" تسأل بصوت خفيض.

الأشياء المتجمدة من البرد يهزرن بأكتافهن.

"علينا الإستيقاظ الساعة الرابعة والنصف، لكن لا أحد قال لنا ان علينا ان نتجمد من البرد. اذا ما قالت أي شيء فسنخلعها، هذا كل ما في الأمر."

وهكذا، وضعت البلوزة والانوراك الرجالي ماركة "مشيلن". حتى عارضة أزياء ستبدو كالفيل في تلك الملابس. لكنها لا تؤدي الخدمة العسكرية وليس بإمكانها ان تشعر بالإحباط الذي يولده البرد حين تكون الملابس سيئة، وحين تكون جنديّة. حول المغاسل تتجمع كتلة من لابسات الخاكي. ألمح رأساً صغيراً أشعث وأضع يدي على عينيها. تبصق "اينات" معجون الأسنان.

"هل نمت جيداً؟" تسألني.

"لا تسألني أسئلة يمكن ان تزعج أناساً في منتصف الليل."

"في أي خيمة انت؟"

"رقم 13، وانت؟"

"رقم 27. حاولي ان تأتي الليلة قبل ان يطفنوا الأنوار. علي ان أذهب فلم أرتب فراشي بعد."

وانا أيضاً. أعود الى الخيمة مع الفتيات حيث يدور نقاش ساخن. كيف نرتب فراشنا؟ البعض يدعي استناداً الى مصادر مطلعة (أباء، أخوان، أصدقاء) بانه يجب طوي الأغطية والبطانيات، أخريات يقطن يجب شد كل شيء بعناية، لكن احدي الفتيات تقترح برومانسية ان نشد الغطاء أسفل السرير مثلما يفعلون في الفنادق. رئيسة المجموعة تفقد صبرها، انها الرابعة والنصف.

"أيا ما كان ما سنقلعه فلن يكون صحيحاً." لا تقول "كينيريت" أي شيء محدد. دعونا فقط نتأكد انها مرتبة. وبسرعة" في تمام الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والخمسين نكون في حالة التشكيل الرباعي. تقف "سيفان" في الصف الأول، متوترة جداً. تظهر العريف "كينيريت" في تمام الساعة الخامسة وبيبرود تعطي أوامرها.

"سرية (د) إنتباه."

نرفع أذرعنا اليمين الى مستوى الجبين. الفتاة التي الى يساري تطلق صرخة خافتة وتمسح عينيها. الواضح ان الحركة التي قامت بها لم تكن صائبة. أعض على شفتي كي أكبح ضحكة.

"الجنديّة "سيفان"، قدمي التقرير."

تتقدم "سيفان" ثلاث خطوات الى أمام، تؤدي التحية وتقول (بصوت كان من المفترض ان يكون حازماً. "عشرون جنديّة في السرية، سيدتي."

"أي سرية؟"

"سرية (د)، سيدتي."

"عليك ان تقولي ذلك بوضوح. ابقوا في الإنتباه. سأقوم بتفتيش خيامكم."

تمضي دقيقتان. تعود دون ان تبدي أية ملاحظات.

"سرية (د) نصف استدارة لليسار. يسار .. يمين، يسار

يمين... يسار يمين."

نصل الى الميدان الذي كنا قد تجمعا فيه ليلة البارحة. كل الكتيبة متجمعة هناك، لكن الملازم "انبار كاتز" ليست هناك."

احدى العريفات تبدأ بالكلام.
 "سنبدأ يومنا ببعض تمارين الإحماء.الفطور عند الساعة السادسة.الرجاء نزع الانوراك والتجمع في صف واحد.
 نخلع الانوراك ونرتجف. ومن ثم بأوامر من العريف نبدأ الجري.

20 سبتمبر، الساعة 9:30

لم يعد هناك وقت للتفكير.كل دقيقة هي موضع حساب، كل ما نقوم به هو بموجب أوامر، لم ننعم بدقيقة من الراحة منذ الصباح.من غير المتصور القيام بمبادرة من أي نوع.تعلمنا كيف نطوي أغطية الأسرة والبطانيات بشكل صحيح (60سمx40سم).قبل أي شيء لا بد من نفض البطانيات بقوة حيث تنطلق غيمة من الغبار.اعتقد انهم ينقعونها في حمام من الغبار قبل كل موسم.محظوظات أولئك اللواتي لديهن ربو، إذ انهن معفيات من ذلك.ابتداء من الغد سيكون هناك تفتيش، مرة واحدة على الأقل باليوم.هناك قائمة الواجبات التي علينا انجازها، المطبخ، الحمامات، واجبات الحراسة الليلية.لأننا لم نتعلم الرماية بعد وليس لدينا أسلحة فستكون الحراسة خارج خيمتنا فقط.ليس هناك من جدوى لهذه لأن هناك من يؤمن حراسة القاعدة.ولكن يبدو لي ان كلمتي "مفيدة" و "منطقية" لا معنى لهما هنا.نحن نتبع الدروس ونواجه حياة صعبة، لا غير.

ومع ذلك فان أشعر اني بوضع جيد.الفتيات مرحات، نضحك حالما نختلي بأنفسنا (وهي مرات نادرة).لا واحدة تعرف الأخرى من قبل.انها أرض بكر.نمر باول تجربة كينات ناضجات (على ما يبدو).ذلك ما يساعد على سرعة الألفة.

21 سبتمبر، منتصف الليل

كان يجب ان أكون نائمة.ولكني انهيت لتوي واجب الحراسة.انه أمر مضك.علينا ان نسأل كلمة السر-اليوم كانت الكلمة "قهوة من غير سكر"- من كل من يأتي الى الخيمة.انا جنديّة الكتيبة.لو كان لدي شراب سحري لسقيته للطباخين.صدقا، ان وجبات الطعام مقرزة.انضمت الى نادي آكلات اللبن

الزبادي. انه مفيد للرشاقة، لكن قلة النوم وعدم الراحة يجعلك تشعرين بالجوع. من حسن الحظ ان لدى كل منا كميات من البسكويت، جمعناها سوية.

22 سبتمبر، الساعة 11:15

اكتب على ضوء النور الذي تبثه ساعتى بعض الفتيات يشخرن. و"كارين" تمصص ابهامها.

اليوم استلمنا بندقية. انه شيء مرعب. سنمضي سبع سنين في السجن لو فقدناها أو سرقت. لا بد من ان نبقيا معنا طوال الوقت، أو نفلها بالسريير. (ماذا اذا سرق أحدهم السريير.) حتى الآن تعلمنا التحذيرات المعروفة. اذا ما اقترب احد منا ونحن في نوبة الحراسة علينا ان نسأله عن كلمة السر. اذا لم يجب علينا ان نقول "قف" بصوت واضح ومرتفع، وبعد ذلك نقول "قف والا سأطلق النار. قف والا سأطلق النار." مرتين. اذا استمر بالتقدم: أطلق لتقتل. أطلق لتقتل.

انهما مجرد كلمتين، ولكن حين ترتبطان سوية فانهما يبدوان مثل انفجار. لا مفر من ذلك. كفاية الآن أستطيع النوم.

سبتمبر 23. الساعة التاسعة مساء.

سوف نخرج. هابيتا! هابيتا! تلك الكلمة الرائعة التي تعني الذهاب الى البيت. ننتظر الحافلة التي ستأخذنا الى محطة الحافلات الرئيسية في الخضرا. من هناك سنكون أحرارًا في الذهاب الى البيت. أحرار بكل معنى الكلمة حتى منتصف نهار الأحد.

انتظرنا ساعتين حتى وصلت الحافلة. سلومونا ورقة الإجازة للسماح بمغادرة القاعدة. (ليس بإمكانى الإنتظار أكثر لأستلم ورقتي ومن ثم أقوم بالاتصالات التلفونية، لكي أغازل، أبكي، أرى اصدقائي، أرتب شعري، أقرأ، أكتب، أضع مساحيق التجميل، أتزوج، ولا أعرف ربما أشياء أخرى.)

محاولة الحصول الى توصيلة مجانية على الطريق غير مسموح بها. الطرق عبر البلاد مليئة بالجنود يحملون أسلحتهم، رافعين ابهامهم الى أعلى. ما الذي يفعلونه؟ هل هي تمارين الجمناستيك، يتنفسون الدخان الخارج من عوادم السيارات؟ "هذا كل ما في الأمر. تمنع التوصيلات المجانية."

من الضروري كذلك عدم التثرثرة بأسم قاعدتنا، أسماء الضباط، والضباط الصف، زملائنا الجنود، كم عددنا وما هو الرقم العسكري لكل منا.

"لكن جميع من في البلد يعرف بأمر هذه القاعدة"، تجرأت احدى الفتيات على القول "نصف السكان مروا من هنا." ومع ذلك ففي الجيش يجب ان تمتنع عن الكلام. "ومع ذلك فلا احد مصرح له بالكلام. في الجيش كل شئئ مصنف بانه مخصوص واي شئئ ليس مخصوصاً فانه سري." "وما الذي هو غير سري؟"

"سري للغاية."

لدى العرفاء أجوبة جاهزة لكل شئئ دائماً. هم سادة قواعد اللعبة والتي تتطلب منا وقتاً طويلاً لإدراكها. سنتان.

"على الجميع ان يعود للقاعدة يوم الأحد. ستكون حافلة بانتظاركن في محطة الحافلات في الخضيرا في تمام الساعة الحادية عشرة لنقلكن. في منتصف النهار ستكن أمام الخيمة. عطلة سعيدة."

بعض الفتيات سيكن معي في الحافلة لبعض الوقت حتى تل أبيب. نرفع بفخر هوياتنا الجديدة (مسموح للجنود ركوب حافلات النقل العام مجاناً). ننتظر رد فعل ما من السائق، ابتسامة، تحية. لكنه يبدو مبتئساً ولا أبالياً لمجموعتنا الخاكية الصغيرة. لكن على الجانب الآخر، ترتسم على وجوه الركاب تعبيرات محبة... منبعتها نظراتهم الينا. الناس في الشارع يقصدسوننا.

في الحافلة التي تقطع النقب الى بير سبع: أضع السماعات في أذني. وحدي وحرة. خلال ساعة سأعود الى عائلتي. لحد الآن لدي شعور بالحرية اللامحدودة. ربما يعود ذلك للموسيقى ولمنظر الريف

الذي تخلفه الحافلة المنطلقة الى امام.أعتقد اني بدأت اكتشاف ان الحرية هي الحركة.وأخذ نفساً عميقاً.

بحدود الساعة الرابعة عصراً أصل الى مدينتي، التي يخيم عليها السكون.تتهياً للساعات.انه مساء الجمعة ويوم الراحة على وشك ان يبدأ.ينتابني شيء من الشعور بالغرابة وانا أسير هنا بالبزة العسكرية.أشعر كأنني في حفلة تنكرية.كل واحد سينظر الي ويبتسم، او يضحك.انهم يعرفون فاليري، وليس الجندي المكلف رقم 3810159.

لكن ليس هناك أحد.حين أقرع الباب تتلقاني صيحات الفرح.لم يكن لدي وقت لأخبر والدي بقدومي.أمي تحتظني، وأبي يحاول ان يأخذ نصيبه مني.

"كنت متأكدة من مجيئك هذا الأسبوع.قلت ذلك لأبيك.عملت لك كل الأشياء التي تحبينها."

"دعينا نلقي نظرة عليك، تبدين جميلة، البزة تلقيك بك."

"ضعي القبعة على رأسك.باللروعة، أنت جندي حقاً."

أضع قبعتي.وايضا أوذي التحية. "تمام.انا جندي، ذلك مذهل."والآن بما اني في المنزل، مع والدي، لا يبدو بإمكانني ان أحزر مالذي يعنيه هذا بعد الآن.ليس هناك الكثير الذي تغير، فانا في أجواء مألوفة، كل ما هنالك اني ابتعدت لأربعة أيام.أشعر ببعض عدم الإرتياح، وليس بإمكانني ادراك السبب، ولكنني أخفي ذلك عنهم.

انا الآن رحالة عادت لتوها من أرض لم يسعها اكتشافها.هم يمطروني بأسئلتهم.

"أين نمت؟" تسألني أمي بقلق.

"في خيمة."

"يالله، هل لديك ما يكفي من البطانيات؟"

"طبعاً لدينا، وعلى أي حال، انت تعرفين، حين تكونين مرهقة

فانك لا تشعرين بالبرد."

"ماذا عن الأكل؟" يسألني أبي.

"مقرز."

ينزعج.ربما من جوابي الصريح أو من الواقع ذاته.استغل
الوقفة لوهلة لكي أسألهم عن شقيقتي.يتأسفون انها لم تستطيع
الحصول على اجازة هذا الأسبوع.بالتأكيد سوف تكون هنا في
عطلة نهاية الأسبوع القادم.أقول بيني وبين نفسي، على هذا
المنوال فلن أراها لعام كامل.أحاول ان أخبرهم عن كل شيء
بالتفصيل، لكني أنسى بعض الأشياء، فأعود ثانية الى اليوم
الأول.الى اللحظة التي تركتهم فيها.

لا يبدو الأمر يسيراً، فانا أتحدث عن عالم غريب يحاول والذي
ان يجد شبها مع أيام خدمته العسكرية خلال حرب الإستقلال
الجزائرية.أمي تحاول ان تنهره.

"لقد حكيت لنا تلك الحكايات مئات المرات، تلك أخبار
قديمة.وعلى أي حال، ليس الأمر كذلك معها، فهي جنديّة، فتاة."
أصغي الى الإعتزاز الذي في صوتها، في حقيقة كوني فتاة
وجنديّة شيء مريح.

بعد ان بقيت هناك لوقت معقول، أتسلل الى الخارج وأعدهم
بأني سأكون معهم على العشاء.الإتجاه هو الى "راحيل" و"يوليا".
ومن نافل القول انني لم أخلع بزتي.

تتلقاني بإندهاش يثير في البهجة.

"أنظروا الى تلك الجنديّة الجميلة."

"البزة تليق بك حقاً، حقاً." تقول "يوليا". "دائماً ما أقول ان

الخاكي يليق بالسمراوات."

"انه يناسب الشعر المحمر أيضاً"، أرد بلهجة (تصالحية

مماثلة)، أو هكذا أظن.

"ضعي القبعة، هيا نأخذ صورة."

تأتي "راحيل" بكاميرتها.كلبك ثم تجرب "يوليا" ارتداء

القبعة، وتتخذ ذلك التعبير الجامد، كأنها من سلالة مارلين

مونرو.لم أتمكن ان أعرف كيف بإمكانها ان تتخذ تلك الوقفة.المرّة

الأولى التي حاولت ان أقلدها أمام المرآة بدوت مثل كلب دوبرمان

تائه لم ينم لعشرة أيام.

وتحت الحاح أسئلتهم بدأت أخبرهم بكل شيء.وصفت اليوم

الأول بالتفصيل.حدثتهم عن "اينات".(التي لم يبدين أي اهتمام

بها) وعن الملازم "انبار كاتز" تلك التي من فرط جمالها فأتنا نطيع أوامرنا بشكل أعمى. ("ذلك سخف"، تقول "يوليا". "انتن تطيعونها لأنها ملازمة.") أخبرهن عن الخيمة، عن البطانيات اللواتي غطسن في التراب، الشعور وكأنا في مخيم العطلة حين نحصل على بضع دقائق من الحرية، عن الروتين اليومي، وعن كل الأشياء في الأوقات الباقية. المسير في الوقت المحدد، الركض، ترتيب الأسرة، تعلم المبادئ الأولية، والتي سرعان ما يأتي غيرها...

أرى ان اهتمامهما يضعف لذلك أسئلتهما، وماذا فعلتما انتما خلال الأيام الأربعة التي مرت؟"

ذهبتا الى السينما كما ذهبنا الى البحر يوماً. تسوقنا في تل أبيب في احدى الليالي ذهبنا مع المجموعة الى بار جديد في المدينة يدعى "اورغاسما". (منذ فترة أصحاب البارات بدأ يتنافسون باطلاق أسماء مثيرة، مؤخراً رأينا "القيامة الآن"، "المطر القرمزي"، "الحطام"، "الملعون"، "دراكيولا"...)

لم يفعلوا الشيء الكثير، تسكعوا سوية. يمضي كل منا في طريق على ان نلتقي مساءً مثل كل مساء جمعة."

عدت الى البيت سريعاً استغربت أمني من عودتي مبكرة، لكنها لم تنبس ببنت شفة. بينما كنت أنتظر العشاء سجلت بعض الملاحظات في مذكراتي، لكن ما كان بوسعي ان أقرر في ما اذا كان هناك "معسكر" للمذنبين، "يوليا"؟ "راحيل"؟ انا؟ من لم يعد يفهم من؟ من لا يشعر أنه بحاجة أن يستمع للتفاصيل الصغيرة التي لا تعنيه؟ ما الذي حدث في أربعة أيام، بحيث ذابت تدريجياً تلك الالهفة لرؤية احدانا الأخرى حين التقينا ثانية.

لم يكن بوسعي فهم تلك الحالة الغريبة. كنت حزينة ولكن ليس الى الدرجة التي أبكي بها.. أو حتى ان أتحدث عنها لأي أحد.

صحيفة نهاية الأسبوع، مع كل ملاحظتها كانت فوق الطاولة. قرأت عمود "يوناتان جيفين"، لا يسعني ان يفوتني مهما كان الأمر. هو يساري لا يحدد مثلما هو مدمر لا يحدد. يتنقد الحكومة واحتلال الأراضي الفلسطينية وللمقدرة الإسرائيلية الأسطورية

على النقاش دون سماع ولو كلمة واحدة مما يقوله الآخرون. هو في لندن ويكتب عن الصورة التي عليها إسرائيل من هناك دولة صغيرة لا يتوقف الآخرون عن الكلام حولها. منتحتني مقالته الفرصة لكي أتنفس قليلاً بحرية. تصفحت الجريدة أبحث عن شيء آخر. لكني لم أكن مهتمة بأي شيء مما يدور في العالم.

شغلت التلفزيون. كانت الأخبار قد بدأت لتوها. اضطرابات في الأراضي، في جنين. أعمال عنف، إطارات سيارات تحترق، منجنيقات وحجارة، وأعمال عنف مضادة من جانب قواتنا، إطلاق رصاص مطاوي. جرح خمسة عشر فلسطينياً. ثلاثة جرحى إسرائيليين. لا موتى اليوم كي نحصي ونقارن بين الطرفين، كي نعزز الكراهية أو السجال ضد الطرف الآخر.

الحافلة التي إستقليتها من الحضرا لكي أصل الى تل أبيب تمر على بعد كيلومترات من جنين. ربما في تلك النقطة كنت انا و"تامار"، و"شلوميت" و"غاليت" نغني. ربما كانت أغنية "شلومو ارتزي"، "أرض جديدة".

ذهبنا الليلة الى البار وكنت سعيدة ان ألتقي بالأولاد، وخاصة "فريدي"؟ كلمني عن القاعدة وكأنه كان هناك بيننا. جعلني ذلك أشعر بالإنتماء ثانية. وانا بملايسي المدنية شعرت وكان شيئاً لم يتغير، وكأنه مساء جمعة آخر وليس 42 ساعة منحت لجندية في السرية (د) في الكتيبة 3.

كنت متعبة وكان لايزال أمامي الكثير من الشراب علي ان أعبه، الا أنني تركته وذهبت مباشرة الى الفراش ونمت طويلاً. استيقظت، شئت غارة على الثلاجة: بعضاً من الدجاج، كرات اللحم التي تصلبت بسبب البرد، بعض الخيار المخلل، قليل من الكيك المعمول بالسמיד المحلى بالعسل والذي تصنعه أمي أفضل من أي أحد.

تلك هي المرة الأولى التي أهدم فيها بتلك الطريقة، تاركة باب الثلاجة موارباً وضوفاً متقدماً، مثل حرامي. أقضي السبت بين لعبة تنس مع أمي ومحادثات فارغة أخرى مع "راحيل" و"يوليا"، وفلم رائع على التلفزيون.

بقيت أقول لنفسي ينبغي ان أستغل كل وقت الإجازة، اذ لا أدري متى سأكون هنا ثانية. لكني لا اعرف ما الذي يمكن ان أفعله. ماذا هناك غير ما هو معتاد في السبت (عطلة عامة) في بير سبع، مدينة هادئة (هادئة جداً) في عمق الصحراء. فجأة أحس بانني افتقد "جين ديفيد" تماماً مثل اليوم الأول بعد مغادرته. أضرب رقمه في تل ابيب. بعد عشر رنات يرفع التلفون، ويرد بصوت ناعس، هالو. أقفل السماعة.

لا يسعني الإنتظار كثيراً للعودة الى القاعدة، الى زميلاتي الجنديات الضاحكات اللواتي لا يعرفن مشكلاتي. لا أطيق الإنتظار، ان أكون الأولى في التدريب الذي وعدونا به. أردت ان أعرف ما الذي سيأتي لاحقاً. لأن ذلك هو الذي سيكون عليه حياتي منذ الآن. اما بنر سبع، بيتي، صديقاتي، قلبي المحطم، الذي أجره وراني مثل بطانية الصغار، فسأركن كل ذلك لبعض الوقت.

**** جاكيتات خفيفة ذوات قبعات**

ممنوع لمن دون الثامنة عشر

25 سبتمبر، الساعة 9:30 مساء

عدت الى القاعدة في وقت متأخر. بررت بانني أعيش في الجنوب وان على ان أقطع مسافة 200 كيلو متراً وان أغير المحطات عدة مرات. اكتشفت ان في يوم الأحد يتحول البلد كله الى معسكر كبير يتسابق فيه الجنود في مختلف الإتجاهات، يتقافزون نحو الحافلات.

أصغت الملازم "انبار كاتز" لي ثم قالت "حسناً، سوف نرى اذا كان هناك أي مبرر للعقوبة."

الفتيات نظرن الي بتعاطف واضح. ابدو عديمة الحيلة. كنت سعيدة برؤية "اينات" ثانية. أخبرتني عن عطلة نهاية الأسبوع الذي قضته هنا. لقد صادقت نصف الذين في القاعدة،

لكنها تقول انني الأفضل؛ انها رائعة كما اني عدت (لكن بقليل من الحماسة) الى صحبة اللحم البقري المشوي مع المعكرونة اللزجة. الدينا برد وتم منحنا أكياس نوم.
علينا الإستيقاظ الساعة 3:45 صباحاً.
انا سعيدة بالعودة. (مازوكية)

28 سبتمبر، الساعة 9:15 مساءً.

علينا التعامل مع مالايقل عن 236 حالة في اليوم، جميعها وفق جدول متقن، دون وقت لجر الأنفاس. لا يمكنك تصور نفسك شيء آخر سوى انك جندي. هناك فاليري جديدة، لا وقت لديها للتفكير خلال ساعات النهار وبالتأكيد فهي تخلت تماماً عن فكرة ان تقرأ كتاباً خلال الأسابيع الآتية. أشعر اني أقوم بإتصال مع فاليري الأخرى خلال الليل حين أضع السماعات في اذني وانام.
لم يعاقبوني بسبب تأخرى عن الوصول، ولا اظن انهم سيفعلون ذلك.

واجباتي كانت في المطبخ. مثل قرمة بجانب الجبابة، قدور الطهو التي يبلغ قطرها متر، ملاعق كبيرة. نكسر المئات من البيض حين نصنع الاومليت لبرهة أشعر وكأني في مطبخ الغول أحاول ان أطهو له وجبة بكل تأني وبخوف وتفاني حتى اتفادي ابتلاعي حية.
كان علي ان أغسل مئات الأطباق. أمي لا يمكن ان تصدق ذلك. (أفعل ما يفعله الآخرون. استيقظ في الساعة الثانية لكي اجري اتصالاً تلفونيا مع البيت. هناك فقط خمسة فتيات ينتظرن دورهن. أمي قالت انها كانت مستيقظة لأنها كانت تشعر بالعطش. أشعر بالامتنان للكذبة.)

اليوم وزع احد الضباط المسؤولين عن الإنتدابات أوراقاً تتضمن قائمة بالخيارات المتوفرة لنا.

لدي الخيار بين:

الإستخبارات

مدربة جنود قتال

ضابط (في اية وحدة، ماذا أفعل، من يدري..)

ميكانيكي دبابات

مدير المصادر البشرية

الخيار الثاني مغري، وكذلك الرابع. انهما مثيران لأنهما دوران معلومان وواضحان وانا في ما يبدو أعشق قيادة الجنود. لكن الحظ يأتي بما يشاء. لقد ادبت اختبارات عديدة في مجال الاستخبارات قبل التحاقني. لقد خلقوا هذا الإنطباع بان بإمكانني ان اختار، انا بإمكانني ان اخلق الإنطباع بانني أصدق ذلك، لإيام قليلة فقط.

اخذنا الدرس الأول في استخدام السلاح. تعلمنا كيف نفكك ونركب البندقية في خلال ثلاث دقائق فقط. لماذا يجب علينا ان نتعلم كيف نفكك البندقية؟ لكي ننظفها في الواقع. ننظفها بهذا السائل الأسود الكثيف الذي يبدو برائحة المطاط وقطعة قماش يطلقون عليها اسماً غريباً، فلانيليت. منظرنا مثير للفخر، ننحني جميعاً تحت الشمس مفككين بنادقنا الى قطع.

كان عندنا درس التاريخ العسكري كذلك، مع عرض لفلم عاطفي جدا حول حرب الإستقلال. نقيب في الثالثة والعشرين من عمره كان يقاتل في معركة مذهلة شمال القدس. (لا ادري لماذا قلت مذهلة) ففي الواقع من كان مذهلاً هو النقيب في نهاية الفلم الوثائقي يشرحون لنا الأهمية الاستراتيجية لما شاهدناه ويخبرونا بان النقيب يموت ولكن ليس ضمن مشاهد الفلم، نشعر بالحزن بطبيعة الحال.

يطلبون منا التبرع بالدم للجنود الجرحى، ليس الأمر اجبارياً ولكنني اتقدم للتبرع. انا متأكدة جدا ان ذلك بسبب الفلم. لا يريدون مني دمماً لأن ضغطي منخفض جداً. غداً سنقوم بالجري مع معداتنا.

29 سبتمبر، الساعة 8 مساءً.

مرهقة. لكنني اكتشف مصادر للمقاومة الجسدية لم أتوقع أبدا اني أمتلكها، كأن هناك أحداً يدفعني طيلة الوقت، يأمرني بالوقوف في اللحظة التي أكاد أسقط فيها. هذا الصباح، الرياضة أولاً، ثم استعداد تام لتفتيش تام. بعبارة اخرى، ان التفتيش سيجري من قبل

الملازم "انبار كاتز" ذاتها وليس من قبل الرقيب "كينيريت". لم هذا التشريف نحن لا نعرف ربما لملء الجدول الزمني.

كانت محنة نوعاً ما. كان علينا نكرر كل ما نقوم به أربعة مرات. المرة الأولى لأن ثمة غبار كان لا يزال عالقاً بأحدى البطانيات. كان علينا ان ننفض كل البطانيات مرة ثانية في المرة الثانية. بدت من احدى الفتيات والتي ليست من خيمتنا ضحكة، حين كانت لا تزال واقفة بالإنتباه في الصف. وفي الثالثة نست "فيرد"، البنت التي في خيمتنا فرشاة أسنانها على سريرها. فرشاتها على السرير! نستغرب من هذا الخطأ. نحذرنا باننا سنحلق لها شعرها ان أخطأت ثانية، مما يجعلها تنزوي وتبكي. اما الرابعة، فقد كانت بسبب ان الخيمة لم يتم كنسها بشكل جيد حيث بالإمكان رؤية بصمات الأقدام على الأرضية.

بعد ذلك جاء دور الركض. كل شيء، البدلة المضادة للرصاص، رشاشة أوزي، مشطي عتاد وقنينة ماء كبيرة. إضافة الى ثلاثة لترات من صفائح الماء (والتي تزن كلها ثلاثة كيلوغرامات) والتي نحملها بالتناوب. نركض حول حقل للذرة بجوار القاعدة. للدقائق الأولى ظل يراودنا شعور في منتهي الروعة، كأننا فتيات رامبو. بعد ذلك تتحول المجموعة الى طابور يجر بالوحد. تبدوا الفتيات نوات الجسم الرياضي في المقدمة في هيئة جيدة ويتميز سيرهن بالخفة رغم المعدات والفتيات المترهلات، الضعيفات، الكسولات اللواتي في المؤخرة. شخصياً كنت في الوسط بينهما. لست خفيفة وبهية، بل يتصبب عرقي وينقطع نفسي اما ملامح وجهي فتبدو ممزقة بين التوتر وبين رغبتى الشديدة الا أكون من بين من سيكون في المؤخرة.

أكثر المراحل صعوبة ليست الحصول على حمام بعد العودة. نحن نستحم في المساء عادة. سيكون من سوء الحظ لو ظهرت روائح نافرة.

عصر اليوم كان لدينا درس في الرماية بوضع الإنبطاح. في كل مرة أحمل سلاحي أشعر وكأني معه شخصان في الوقت ذاته. انه أمر مزعج. حين أملاً المخزن أقوم بتدفئة الطلقات بيدي. طلقات العوزي من عيار 9 ملم. الطلقات مدورة من الأعلى وهي

قصيرة مقارنة بطلقات ذات عيار 7.7 ملميمتر التي تستخدم في رشاشة ام-16 التي هي أطول، مدببة ومخيفة لم أكن أدرك ان للطلقات شخصيات.

شيئ جميل أنهى به مذكرات اليوم لقد بدأنا نتعلم كيفية السير بتشكيلات طوابير الإستعراض.

والآن مسك الختام أشعر بان هناك قليل مما هو ذي قيمة تبقى في رأسي، حتى اني لم أعد أستطيع التفكير بدأت أشعر بأني افتقد فرصة ان أختلي بنفسي.

سنبقى داخل القاعدة خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه اتصلت بأمي التي أخبرتني بانى اجتزت إمتحان البكلوريا بدرجة (أ-). انها أقل قليلا من (أ) وذلك بسبب الرياضيات او بالأحرى بسبب "جين ديفيد". لكن ذلك يبدو من زمن مضى.. ماذا تعني البكلوريا في هذا المكان.

اليوم قصير ويوم غد لن يكون هناك الكثير لنعمله سوى عمل المطبخ والحراسة في الجيش يحترمون يوم الراحة أيضاً وعلى القول اني يجب ان أحترم ذلك أيضاً. والآن انه وقت النوم.

السبت 1 اكتوبر، الساعة 4:30 بعد الظهر.

اليوم هو يوم غريب. هناك إحساس بانك جندي ولكن دون أي عمل تؤديه، انت فقط موجودة في القاعدة، دون متعة، دون ارهاق، دون احباط (أحيانا) في الأيام الماضية قدموا لنا طعاماً خاصاً: دجاج بلا عظام، بطاطس مقلية (لكنها، ويجب الإقرار جيدة جداً) ونبيد دبس السكر. نستمتع بالوقت ونقوم بالتجوال في القاعدة.

أمشي باستقامة في طريق من أمام خيمتنا ينتهي الى غابة صغيرة من أشجار اليوكالبتوس. أفكر مع نفسي، اليوكالبتوس شجرة فريدة، انها كبيرة جداً ولكنها غير عشومة، ربما لأنها مرتفعة جداً. كما ان لها أسماً جاداً، وليس أسماً شائعاً مثل باقي الأشجار والنباتات. روائحها تذكرني بالبرد في طفولتي. امي كانت تضع بضعة قطرات من زيت اليوكالبتوس فوق وسادتي لكي

يساعدني في التنفس. وأعرف ان الطلائع هم الذين زرعوها هنا بداية القرن العشرين، لكي يجففوا المستنقعات والقضاء على موجات الملاريا. هل تم زرع أشجار اليوكالبتوس في معسكرات الجيش الإسرائيلي من أجل خصائصها الإستشفائية. أعتقد ان السبب يعود الى ان طولها الفارع يشكل غطاء يحجب العيون المتصلة عن الأسرار العسكرية... نحن مثلاً.

خلف أشجار اليوكالبتوس هناك الأسلاك الشائكة. أدهش قليلاً لرؤيتها، لم أتوقعها، ليس هنا وأنا هائمة وسط الذكريات بالنسبة لي أن مجرد الكلمتين أسلاك شائكة" تعني امكانية ان يتمزق جلدك. أقترب منها بحذر. هناك حقل تم حرثه قريباً، على بعد أقل من نصف متر من السياج. من بعيد هناك طريق لا يمكنني رؤيته بشكل جيد لأن الأرض ليست مستوية. هناك سيارات تسير، اناس يمضون في طريقهم الى ساحل البحر للنزهة، انه يوم جميل. بإمكانني ان أتخيلهم، ان أضمهم جميعاً، مثل ذاكرة مثقلة تحاول ان تتذكر شيئاً كان له وجود ولكن لم يعد هناك.

عندما عدت الى الخيمة قالت الفتيات اني أبدو غريبة. لم تكن لدي الرغبة بان أشرح لهم. لحسن الحظ فان لدى أكثرهن من الطاقة والحيوية مما يؤهلهن ان يتعاملن مع أي شيء. غنيا، ثم قضينا وقتاً مستمتعاً بتأليف الشعارات. القاعدة، يمكنني القول، مليئة بلوحات الإعلان التي تحمل شعارات مثل:

ايها الجنود قودوا سياراتكم بحذر. من الأفضل ان تأتوا متأخرين خمسة دقائق في هذا العالم من ان تأتوا مبكرين خمسة عقود في العالم الآخر.

ايها الجنود تأكدوا من ان قيافتكم نظيفة دائماً. الجندي الأنيق هو جندي كفؤ في القتال.

ايها الجنود، أدوا التحية لمن هو أعلى منكم رتبة. احترام الكبير الخطوة الأولى للنظام.

انفجروا بالضحك حين قلت انها مثل الحكم الفلسفية الصينية. "غاليت" بدأت بالزعيق: جنود، جنود، جنود، جنود، جنود، جنود! اين الجنود؟ ليس هناك غير الفتيات. اين الجنود؟ ذلك ما اتيته من أجله.

وهكذا فقد اخترعنا الشعار الآتي:

ايتها الجنديات، جدن جنود أحلامكن، فالحب سيعطيكن بعض الراحة.
هكذا، السخرية تمنحنا بعض الراحة.

تأتي "كينيريت" لتقضي بعض الوقت معنا. حالما نراها نقفز لكي نشكل تشكيلا رباعياً ونقف بحالة الإنتباه. تبتم وتقول: "لا ايتها البنات انه يوم الراحة، جئت لكي أرى كيف تسير الأمور معكن."

تجلس معنا. "غاليت" و"ريكي" و"سيفان" (الأكثر ثرثرة او ربما الأكثر ثقة) يبدأن بسؤالها.

"من أين انت؟"

"من كيبوتز في الجليل."

"أي واحد؟"

"كفار بلوم"

"انت محظوظة. هل تذهبين للتجذيف؟"

"لا، ليس كل يوم، ولكن كثيراً."

"هل انت هنا منذ فترة طويلة؟"

"كم عمرك؟"

أشعر وكأني عدت الى أيام المدرسة عندما كنا نريد ان نعرف كل شيء عن معلمينا (هل هو متزوج، أعزب؟، هل لديه اطفال؟، هل لديه منزل ام شقة؟ هل لديه كلب؟ بيانو؟)

لا تدعنا "كينيريت" نغرقها بالأسئلة. "على مهلكن. انا جئت هنا لكي أتعرف عليكن. هل لي ان أسئلكن نفس الأسئلة؟"

لم نجد الامر مسليا ان نتحدث عن انفسنا فلذلك حاولنا ان نحول الحديث الى الجيش، الى ما سوف نقوم به خلال الأسابيع القادمة.

"متى سنقوم بالرمي الحقيقي من بنادقنا؟"

"ماهي أبعد مسافة علينا ان نركضها؟"

"هل هناك شبان في القاعدة، عدا ذلك الطباخ السمين؟"

"متى سنعرف أي وحدات سيتم ارسالنا لها؟"

"كنيريت" تجيب عن بعض الأسئلة ولكن ليس كلها. لا بأس فنحن كنا نتسامر كأصدقاء يمضون عطلتهم سوية، كما لا بأس أنها لم تكن سوى في التاسعة عشر على ابعث تقدير. (بالإمكان ان تكوني رقيباً في الشهر الرابع من الخدمة العسكرية. وتمضين ثمانية عشر شهراً في تلك الرتبة قبل ان تصبحي عريفاً، الحسبة بسيطة.) هي معلمتنا ولا بد أنهم أعطوها أوامر محددة بما يمكن ان نعرفه عنها. تنهض: "استمتعوا بما تبقى من وقتكم الحر. غداً عودة الى الروتين."

2 أكتوبر، الساعة 9:15 مساءً.

ركضنا خمسة كيلومترات هذا الصباح. من الواضح ان الركضة الأخيرة ستكون خمسة عشر كيلومتراً. ربما سأكون قد مت قبل ذلك، او نقلت الى جهاز إنعاش، أزرر.. أزرر..

أيضاً، درس الرماية، عندما ترمين من وضع الانبطاح تضعين خذك على مقبض البندقية، وتكون الحركة رشيقة جداً. بعد ذلك خذي وضع الرماية الآلية ثم تقفين والبندقية الى جانب فخذك. لماذا علي ان اخفي الحقيقة. انا مأخوذة ببندقتي الرشاشة. انها اذات الموت ونحن نرى انها سهلة الحركة. لانفكر للحظة باننا سنستخدمها يوماً ما، ولكنها في الوقت ذاته الدليل الأكيد باننا جنديات حقيقيات، على قدم المساواة مع الشبان. كم أكون فخورة حين أفكر بذلك.

أجري لنا امتحان لإختبار مقدرتنا في القيادة. انه تمرين يقوم به كل واحد منا بأن يشرح ماذ تعني الخدمة العسكرية للسرية، وبعد ذلك عليك التعامل مع من أولئك اللواتي لا يقبلن المنطق العسكري. أعتقد ان أدائي لم يكن سيئاً.

وفي الختام: درس في الإسعافات الأولية مع عرض فلم واقعي عن الجروح التي يمكن ان تتعرض لها من طلقات تقليدية، طلقات متفجرة، قذيفة هاون، حروق مختلفة وأسلحة كيميائية وبيولوجية. بعد ذلك يشرحون لنا كيفية أخذ الحقن، مضادات العناصر الكيميائية، عمل الرباطات وتعلم كلمات المواساة. يؤكدون

لنا ان الجندي الإسرائيلي لا يترك ميتاً أو جريحاً في أرض العدو حتى ولو على حساب حياة الآخرين.
غد سأكون رئيسة السرية.

4 أكتوبر، الساعة 9 مساءً

ليلة أمس وبعد العشاء كان لنا حديث ممتع مع "كينيريت". الموضوع: ماهي الرابطة التي تشدنا الى إسرائيلي هذا البلد الذي لم يبدأ الا عام 1948 والمليء باليهود من كل أنحاء العالم. البعض يقول انها أرض الأجداد، ابراهيم، اسحق، يعقوب وداود. آخرون يشعرون ان الإبادة التي تعرض لها اليهود خلال الحرب العالمية الثانية برهنت ان يجب ان يكون هناك دولة يهودية تكون مأوى لهم اذا ما هددوا ثانية. القليل من الفتيات اللواتي كان لهن رأي معقول الى ان وصلن للقول انهن ولدن هنا وان الإنسان عادة ما يكون ملتصقاً ببلده الأم. بعد ذلك تقرأ كينيريت نصين أدونهما هنا.

"ذباية على الحائط في نيوزيلنדה"

"بقلم ايدي ليونسن"

أحيانا تنتابني الحيرة عما يمكن ان تكون الحياة عليه في نيوزيلنדה. السفر عبر جزر المحيط الهادئ، العيش في بلد من الصعوبة ان تجده على الخارطة، أنمو في بيت ذو سقف أحمر، وأسير في ممرات خضراء وسط الريف، أحياء في بيت اشاده الأجداد، أكون حفيداً لجد ما في الشيخوخة، أدرس التاريخ مانتى ساعة في كتاب صغير، متهاكك، أترع النبيذ من البراميل التي في السرداب. سرداب لا يستخدم كملجأ.

ان أكون نيوزلنديا وبإمكاني ان أضع خطأً لخمسة سنوات، أهتم بشؤون فريق كرة القدم المحلي، ربما أطلب وظيفة في الجيش، بإعتبار ان ليس هناك خدمة إجبارية. أكون حراً من الجيش على أمل ان أعيش حياة فيها إثارة، أقرأ جريدة نيوزلندية ولا أهتم بمعرفة مالذي يجري في الأرض المقدسة، لماذا يحارب الناس من

أجل كل شبر من الأرض في حين ان العالم مكان كبير وان الحياة
واسعة. الإعتقاد ان كل البشر سواسية.

ان تكون نيوزلنديا وان تعرف بان المدافع تطلق فقط في
مناسبة عيد ميلاد الملكة، وان الطلقة هي قطار سريع في اليابان،
ان حقيبة النوم هي شيء تستخدمه عندما تخيم، وان الأرملة هي
أمرأة كبيرة السن. وحينما يخبرها الجيران بان ابنها سقط في
المعركة فانها ستسأل عما اذا كان قد اذى نفسه.

انا لا ألومك، يا إلهي، لأنك اخترت امتنا من أجل هذا. انا أقبل
بحكمك، بحب واعتزاز. لا يمكنني ان أبدل القدس بويلنغتن، او
حياتي هنا بحياة راغدة، في اي مكان آخر في العالم. هذه هي
أرضي

ولكن هل حقا ان الناس في نيوزيلندة يموتون من الضجر؟

ولدت في السويد

ولدت في السويد،
بشعر ذهبي مع أطفال لا يلعبون لعبة الحرب.
أبرياء لا يسألون ان كان الله موجوداً.
لأنهم لا يحتاجونه.
اما انا فهنا،
على أرض لمام،
حولها التاريخ الى عقد من التوترات،
تعقيدات لا نهاية لها.
فتية في ريعان شبابهم،
هناك أبطال في كل يوم،
هم لا يسألون أيضاً اذا كان الله موجوداً،
لأنهم يخشون الإجابة.
أنت لترانا،
مكان قيل لها انه الوطن،
التقينا بالعطلات الصيفية،
حللنا ان كل شيء ممكن.
بعد شهرين، بعد ان شاهدت كل شيء،

بعد ان أحببت،
 بعد ان امتلأت ببلادي، عادت الى هناك،
 الى موطنها الرائع الذي يعيش في سلام.
 أحيانا، تخبرني في رسائلها كم تحبني،
 وتطلب مني ان أكون معها، الى الأبد.
 لديها بيت بجانب البحر،
 هناك في السويد، مثلما في حكايات الأطفال.
 شخصياً أعتقد انها محقة.
 لكن في احدى الليالي الممطرة، بقيت مستيقظاً لساعات،
 كتبت لها اني أحبك،
 لم يكن بمقدوري ان اشرح لها ولا لنفسي،
 اني مدين لشخص ما بثلاث سنوات من عمري،
 او العمر كله.
 لا يمكن للمسادا ان تسقط ثانية.

عندما قرأت "كينيريت" تعويذتها الشهيرة، "لا يمكن للمسادا ان تسقط ثانية" بصوتها الرقيق، غرقنا جميعا بالدموع، كنا على استعداد لكي نأخذ السلاح وان نفنى في ذات اللحظة في حماية وطننا الصغير. الوطن حيث هناك أرامل في الثلاثين، حيث لم تصمت المدافع، وحين يقول جار لجاره ان أبنه سقط، فمعنى ذلك انه سقط في الحرب. وفي جو الصمت المثير كانت كل واحدة منا تشعر انها جزء من سلسلة أحداث التاريخ الثقيلة، سلسلة الموت، ولكن أيضاً الأمل. كلنا عدا واحدة، "دانيلا" (من الخيمة الأخرى) قالت من غير أي تردد "ان تلك سخافة مطلقة. انها دعاية."
 اندهشت "كينيريت" في حين ان الفتيات الأخريات كدن ان يرمين بأنفسهن عليها. "انت لا تعرفين ما الذي تقولينه. انه بلدنا. تاريخنا ليس من حقك ان تقولي ذلك."
 ظلت "دانيلا" هادئة، الا انها ردت، "انتن تبتلعن أي شيء يقدم اليكن يحدثونكن عن هذا البلد المثالي وانتن تصدقن ذلك بسذاجة. هذه الكلمات المعسولة قد تصلح لكي تقال في فلم على التلفزيون يوم الإستقلال. انها جيدة لإقناع الحشود باننا على أجمل

ما يكون، اليس كذلك؟ "بلد رحيم، حساس، مسالم، ولذلك،
وباللاسف، نحن مجبرون ان ندافع عن أنفسنا."

"ولكن تلك هي الحقيقة." تحتج "فيريد"

"أية حقيقة، الحقيقة التي تريدن الإقتناع بها حتى لا تسألني
نفسك أي سؤال بشأن البزة التي ترتدينها، ما الذي تعنيه
للفلسطينيين، مثلاً."

مرت لحظات من الصمت لا اظن ان أحداً قد توقع مثل
ذلك كانت "كينيريت" تستمع الى النقاش ولكنها لم
تتدخل. العواطف سادت ثانية.

"هذا ليس صحيحاً، لا علاقة لذلك ألبتة نحن لدينا تاريخ مميز
جداً لقد أضطهد اليهود في كل زمان ومكان والطلائع الصهيونية
ضحت لكي نستطيع ان ننعيم هنا بالسلام."

"لذلك علاقة كبيرة." تقاطع "دانيلا". "طالما ان لدينا تلك
الصورة الرومانسية غير القابلة للخطأ عن أنفسنا، سوف نستمر
بإضطهاد شعب حتى دون ان ندرك ذلك."
"لكنهم هم الذين..."

ظل النقاش الفلسطيني متعثراً. حالما انتهوا من مناقشة كل
النقاط، تمسكت "دانيلا" بموقفها بينما رمى "المعسكر الوطني"
بعض الأشياء في وجهها، موتى الهولكوست، وأولئك الذي سقطوا
في حرب الإستقلال، في حرب الأيام الستة، في حرب يوم الغفران،
والحرب في لبنان. ومن بين الموتى كان هناك جدة، خال، أب، أخ،
أبن عم، صديق...

لم أنبس ببنت شفة. لم يكن لدي قريب احترقت جثته. كما اني لم
اكن أظن ان كلام "دانيلا" كله خاطئاً، ولكن من الضروري ان
تقولي الأشياء بطريقة اخرى حين تحاولين شرحها دون ان
تجرحي أحداً، أو تستفزي تلك الدموع، دون ان تخضعي كل شيء
للمساءلة.

او ان عليك ان تيأسي ثم ترمي بزتك وتهربي من الموقع.

5 أكتوبر، 8:30 مساءً.

قمنا بركضة الخمسة عشرة كيلومترًا اليوم...انا أستطعت ان أركض سبعة كيلومترات منها.انه ضغط الأيام القليلة الماضية، ان نعيش في هذا الكون فترة طويلة، ان نكون محكومين بالتفكير لمدة نصف ساعة فقط (عندما اكتب).لابد ان يكون الأمر كذلك.اثناء قيامي بالركض، تدرعت بنوع من الحجج من تلك التي نبتدعها في المدرسة الابتدائية عادة، احدى عدسات نظارتي واهية الأحكام.في منتصف الركضة وبشكل خفي أخفيتها في جيبتي، ناديت على "كينريت" وأخبرتها بانني لم أعد أرى جيداً.لم تحاول ان تخلق أية مشكلة لي، أعطيت ورقة سماح وامرت سيارة الجيب التي ترافقتنا بان تعيدني الى القاعدة، حيث بإمكانني بسهولة ان انتقل الى الحضر.

أربعة ساعات لوحدتي، أربعة ساعات من الحرية التامة.لا يمكنني ان أخفي سعادتي.في الحضر التي لم يسبق ان زرتها، أعدت العدسة مكانها وجلست على أول مقهى وجدته أمامي.أدير ناظري بدهشة، أناس من مختلف الأعمار، يرتدون ملابس بالأبيض والأسود وكل الألوان الأخرى، أطفال رضع في عرباتهم، أولاد يتراكون، هؤلاء ظلت أراقبهم بفضول شديد.لم أشاهد أطفالاً منذ زمن طويل.لا نأبى بالأطفال في الشوارع عادة، ولكنني أعيش الآن في عالم حيث أرى رجالاً ونساءً بين الثامنة عشرة والخمسين، لكن لا أثر للأطفال فيه.أدرك انني أفقد ذلك، او بالأحرى ان عدم وجودهم من حولي هو شيء لا يبدو طبيعياً.أخاطب نفسي، أعيش في عالم محرم على من هو دون الثامنة عشرة.

لم أعمل شيئاً طيلة ساعات ثلاث.لم أكتب شيئاً، حتى أنني لم أكلم أهلي أو "راهيل" او "يوليا".ارتويت من أصوات المدينة، ومن البيوت الصغيرة المتباينة الطراز (ليست جاهزة البناء) ومن الناس.

تنفست من عبق الحرية المسروقة.

6 أكتوبر، الساعة 9:20 مساءً.

كنا قد خمننا، ولكن الآن تم التأكد من المعلومات من مصدر موثوق، سوف يسمحون لنا بالخروج نهاية هذا الأسبوع.

**

حيث لا يموت أحد من الضجر

أشعر أنني أخذت بالتعود على حافلات شركة "أيغيد" الحمراء التي تقطع بخطوطها الطرق عبر البلاد بطولها وعرضها. أصبح لدي روتيني الخاص، أطلب مقعداً إلى جوار الشباك، إن أمكن، أضع سماعة الموسيقى في أذني، أنظر إلى الريف، أخضر قياساً بالنقب. إنه الريف الذي يغنون له في الأغاني التي تتحدث عن إسرائيل الجميلة، أرض الطلائع الأجداد: عمال أقوياء، أصحاب ذوي نظرات مملوئة بالثقة والعزيمة، لكن بملابس رثة (لكنهم لا يهتمون بتوافه الأمور، التي لا يأخذ بالهم منها الآخرون). ما يميز شخصياتهم، أنهم يحبون الغناء الجماعي، في المساءات، حول المواعيد في المخيمات، غالباً أغنيات ثورية روسية تم ترجمتها إلى العبرية.

في كل مرة كنت أعطس في مقعدي، أسند ركبتي على المقعد الأمامي، وأغمض عيني.

يقولون ان السفر بالسيارة يدفع الأطفال الى النوم.... وكذلك الجنود.

أصحو وسط الصحراء، كما المرة الأخيرة. أدرك من خلال مصنع إلى اليسار باني سأكون في بئر سبع في غضون ربع ساعة. كأن تلك البناية المتهاكة القاتمة هبطت هناك لكي تكون علامة طريق للمسافرين. كم من المرات خلال السنتين القادمتين سيقول لي ذلك المصنع باني أعود إلى بيتي؟

أشعر بالراحة، أو بالأحرى كأني خارج نفسي، غريبة. نصفني في القاعدة ونصفني الآخر في البيت. وان القسمين لن يعودا واحداً مرة ثانية، أنا متأكدة من ذلك. لا شيء بإمكانه ان يوحد بين هذين العالمين وان علي ان أرتب حالي كي أتعاش مع حياة مزدوجة... دون ان أصاب بالشيزوفرينيا.

مرة قرأت بان المساجين، بعد ان يقضوا عقوبتهم لا يستطيعون ان يتمتعوا بحريتهم المستعادة. لا يعرفون مالذي يفعلون بها، يرتعدون منها، يغرقون فيها ثم يصابون بالكآبة. ذلك حين يعودون إلى اقتراف الجريمة ويعودون للسجن.

أختي "سونيا" ليست في البيت، وانا بدأت افتقدها.والديّ يقيمان عرضاً لإظهار كم أنهم سعداء بعودتي بعد أسبوعين من الغياب، لكنهما يبدوان غريبين الأطوار نوعاً ما، مشوشين.ينظران الي وكأني قد كبرت ثلاثين عاماً بين عشية وضحاها.هل تغيرت الى ذلك الحد؟هل هي انا،من داخلي، ام ان الأمر يتعلق بسحر البزة العسكرية؟

انت لا تتكلم مع جندي بنفس الطريقة التي تتكلم بها مع مراهق.لا أحد يأمرهم بان يرتبوا غرفهم، أو ان يخفضوا صوت الموسيقى، أو يتوقفوا عن الكلام بالهاتفون.بعد الآن لن أسمع تلك الكلمات التي رافقت حياتي مع والدي حتى أسابيع قليلة ماضية. أشعر بأنه تغيير قاسي.

الجنديّة إنسانة ناضجة لديها مسؤوليات أكثر من الوالدين.فهي تحمل على عاتقها مسؤوليات الأمن القومي،ذلك ماقاتله الرقيبة "كينيريت" لنا ذات ليلة.

أتصل بـ"راحيل" و"يوليا"، لا أطيق الانتظار لرؤيتهما والحديث اليهما، حتى لو كانتا لاتفهمان شيئاً.

أراهما في غاية الحماس.العد العكسي لهما قد بدأ:تم استدعائهما للخدمة يوم 17 أكتوبر.من المحتمل جدا ان تكونا في نفس القاعدة مثل الأخريات وحتى في نفس السرية.آية آية غامضة للحظ تلك التي في الجيش، والتي قررت ارسالها للخدمة لوحدي في حين انها جعلت أعز صديقاتي يذهبن سوياً؟

اليوم، ربما بسبب ان يومهن المصيري قد أزف، فانهن يبدين إهتماماً أكثر بكل شيء أقوله.ولتعديل التوازن في علاقاتنا فقد جاء دوري لكي اكون غير مكترثة، خبيرة، وأيضاً متكلفة رغباً عني.انا أسبقهن قليلاً في عالم الجيش.مثلما كنت العام الماضي الأسبق في أن أمضي ليلة مع شاب، ولأشهر بقيت أمتلك خبرة لم يمكن بوسعهن ان يدركاها.

تغادر "يوليا" لأنها تريد ان تأخذ حماماً عميقاً بالفقاعات.تلك هي نقطة ضعفها الكبرى.قبل سنتين قرر كلانا ان نكتب مائة حلم أو رغبة أو خطة نبغي ان نحققها في حياتنا.عندما أتذكر ذلك اضحك.مائة، ياله من رقم طفولي.واحدة من أحلام "يوليا" كان ان

تأخذ حماما بالشمبانيا. من الجائز انها اخذت الفكرة من مقالة حول "مادونا" او "اليزابيث تايلر"، فهي تعاش على تلك الجرعات التي توفرها لها مجلات المشاهير.

انا قلت اني أريد ان التقي برجل حياتي وان يكون لنا طفلين. أريد ان أكتب كتاباً، أسافر الى ايطاليا واسبانيا ونيويورك وكذلك الى اوسشيفتزا. اما رغبتى الخامسة والعشرون فكانت ان أبقى صديقة "يوليا" لعشرين عاماً.

خمس وعشرون، تلك هي الفترة التي باستطاعتنا ان نتخليها، وحتى ذلك، فليس بالأمر اليسير.

قررنا ان نؤشر على كل حلم كلما تحقق واحد منها، وان نسجل إحصائية: عدد الأحلام التي تتحقق في كل عام نؤشرها على لوحة حتى يتسنى لنا بلمحة ان نعرف السنوات الجيدة من السنوات الرديئة، ونسبة تحقق الأحلام لكل منا خلال خمس سنوات، خمسة عشر، وخمسة وعشرين.

صمت "راحيل" يمزقني ويأخذني بعيداً عن أحلام اليقظة. هناك شيء ما.

"هل انت على ما يرام؟"

"لابأس" ترد. اوتار حنجرتها مشدودة.

"حسناً، ذلك يعني انك لست كذلك"، أقول بلطف، وهي لا ترد.

"ماذا هناك؟ هل انت خائفة من الجيش؟ لا تقلقي. في اللحظة التي ستكونين فيها هناك، لن يكون هناك لديك وقت حتى لكي تفكري. ستشعرين بنفسك كأنك روبوت، ليس بإمكانك ان تفعل أي شيء بخصوص ذلك، لكنه ليس بالأمر السيء. ثم قد تكونين مع "يوليا"..."

تعض بشفتيها وتشيح بنظرتها الى الجهة الأخرى. أشعر بانى لم أنجح. أحياناً أرمي بنفسى في أحزان الآخرين وأريد ان أعزيهم بأسرع ما يمكنى، ربما أسرع من اللازم. أعانقها.

"راحيل، ما الأمر؟"

تظل صامته بعناد. أعرف انها تريد ان تتكلم، والا كان بإمكانها ان تجد طريقة لكي تخبأ مشاعرهما. "راحيلنا"، انها سيدة (الإخفاء). لكنى أحبها أكثر حين تكشف عن ضعفها.

لحظة حدس مفاجئة.

"انه فريدي؟"

يأتيني الجواب مخنوقاً، "نعم".

يا للغة انه يهجرها لكي يعود الى "أنبار" زوجته السابقة التي يتحدث عنها وفي نبرات صوته الكثير من الإعجاب... التي يتحدث عنها كثيراً نقطة.

ان يفعل ذلك ل"راحيل" وهي تنهياً لخدمتها العسكرية (صوت ما لنيم يهمس في أذني: وما المشكلة؟ لقد رماك "جين ديفيد" في منتصف امتحانات البكلوريا، لكنك تمكنت من اجتيازها، ألم تفعل ذلك؟ لا ليس الأمر كذلك، لا أريد التفكير بأنهم جميعاً أوغاد. "جين ديفد" ليس وغداً، فانا لازلت أحبه كما ان "فريدي" صديقي).

"متى؟ أسئله، مباشرة، لكي أجعلها تثق بي أخيراً."

"غداً مساءً."

"غداً مساءً؟" (لا أفهم، انه يعلمها بموعد فراقهما شيء

مقرف لم أكن أعلم انه... يحسب حساباته هكذا.)

"نعم غداً في المساء. انه لا يرغب بان تمضي الأمور هكذا. ليس بوسعه الإستمرار بهذه الطريقة. الشرطة العسكرية تبحث عنه بجد هذه المرة. انه يختبئ عند رافي منذ أسبوعين، والذي رفضوا ان يستقبلونه عندنا. لذلك قرر ان يسلم نفسه، ان يمضي العقوبة وان يعود للجيش.

لم أجزأ ان أقول لها انه غير ما توقعته تماماً. على أي حال تنفجر بالبكاء وأخذها بين ذراعي. أقول لها انني هنا، اننا كلنا هنا، وباننا جميعاً نحبها، وان ذلك كان سيحدث آجلاً أم عاجلاً، وانها كانت تعرف منذ شهر بانه يوماً ما سيقدم على التخلي عن حريته المسروقة. وبعده أحاول طمئنيتها بانه لن يعاني -وانه اذا ما اخذنا الأمور على علاتها- فلا أري أي فرق بين قاعدة عسكرية عادية وبين السجن. لا بد ان يكون هناك أشجار يوكالبتوس أيضاً، والواجب في المراحيض، المطبخ، الخيام وأكياس النوم. أسكرها بكلمات التعزية، أشعر أقرب اليها حين أدرك انها تحتاجني.

نبقى هناك فوق الحشيش لفترة طويلة، نتكلم بطريقة لم أظن انها ممكنة.

ونحن نودع بعضنا البعض، أسأل، "هل لديكم أي خطط لهذا المساء؟"

"سنذهب لمشاهدة فلم "البرتقالة الآلية" لستانلي كيبرك،
"إيلان" يقول انه فلم نخبة.
"أية ساعة ستغادرون؟"

"كوني مستعدة عند الساعة التاسعة؟"

"حسناً، أحبك، أنت تعرفين ذلك؟"

أقبلها، وأعود لكي اتناول أول وجبة تستحق هذه التسمية."

العودة الى اصدقائي تجعلني في مزاج رائع. "فريدي" ثرثار جداً، أهمس في أذنه ان "راحيل" أخبرتني عن الغد. سنكون هناك من أجلك ومن أجلها.

تعبير جدي يلتصق في عينيه ويعصر يدي. يبدو ان الجميع يتكلمون أكثر مما هو معتاد، ينهمكون في أحاديث عن أشياء غير محددة. ربما يحاولون تفادي التفكير بالمحتوم، من المؤكد انهم يحاولون تفادي الإشارة الى ما سيحدث غداً. في السينما أجلس بين "إيلان" و"راحيل" وهي تجلس الى جوار "فريدي". الإثنان صامتان ولكن ملتحمان ببعضهما أكثر من المعتاد. هي تبدو ضئيلة الى جانب جسمه الضخم.

فجأة أشعر بالحزن: بالأقل هما يحبان بعضهما بعضاً. سينفصلان لفترة وجيزة.

أستدير نحو "إيلان" الذي يلعب دور الأخ الأكبر لنا البنات، خاصة في الأوقات الصعبة.

"كم طول الفلم؟"

"ساعتان وسبعة عشر دقيقة بالتمام." عيناه تلمعان. كان ينتظر رؤية "البرتقالة الآلية" منذ وقت طويل، لكنه ممنوع لمن هم دون السادسة عشر، كما انه لا يعرض بشكل دائم.

أنتائب. الإعلانات لا تتوقف، تطفئ الأضواء. تسري رجفة في القاعة المملوئة بأشخاص معدل أعمارهم بالعشرين. البعض يطلب من من يجلس أمامه ان يخفض رأسه. آخرون يطلبون بنفاذ صبر ان يصمتوا. أشعر بتوتر غير طبيعي. لم يسبق لي ان شاهدت أي من

أفلام "ستانلي كيبريك" فلمي المفضل هو "الطفل" لشارلي شابلن" وكذلك فلمه "الدكتور العظيم".

هناك مشهد قريب لشخص ما بعين واحدة محاطة بأهداب اصطناعية، ويلبس قبعة كبيرة. تدور الكاميرا وتكشف رجالن متشابهان ونساء عاريات مستخدمات كطاولات. دمي منفوخة. تبدأ شكوكي بذوق "إيلان".

الرجال الثلاثة في مرأب السيارات، يوبخان رجلاً مسناً بعنف شديد. "إيلان يميل الي ويقول. "هذا شيء عظيم انهم يتكلمون بالروسية الدارجة".

لا أكثرث ألبته بالروسية وأشعر، حقاً، حقاً، بالإنزعاج. ليس هذا اطلاقاً ما كنت أتوقعه من الإجازة، عنف، حتى لو كان ذلك يحدث بعيداً.

أكتاف "إيلان" قريبة جداً، جداً. لقد استيقضت الساعة الثالثة والخامسة والأربعين هذا الصباح، وليس لدي مشكلة ان أغمض عيني لو وضعت رأسي في مكان ما.

نصف نائمة أسمع "أغني في المطر" على خلفية صراخ، لكنه ليس "جين كيللي" من يغني. أنا أشاهد كابوساً، لا بد اني مرهقة جداً. هناك أمسيات لاتحتاج فيها الى أفلام النخبة.

استيقض في الليل لكي أغزو الثلجة، لكن طعم الأكل يبدو غريباً لأنه بارد. حقيقة لا أفهم هذا الشعور: انا لست جائعة ولكن لدي شعور بأنني أحتاج ان أملأ معدتي دون أي شعور بالمتعة، بسرعة، كأن هناك فجوة بحاجة لأن تسد.

مضيت بعضاً من النهار مع "راحيل". لم نتكلم كثيراً، نضع بعض أشرطة الموسيقى ونغني سوية. أقول لها بان الأغاني تتحدث عن الحياة أفضل منا. ما جدوى محاولة ان نكون أفضل منها؟

هي و"فريدي" اتفقا ان يتقابلا عند السادسة مساءً، ليُمضيا وقتاً قصيراً قبل ان نتوجه معهما الى قسم الشرطة العسكرية. الظلام حل مبكراً. أسأل "راحيل" ان كانت ترغب بان ترافقتي لكي نذهب لمشاهدة مغيب الشمس.

مشهد بناية مدرستنا (مدرستنا القديمة) المستطيلة، الداكنة تطل كالظل فوق الصحراء. الى اليسار القرص الذهبي يهبط ببطء، كأنه يغرق في الصحراء. السماء تغير لونها في كل لحظة. مشهد في منتهى الروعة، يأخذ الأبواب نقف متماسكتان، توحدنا كل حالات الغروب التي راقبناها سوية من قبل، وبالسؤال الذي لم تسأله أي منا: متى سيكون الغروب القادم؟ مع تضارب مواعيد اجازاتنا فقد لا نرى بعضنا بعضاً لفترة طويلة.

"سنتكب لبعضنا البعض"، تهمس "راجيل".

"نعم"، ارد "ولكن من سيراقب الغروب حين لن نكون هنا." في البيت تستقبلني أمي بدمعة وسط عينيها. "احزري من تكلم في التلفون؟"، تسألني بشعور من يخالجه الإنتصار. "لا أدري." لست في وارد من يلعب لعبة التخمين. تنظر الي بشيء من الإحباط ولكنها لا تزال تحمل ملامح طفل في محل الحلويات، ملامح شخص يحمل سرّاً رائعاً.

"جين-ديفيد".

"ماذا؟"

"في الحقيقة، يجب ان تقولي من وليس ماذا." جين-ديفيد" اتصل منذ عشرة دقائق يريد التكلم معك." أغمض عيني وأدع السعادة تغرقني. وابتسم كما لم أبتسم منذ وقت طويل.

"يقول ان بإمكانك ان تجديه حتى الساعة السابعة"، تقول أمي وهي لا تزال تبدو سعيدة.

أهجم على التلفون في حين تغادر أمي الصالة تمشي على أطراف أصابعها. قلبي يدق بقوة: ما الذي سأقوله له؟ لماذا يتصل بعد أربعة أشهر من انفصالنا.

يدق التلفون مرة: يداي ترتجفان. فجأة أشعر بأني مرعوبة لأنني سعيدة جداً وبأنني في غضون لحظات سأسقط من علو شاهق. يدق ثانية. إذا لم يرد عند الدقة الرابعة فسأغلق التلفون. يدق للمرة الثالثة.

"هلو؟"

انه صوته، العلامة المسجلة، نبرة السخرية المعتادة التي
أعتقد ان بإمكانني اكتشافها (لكن ربما أكون على خطأ).

"انا فاليري." (صوتي يتقطع، أجاهد كي ابدو طبيعية)

"يا للمفاجئة." يقولها بالعبرية ولكنه يلحن قليلاً.

"لا يجب ان تنطقها بهذا الشكل." أقول له متحصنة بتفوقتي
الأكيد عليه باللغة التي يسعى لتعلمها منذ أشهر قليلة. "وعلى أي
حال فانها ليست مفاجئة فانت الذي اتصل لمكالمتي.

"نعم، نعم، انت على حق." يقولها بصوت أجش والتي يظن
انها لكنة إسرائيلية يبدو كمن يهرج، هناك واحد من تفسيرين، اما
انه تغير، أو انه لا يعرف ماذا يقول ليس الأمر بجيد.

"كيف حالك؟"

أشعر برغبة بصفعه على وجهه، لذلك أرد عليه بحماس لا
يتناسب مع طريقته.

"على أحسن مايرام. اقضي أروع عطلة هناك في
الشمال. أصحو عند الساعة الثالثة والنصف صباحاً كل يوم لكي
أتأكد بان كل شيء يسير على ما يرام. انه منتجع باربع نجوم، فيه
كل ما لذ وطاب، الرمل تحت قدميك، الحمامات جنبك ودرجة
الحرارة التي تهبط الى عشر درجات في الليل. هل تريد العنوان؟"

أواجه بصمت مطبق من الجانب الآخر. أدرك باني لم أكلمه
بمثل هذه الحرية من قبل، دون ان أفكر بكل كلمة أقولها، دون ان
أبغى ان ابدو متذاكية أهم من أي شيء آخر. ينتابني شعور باني
حققت نصراً ما. (لكن أي نوع من الألعاب تلك التي نلعبها؟)

صوته يصبح أكثر رقة. "أسمعي كنت أفكر بك حقاً. أظن بان ...
لا ، لا أظن. أود ان تخبريني. هل بإمكانك ان تمرى بالقدس أثناء
اجازتك؟"

أمر بالقدس! ألمح عينيه الضاحكتين مرة ثانية، يديه،
أقبله، حتى ولو فقط على وجنتيه. كان بودي ان أقول له نعم انا
قادمة، الآن- من المفارقة اني ساذهب الى القدس لأسباب عسكرية-
(شيء غريب لأنه لا يمكن ان يكون على علم بذلك.) أشعر بان
لدي جناحين وان ليس هناك ما يمكن ان يوقفني.

لكن؟

"فريدي" سيسلم نفسه هذا المساء و"راحيل" تحتاجني.
 لذلك اقول نعم، بامكاني المرور بالقدس، ربما بعد أسبوع حين
 انتهي من الدورة ولكن قبل بداية أي شيء آخر، دورة أخرى أو
 قاعدة أخرى، ربما تحدثنا لدقائق قليلة أخرى، شعرت بإرتياح
 وانتهيت المكالمة مع أمل بان أبعث له بإشارة حياة قريباً جداً.
 تطحن رأسي الأسئلة. ارن لـ"يوليا" وانقل اليها الأخبار،
 وأسمع عبر الهاتف صراخ السعادة. "انا في طريقي اليك" تقول،
 بل ها هي في غرفتي، تجبرني على اعادة المكالمة كلمة كلمة،
 تسأل عن نبرات صوته، وصوتي حين كنت أتكلم معه... هي خبيرة
 تحليل علاقتنا، تقرأ كل الأشياء عن القضايا التي تهتم بها، فهي
 راكمت لديها معلومات من خلال المسلسلات التلفزيونية التي
 تشاهدها.

بعد ساعة من الزمن تعلن حكمها.
 هو يريد ان يراكي بالبزة العسكرية. تلك رغبة معروفة لدى
 الأمريكان والأوربيين. عليك ان تذهبي لكي تري بشكل مباشر كم
 من النقاط حققتي. ولكن لا تصنعي آمالاً كبيرة، فقد يكون الأمر
 مجرد ..."

تلك جملة كان من الأفضل لو انها احتفظت بها لنفسها.
 يكلمني "إيلان".
 سنلتقي جميعاً بعد عشر دقائق خارج بيت "راحيل"
 البس بزتي العسكرية على أمل ان يسهل وجود جنديّة بين
 المرافقين مصير صديقنا.
 هناك خمسة عشر واحدا منا، انقسمنا في ثلاثة
 سيارات. "رافي" يدخل بجدال مع "راحيل": هو لا يريدنا ان نقود
 السيارة (لا يقول في الحالة التي هي عليها ولكن ذلك ما كان
 يعنيه)، ولكنها مصرة على الا تدع أحداً يقوم بذلك. اوما لـ"رافي"
 بشكل خفي، فيتوقف عن محاولة اقناعها.
 يضع "فريدي" أغنية حزينة عن وفاة جون لينين.
 تنذرف دموع فوق خدودي. اعتقد ان "راحيل" تقود السيارة
 والدموع في عينيها كذلك.

يقع قسم الشرطة العسكرية في نهاية شارع مترب، في مكان أشبه بمنطقة عازلة جندي الحراسة على البوابة يلقي نظرة متعجبة على المجموعة. ربما هو يفكر في ما اذا كان عليه ان يطلق طلقة في الهواء. نقف على بعد أمتار قليلة، متراصين بشيء من العصبية. يتقدم "فريدي" بخطوات الى الأمام مع "راحيل" التي تستند اليه.

"انا هارب من الجيش"، يقول بصوت ينطوي على الجد،
"جئت أسلم نفسي."

لا يبدي الجندي أي عاطفة.

"سلمني أوراقك"، يأمره، "ثم اتبعني."

نحيد بنظراتنا بعيداً لكي لا نرى مشهد الفراق. أحدهم يتلثم بكلمات، "الى اللقاء "فريدي"، ثم ننضم جميعاً "الى اللقاء "فريدي". نراك قريباً."

لا يكثرث الجندي بالنظر نحونا. يختفي "فريدي" دون النظر الى الخلف بينما نقف نحن دون حراك. لا شيء آخر يمكن ان نفعله ولكن مع ذلك لا يمكننا المغادرة بسرعة.
الصمت لا يطاق.

يتوهج وجه "راحيل" باللون الأحمر وكأنها على وشك الانفجار. امضي نحوها واهمس. "تعالى الى السيارة."
في طريق العودة أستذكر تلك القطعة عن نيوزيلاندا التي قرأتها لنا "كينریت"، أقول لنفسي اننا مجرد بنات في الثامنة عشر، وكما نقول بالعبرية، انه شيء أكبر منا.

رمي

يصعب علي أن أعود لأصبح 3810159 بعد كل تلك المتعة خلال عطلة نهاية الأسبوع. أنا على إستعداد الآن أن أمنح عشرة أيام من عمري مقابل بضعة أيام من الحرية. إن أكون مع "راحيل"، وأواسيها، ولماذا أكذب، أن أخذ الحافلة التالية إلى القدس. لكن لا شيء من ذلك ممكن. سأكون هنا حتى الجمعة وبعدها سأكون في رعية عدد آخر من الضباط والرقباء. هناك يد خفية اختارت مكان خدمتي وقررت حياتي. هل هذا هو ما يعني ان تكون ناضجاً. درس الرمي الأخير سيكون ظهر هذا اليوم- قبل اليوم الكبير غدا- حين سنرمي طلقات حية للمرة الأولى. تدريب مكثف هذا الصباح: ساعتان من الجري حول القاعدة، تسلق الحيطان، الزحف بين الشبكات، كل ذلك ربما بهدف أعدادنا ليوم الحساب. بعد ذلك اجتماع كل القوات مع "أنبار كاتز" (تبدو الآن أكثر إثارة) حيث تعطينا الإرشادات التالية: "أيتها الجنديات، في ميدان الرمي من الضروري جداً اتباع الأوامر بدقة. هنا لن يعد الأمر يتعلق بالأقدمية، بل هي مسألة حياة أو موت. الإهمال، عدم الإنتباه، والأخطاء البسيطة قد تؤدي الى كوارث لا يمكن معالجتها. يجب ان تضعوا في رؤسكن أنكن لسن مسؤولات عن أنفسكن فحسب، بل عن الآخرين أيضاً. هناك شيء مفرع في نبرات صوتها، جدية تقول: "انتبهوا هذه ليست لعبة." "انتن لا تقمن بالتمثيل في فلم من تلك الأفلام التي تحوز على الأوسكار، أو حتى فلم من الدرجة الثانية. حين نطقت كلمتي حياة وموت، فانهما تأخذان معنيين متماثلين بطريقة خاصة، فالكلمتان تتعلقان الآن بطلقة صغيرة من عيار 9 ملم. هاهي الإثارة التي شعرنا بها منذ دقائق تختفي ذلك بالضبط ما كانت تسعى اليه. نصعد الى لوريات نقل الجنود، شبيهة تماماً بتلك التي نرى فيها الجنود ينقلون الى الحدود مع لبنان. يسود الصمت. من المستحيل الكلام، على أي حال، لأننا ألقينا دون إعتبار، في لجة هزات لا تتوقف. نحن في خطر التعرض للموت حتى قبل ان نرمي طلقاتنا الأولى. ميدان الرمي: تراب، حصي، أهداف مصنوعة من الكارتون مرسوم عليها صور بشرية

بحجم إنسان طبيعي. سنقوم بالرمي كل عشرة مرة واحدة-كل سرية مقسمة الى مجموعتين. الجنديات اللواتي لا يقمن بالرمي يقفن في منطقة آمنة. أي واحدة تتحرك من غير رخصة ستعاقب بالحبس شهراً. ألمح "اينات" من بعيد تلوح لي مشجعة. كانت هي من بين المجموعة الأولى التي بدأت الرمي وهاهي تعود بإبتسامة. أجلس بعيدة شيئاً ما عن الآخريات. الشمس حارقة والبدلة المضادة للرصاص التي أرتديها تجعلني أتصبب من العرق. أسمع طلقات الرصاص ولكني لا أرى الفتيات اللواتي يطلقن. أستعيد التعليمات التي أعطيت لنا بشأن اطلاق النار على "المشتبه به" بأننا نطلق لنقتل. أصغي الى تلك الكلمات فتصبح التعليق للتقرير الذي شاهدته على التلفزيون يوم السبت الماضي عن الأراضى، مثله مثل التقرير الذي شاهدته قبل أسبوعين. حسناً تقريباً مثله، الصور كانت متشابهة، (حجر ينطلق من منجم، إطارات سيارات تحترق، اطلاقات نارية) ولكن ليس نفس الرجال الذين يسقطون موتى. الجنديات لا يرسلن للقتال في الأراضى. الجنديات لا يرسلن للقتال أبداً. ما الذي يمكن ان أفهمه من درس الرمي هذا اليوم، حتى ولو كان أهداف من قطع كارتون، لا يسعني النظر إليها؟ تمتزج الدموع الآن بحبات العرق العذبة التي تنزل من جبيني. احداهن تضع يدها على كتفي. "كنيريت" تبتسم.

"هل أنت على ما يرام؟"

"لا لست كذلك."

هل أنت خائفة من الرمي؟"

"ليس الأمر اني خائفة، انا أفكر فقط بتبعات ذلك."

تجلس الى جانبي. "اية تبعات؟"

"انه أمر معقد، كنت أفكر مالذي علي ان أفعل لو ان على ان

اطلق النار، على شخص بشحمه ودمه. كما اني اتساءل في أي

جانب انا، كنت اتمنى لو ان بإمكانني ان أتفادى هذا المعسكر او

ذاك."

"مالذي تعنيه بمعسكر؟"

"انت تعرفين مالذي أعنيه"، أتمتم "الحجر، أم البندقية."

تأخذ نفساً عميقاً، وتقول، "لقد سألت نفسي نفس السؤال عندما قمت بالرمية في المرة الأولى، هنا بالضبط، قبل عدة أشهر. الإنتفاضة ساعدتني على معرفة الجواب. هل تعرفين مالذي تعنيه كلمة تسحال؟"

"نعم أعرف ذلك، انها الحروف الاولية لجيش الدفاع الإسرائيلي."

"بالضبط. ذلك ما عليك ان تتذكره: جيش الدفاع ليس عليك ان تستخدمى سلاحك ضد شخص، الا اذا كان ذلك الشخص يهدد حياتك. عليك الدفاع عن نفسك، لحماية نفسك ولحماية الآخرين."

"ولكن لماذا يجب ان يكون هناك عدو يريد قتلي؟"

"لا تختبئي خلف تلك النظرة الماكرة. بالتأكيد فانك في اللحظة التي ترتدين فيها البزة العسكرية لم تعودى فيها شخصاً عادياً، بقدر ما يتعلق الأمر بالآخرين. انت تمثلين الجيش الإسرائيلي، الجيش الذي يواجه الفلسطينيين كل يوم... مهما كانت مشاعرك وقناعاتك. تلك هي الحقيقة، ولكن لا ينبغي ان تمنعك من التفكير."

"لا ازال حائرة."

"لا تقلقي، كل شيء سيكون على مايرام."

بدأوا الآن بالنداء على أرقام من السرية (د). نقف في خط مستقيم وراء صف من أكياس الرمل، مع بنادقنا المدلاة من الكتف الى الخصر. يمنحوننا سماعات الأذن لحماية طبلات الأذن من دوي الإطلاقات. تقف "انبار كاتز" على رأس الصف الي يميني.

"ايها الجنديات، من الآن ستنفذن أوامري حرفياً ومباشرة... انزعن الحامل من البندقية."

نعمل بما أمرنا به، ضربات القلب تتسارع.

"وضع الإنبطاح، خذ."

"ركبن المخازن، ضعن البندقية باتجاه الهدف. لا تضعن الأصبع على الزناد."

"صوبن نحو الهدف، انزعن مسمار الأمان، أقفلن على الهدف وفق خط النار. الآن استعدن، لكن عليكم الإنتظار للأوامر ببداء الرمي لكل من الطلقات الخمس."

"إنتباه...، استعداد، إرمي."

هناك برهة من التردد بعد صدور أمرها، ثم بعض الإطلاقات الخافتة (إذا كانت تلك الإطلاقات الصارخة تعتبر خافتة) يتردد صداها. أركز، أشد بندقيتي الى كتفي وخدي لكي أتجنب أي جرح يمكن ان يسببه إرتداد البندقية. ثم أرمي.

"إرمي." اطلاقاً ثانية. لا يسعك التفكير بأي شيء آخر عندما ترمي، انها الشيء الوحيد الذي تفكر فيه.

"إرمي." اطلاقاً ثالثة، لابد انها كانت قريبة من قلب الهدف.

"إرمي."، اطلاقاً رابعة.

أعتقد ان تهديفي أصبح أفضل من السابق.

"إرمي."

تتساقط ظروف الإطلاقات على الأرض تحت أنفي. اطلاقاً

خامسة، وأخيرة. انتهينا.

"دعن السبطانة باتجاه الهدف. انزع عن المخزن. تأكدن من خلوه

من الإطلاقات. أعدن مسمار الأمان. لا تتحركن."

"الرقيب "كينيريت."

"نعم سيدتي."

"فتشي صفوف السرية، عدي الظروف وتأكدي من خلو

المخزن من الطلقات."

لم أحرك جفناً. متسمرّة وأنظر الى الأمام، ولكني متأكدة ان

"كينيريت" ابتسمت وهي تلم الظروف المتساقطة مني.

"ايتها الجنديات، سلاح للأرض. الرقيبة "كينيريت" تأكدي من

الأهداف."

"كينيريت" تنادي بالنتائج. صوبت طلقتان الى قلب الهدف،

باقي الطلقات الى جانبه مباشرة. من الواضح ان تلك نتيجة جيدة

لأول مرة وعلى مسافة خمسة وعشرين متراً.

11 أكتوبر، الساعة 6 مساءً.

موسم الرمي أمس: انا ممزقة بين ان أفخر وبين ان

أندش. الواجبات تبدوا مختلفة هذه الليلة. واجبات حقيقية، انا

سأقوم بحراسة موقع استراتيجي، المشجب، منذ منتصف الليل. كلمة

السر الليلة، بدر بعض الناس ليس بإمكانهم الا ان يكونوا شاعريين.

12 أكتوبر، الساعة 2 والنصف فجراً.

كان الأمر غريباً. الليلة تبدو حالكة الظلام أكثر من المعتاد، وأكثر غموضاً، وخوفاً. كانت بصحبي فتاة من خيمة أخرى يبدو أنها تخاف بسهولة، لم يكن الأمر صعباً ان تنتقل عدوى الخوف الي. كان أي حفيف لأوراق الشجر، أو طنين بعوضة أكثر مما معتاد يجعلها تشك ان أحداً هناك. الأمر مثل عندما تكون شاباً ويتركوك تقضي الليلة في البيت وحدك.

لبرهة كان الصوت فعلاً مقلقاً. بدا وكأن أحداً كان يتسلل قريباً منا. بدأنا بعبارات التحذير المعروفة، مرعوبتان بصدى صوتينا. لم أكن متأكدة ان كان علي ان أرمي في الهواء. اشعلت مصباحي فاضاء كتلة من الخشب قريبة منا. كانت عائلة من الفئران تلعب بسعادة بين العيدان. صرخنا بقرف. لم نزل في حالة خوف حين جاءت الحارسات البديلات.

جاءت "كينيريت" لترانا، مازحتنا بحنية.

اليوم سنؤدي القسم. ننام متأخرات: منبه الساعة على الساعة السادسة صباحاً.

الساعة العاشرة صباحاً.

شيء غير عادي. نستبدل بدلات القتال ببدلات الإحتفال. تتجمع الكتيبة في ساحة الإستعراض. هناك صف طويل من الضباط من بينهم قائد القاعدة (الذي لم نره أبداً). يلقي خطاباً من منصة، وخلفه كانت هناك حروف من نار تلتهب. تقول "أقسم".

قال لنا اننا جنديات حقيقيات الآن، وان الجيش والوطن يعتمدان علينا، ان كل واحدة منا بأهمية الأخرى، مهما كانت المهمة التي سنكلف بها. نمر به واحدة بعد الأخرى و"انبار كاتز" تعطي كل واحدة منا كتاباً مقدساً وبنديقية. نضع يدينا اليمنى على الكتاب المقدس واليسرى على البنديقية، وبوقار نؤدي القسم:

"أقسم ان أكون مخلصاً لجيش الدفاع ولدولة إسرائيل. أقسم بان أخدم بلدي وان التزم بقوانينه. أقسم بان أحترم الحياة وان أحميها."

بعد ذلك، وسط انفعالنا بحروف النار تلك والتي لاتزال متوقدة نغني النشيد الوطني، هاتفيكا-الأمل.

نسلمهم معدتنا ومن ثم يقيمون لنا حفلة صغيرة نضحك ونبكي خلالها كثيراً. من الصعب ان يمضي كل منا في طريق بعد تلك الفترة التي قضيناها سوية.

أعلم، من غير ان اتفاجئ بانني عينت في الخدمة السرية. علي ان أتقدم بنفسني الى القاعدة يوم الأحد الساعة الحادية عشرة، وعلي الا أخبر أحداً أين تكون القاعدة، سواء عن طريق الكلام أو كتابة. سوف أمضي ثلاثة أشهر في التدريب هناك. تم تكليف "اينات" في وحدة رادار. كانت محببة الا ان الجميع قالوا لها انها عمل ممتع. هم يحسدوني لأن في كلمة "الخدمة السرية" شيء من الغموض والإثارة. سوف نرى فيما اذا كان ذلك صحيحاً حين نكون هناك.

ربما ساذهب الى القدس هذا الأسبوع، ومن الممكن ان أمارس الحب مع "جين ديفيد"، لكن لن تكون هناك علاقة بيننا. من الواضح اننا في وحدتنا الجديدة سنمنح اجازة كل ثلاثة اسابيع مرة. هو لم يخلق لي ليكون زوجة بحار (من سو الحظ ليس بالإمكان الحديث عن زوج جندي!).

أشعر وكأني أمضيت مائة عام في هذه القاعدة. انها بالكاد أربعة اسابيع. بقي لي ثلاثة وعشرون شهراً في البزة العسكرية، في قواعد أخرى، مع أناس آخرين.

ربما ذلك هو معنى ان تكوني ناضجة، ان تعتادي ان تعيشي حياتك، ان تغادري مسكنك والناس وان تبدئي حياتك في مكان آخر.

الجزء الثاني

القدس، حبيبتي

أشر جندي ضجر الى بناية مغبرة بيده واخبرني بان انتظر.
"كم؟" سألته.

"انتظري فحسب." أجاب، بمنطق تام. "على أي حال، ليس
لديك شيء آخر تفعلينه."

أضع كيس متعلقاتي على الأرض وأجلس متكئة عليه. أخذ كتاباً
من حقيبتي وأبدأ بالقرأة، وكأني لم أقرأ شيئاً منذ فترة طويلة. ما
أعنية هو اني لم أعد "فاليري"، بل أصبحت شخصية في الكتاب.
أتوقف عن القرأة لأنني أشعر بان أحداً ما يراقبني. كيف بإمكاننا
ان نستشعر تلك الأشياء. ربما اننا معتادون على لامبالاة الآخرين
مما يجعل أية اشارة اهتمام تصل الى رؤسنا بشكل مباشرن دون
أي اعاقه في الطريق.

اتطلع الى الأعلى، ملازم نحيفة في حدود الأربعين ذات شعر
أشقر، تنظر الى باستغراب. أتساءل، ربما هي قائدتي، أقفز على
قدمي، وأفكر في ما اذا كان على ان أقف في حالة انتباه. ومن
العجيب ان ذلك ما اريكها، وكأنها ارتكبت خطأ ما، فتبتسم لي
وتمضي. أقبع هناك أفكر. رغم بزتها العسكرية ورتبتها الا انها بدت
غير متلائمة مع المكان. بدل رد فعلها وطريقة اعتذارها لجندية
مبتدئة غريبة جداً. فتحت كتابي ثانية ولكن ظلاً خيل علي.

"فاليري؟ رقم 3810159؟"

كانت رقيقة-امرأة قصيرة، نحيفة بشعر طويل وبوجه قبيح
نوعاً ما هي التي سألتني السؤال بصوت لا يخلو من اللطف.
"نعم."

"أهلاً بك في قاعدتنا. اتبعيني."

سحبت كيس أغراضي الى غرفة قمينة. عريف تجلس الى
طاولة وهي تدخن، عيناها نصف مغمضتين. طويلة، قصة شعر
رجالية أنيقة، عيانان لوزيتان، قوية البنية مع شعور بالثقة واضح.
"أهلاً، انا "تامار" قائدة الدورة وهذه هي "رومي" نائبتي.
لوريل وهاردي، أفكر بينما أحيهن.

"هناك عشرة منكن في هذه الدورة. الآخريات أمرن بان يأتين صباح يوم غد. انت طلب منك القدوم اليوم لأنك تسكنين في مكان بعيد. على أي حال، عليك ان تكوني خارج هذه البناية في تمام الساعة الثامنة غداً صباحاً. تقدمين نفسك الى المشجب لأخذ سلاحك قبل أي شئى آخر. سأعطيك أمر الإستلام، و رخصة بمغادرة القاعدة. أراك صباح الغد."

يا للهول! ما هذا الإحساس وما هذا التحكم في طريقة القائها. ظننت ان القبيحة ببساطة لا يمكن ان تكون لطيفة في حين ان الجميلة لا بد ان تكون كذلك. سهل جد مثل هذا التنبؤ. لدي ثلاثة أشهر لكي اتعمق بالغلاف الخارجي لكل من "لوريل و هاردي"... دفعتني الفكرة للإبتسام.

رمقتني العريف "تامر" بنظرة تعجب لكنها لم تنطق بكلمة. أديت التحية وخرجت.

بحسبة سريعة فان القاعدة قريبة من تل ابيب وعلى بعد 120 كليومترا من بئر سبع. على الناحية الأخرى القدس على بعد 60 كيلومترا. اذا ما استيقظت مبكرة صباح الغد فبإمكاني ان اكون هنا في الموعد المحدد.

آن أوان المدينة المقدسة. ليس من أجل الصلاة، ليس من أجل البكاء، لا من أجل التظاهر، ولا لكي انتفس من عبق الهواء الذي تنفس منه داود والمسيح ومحمد، ليس من أجل شراء مجوهرات السياح الكريهة من السوق في البلدة القديمة. القدس لأنها المكان الذي يقطن فيه من أحب، كما ان هناك صوت رفيع يهمس في اذني انه هذا هو الوقت، الآن أو لا للأبد.

حرة: أشعر بحرية لم اشعر بها من قبل في هذه الحافلة الممتلئة والتي تشق طريقها. ها نحن تجاوزنا المكان الذي يدعى "شعار هاغي"، العرب يسمونه "باب الوادي". كلا الأسمين يحملان نفس المعنى، بوابة النبع. هنا وقعت اكثر المعارك دموية في حرب الإستقلال عام 1948. العربات العسكرية تركت حيث توقفت على جانبي الطريق الشديد الانحدار لكي تذكر المارين بتلك الحقبة من التاريخ. هذه المرة لم أنم، كنت أفور بالأمل وبالأسئلة: لن يكون هناك، سوف يكون هناك، لن يكون لوحده، سوف يقول ان

أحداً معه هناك، سوف يصطنع أذكاراً لكي لا يراني، سوف يشعر بالزهو حين يراني وقد ارتسم الحب على محياي، وسوف يضحك مني، سوف يأخذني بالأحضان، لن يفهم لماذا انا هنا فجأة. سوف أخبره الحقيقة، ولكن أية حقيقة؟

أمر أصابعي فوق سبطانة البندقية بندقية عوزي، تلك التي يسلمونها للفتيات وللجنود المستجدين، ولكن "جين ديفيد" لا يحتاج لأن يعرف كل ذلك. أريد أن أثير فيه الإعجاب، أن أبعث فيه السعادة، أن أغويه. أريد أن أغلب تلك البنت التي أخذته مني. هي فرنسية خالصة لم تؤدي الخدمة العسكرية أبداً، وتلك نقاط لا تحسب لها بطريقة ما فأني أتعزز على الجيش لكي يساعدني أن أسترده حبي الأول.

في اللحظة الراهنة نحن الآن فوق قمة تلة، ولكن إذا ما أخذنا حجم التلال من حولنا فإننا نتحدث عن جبال. من وقت قصير مضى رمى فلسطيني بنفسه فوق سائق حافلة تسير على هذا الخط (400)، دافعا بها تهوى الى السفح. النتيجة: 16 قتلى مع شعور فضيع بالخوف خيم على البلاد كلها. دفع الحادث شركة "أغيد" للنقل لكي تصرف مئات الآلاف من الشيكولات كي تحصن الحافلات بشبكات لحماية السائقين. تم بناء نصب تذكاري لأولئك الذين قتلوا في الحادث. نحن نسير بسرعة فائقة لذلك ليس باستطاعتي قراءة أسمائهم.

نهبط من التل ثم نعود الى قمة تل آخر. من أي اتجاه تحاول ان تدخل الى القدس فان الطريق يبدو طويلاً ومرهقاً. عند مركز المدينة المخصص للمشاة، الساعة الخامسة، تبدو المقاهي مكتظة بالناس، ولكن متى لم تكن كذلك؟ اتصلت منذ خمسة دقائق فرد جهاز التسجيل فاغلقت التلفون بعد ساعتين وثلاثة محاولات رد أخيراً.

"هالو"، (لا يزال بنبرته الإسرائيلية الثقيلة.)

"جين ديفيد، هذه أنا من تكلمك."

"أهلاً أيتها الجنديّة. هل لديك أخبار من الجبهة؟"

"ليس هناك جبهة، أيها المدني الجاهل. وعلى أي حال فإن من الواضح ان الأخبار السرية للغاية هي الآن عناوين في كل الصحف. شغل التلفزيون لكي تعرف عما الذي يتكلمون عنه."

"من أين تتحدثين؟"

"من مقهى في شارع بن يهودا."
يخنتق، انا متأكدة انه يخنتق. أخيراً يتوقف.
"في القدس....؟" يتلثم اما من فرط الرعب أو المفاجأة، ليس بإمكانني ان أخمن أي منهما.
"القدس، أو اورشليم اذا ما رغبت، وفي كلتا الحالتين ليس بعيداً عن المكان الذي تسكنه، اذا ما كنت أتذكر بشكل جيد. لدي إجازة حتى صباح الغد، ليس لدي وقت لكي أذهب الى البيت، فقررت المجيء الى هنا."
"هل تريد.....؟"

"ان أراك، نعم وربما المبيت لديك"، أقول وبهمس أضيف، "ان كان لديك متسع من المكان..."
"سوف نجد حلاً، اذا ما بدا الأمر سيئاً، الحمام ليس مريحاً بالكامل. سوف أذهب لأشتري شيئاً لإطعامك. تعالي خلال ساعة. اذا كنت تحمّلين الكثير من الأمتعة خذي الحافلة رقم 9 وانزلي عند الموقف الثاني عند شارع "عزا". هناك طريق فرعي الى اليسار، شارع برلين. انا في رقم 14 الدور الأرضي، بخدمتك."
"شكراً لك، أراك قريباً."

أغمض عيني، سكرانة، متوترة، مرعوبة، نافذة الصب، مشتاقة، قلقة. حمداً ان هناك الكثير من المفردات التي يمكن التعبير بها عن مشاعري في تلك اللحظة.

16 أكتوبر، الساعة السادسة وعشرة دقائق صباحاً.

في الحافلة الأولى المتوجهة الى تل أبيب.
فتح لي الباب وبرقت عيناه، مفاجأة البزة العسكرية. فتح ذراعية وكأنه يستسلم بسعادة. قبلته. اردت ان أبقى بين ذراعيه لساعات. ضيفني قهوة. اخبرته عن الدورة، بالغت بالأمر، فان لم يكن يحبني، فعلى الأقل بإمكانه ان يعجب بي! تناولنا الأكل في

شفته شيء جدير بزوجين ان يفعلاه، ان يأكلا سوية لم أتجرأ ان أقول ذلك.

بين الحين والآخر كان يلمخني بتلك النظرات الغريبة مستعدة ان أمنحه عشرين عاما من عمري لكي أعرف مالذي يفكر فيه عني، وما هي مشاعره.

تكلمنا، صمتنا. وضع شريط إبتهالات "فوغيه" التي يحبها قلت له انها تجعلني حزينة في حين ان "موزارت" يبعث في إحساس بالسلام ويدفعني للغناء نحو منتصف الليل سألته أين سأنام.

تظاهر بانه يفكر، ثم سألني، "أين تحبين ان تنامي." لو كان بإمكانني لخنفته وقضيت بقية حياتي في عذاب الضمير لقتله بكل ذلك لمجرد سريره. اذا كان ذلك ما اقصده.

حملت شجاعتي كلها بيدي الإثنتين.

"هناك شيء يدعى حق الجندي بالنوم. سأنام في سريرك، واذا ما رغبت فأني سأترك لك مكاناً صغيراً."

وهكذا انطلقنا. نحو السرير. أطفال نلمع كالذهب، مرتدين قمصانا. مشدودين تماماً، حذرين الا نلمس أحدنا الآخر.

مال نحوي لكي يقول تصبحي على خير. قبل جبيني، أنفي، عيني. قبلت جبينه، أنفه، عينيه. عانقنا أحدنا الآخر بشدة طيلة الليل. وجهانا الناعسان يصطدمان احدهما بالآخر مثل طفلين يحبان أحدهما الآخر سراً، كان ذلك أقوى من أية علاقة غرامية، أكثر جمالاً من كل لحظات حياتي اذا ما جمعت سوية.

نظرت اليه طويلاً قبل أن أغادر هذا الصباح. فتح عينيه وقال: "اعتني بنفسك. تعالي لرؤيتي."

أغلقت الباب بهدوء وفكرت لو اني مت غداً فلن أبالي. لقد حظيت بما اردته من الحياة.

هزيمة أولى

مضى شهر على هذه الدورة: إنها أشبه بمدرسة شديدة الصرامة. ندرس من الساعة الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل، مع فرص للإستراحة بينما نواصل واجباتنا في الحمامات، المطبخ، مع الساعتين اللتين نقضيهما في الحراسة لملء الفراغ...

قررت الا أكل مع الأخريات في المقصف. أخذ جنباً بالتوست مع قطعة شيكولاتة عند الظهر كل يوم بينما أظل أراقب السماء التي تبقى زرقاء وسط هذا العالم الخاكي اللون. تحيا المقاومة! النتيجة: ازددت حوالي كيلوين وصديقتي ينظرن الي بشيء من الحيرة، لكني أنهيت كتاباً، كما أني أكتب، أكتب عن الموت، عن الفراغ، عن السعادة التي تدوم لدقائق فقط، عن "جين-ديفيد" (رسائل لم أرسلها له). أعرف انه لا ينتظر أي شيء مني، وانه بالتأكيد لا يرغب بأن يعلم باني أحبه أو انه يراودني في احلامي- والتي لاتزال تأتيني دائماً. كنت رأيت ذلك الملازم عدة مرات وهو يراقبني عن بعد منذ اليوم الأول. اطلقت عليه أسم "مكعب ج"، أي الجاسوس الذي يتجسس على الجواسيس.

نحن عشرة. تسعة من الضواحي الشمالية لتل أبيب: الأب سفير والأم محامية، الأب مدير تنفيذي للمعهد الإستراتيجي في "رامات-غان"، الأم صحفية، الأب عقيد، الأم في وزارة الدفاع، نحن نملك بيتاً من خمسة، ثمانية... عشرة غرف نوم، نحن نذهب الى القاعدة بسيارة فارهة أهديت لنا بعيد ميلادنا الثامن عشر.

البنيت العاشرة من بئر سبع. مدينة بعيدة جداً، أكثر من 120 كيلو متراً، لم يطنها أحد، ولا أحد يمكنه التفكير بان يذهب الى ذلك المكب. البنيت من بئر سبع تأتي الى القاعدة بالحافلة، وأحيانا بالإشارة الى السيارات المارة بالطريق. أبوها تقني في الصناعات العسكرية، أمها مساعدة صيدلانية لدى الصيدلية المحلية. البنيت من بئر سبع لم تجتاز امتحان السياقة، تضع السماعة على أذنيها طيلة الليل، ولا تهتم بالأكل في المقصف. عندما تكون مجموعتها بالواجب، أو حين يقمن بترتيب الغرفة الصغيرة استعداداً للتفتيش فانها تلتقط الكتاب وتطلب منهن ان يقمن بالشيء نفسه. "يمنحونا

ساعة فقط، نترفض مثل الذباب الأزرق، هذا ليس جيداً، علينا إعادة الأمر ثانية. لماذا نهدر طاقتنا لكي نقوم بكل شيء على وجه التمام إذا كان الضباط لا يرضون بأي شيء؟" تحديق البنات بها بريبة، يعتقدن انها لا تتصرف تماماً مثل جندي حقيقي، ولكنها فرنسية، وحتى الآن فان ذلك نجاها من غضبهم.

في البداية ظننت اني غلطة، بأني وضعت هنا بشكل خاطئ، أو لمجرد تكلمة العدد. الواضح اني أجبت إجابات جيدة في إختبار الحالة النفسية الذي أديته قبل التحاقني بالجيش. ما زاد الطين بلة، اني قمت شجيرة طماطة الكرز. أحد الجنود (ذكر) من دورة أخرى قال لي ان تلك هي التسمية التي يطلقونها علينا، لأن معظمنا أقل من متر وخمسين سنتيمتراً طويلاً، ووزننا حوالي 60 كيلوغراماً. أشعر بإهانة ان يربطوني بتلك التسمية. فطولي هو متر واثنين وستين سنتيمتراً ووزني 55 كيلوغراماً. وعلى افتراض اني لست بعود الفاصوليا، لكن كان بالإمكان عدم مقارنة بتلك الطماطة المدورة، والتي لا تترك لي أي أمل بالنسبة لمنظري.

في اليوم الأول للدورة تقول لنا العريف "تامار" بوقار "لقد تم اختياركم من بين الآلاف المرشحين لكي تكن ضمن الخدمة السرية في الجيش. العمل الذي ستقومون به يومياً والمهمات التي ستندربون على تنفيذها يقوم بها ضباط محترفون في جيوش أخرى في العالم. أمن البلد سيكون بين أيديكم. أية هفوة صغيرة من قبلكن قد تضع السكان في خطر. هل تعرفون ان حرب "يوم الغفران" اندلعت وسط صمت تام لأجهزة الإتصال؟ فالطائرات المصرية انطلقت ولم تكن الإتصالات فيما بينها سوى سلسلة بسيطة من الإشارات. هل تعرفون كم كلف ذلك البلد؟

نتذكر أكثر حروب إسرائيل دموية بصمت واحترام. "سيتم تعيينكن" تقول "تامار" في وحدتين"، الإنصات والتحليل. سيتعين عليكن العمل بما لم تألفن به طيلة حياتكن، كي تهضمن خلال ثلاثة أشهر معلومات بحجم ما تفعلن خلال سنة في المدرسة. ليس من حقكن ان تكن سيئات أو حتى متوسطات المستوى. يجب ان تكن ممتازات. الخطأ أو الإستسلام مفهومان لا مكان لهما في عقولكن. من الصعب الدخول الى الخدمة السرية،

ولكن باب الخروج مفتوح أربعاً وعشرين ساعة في اليوم. من المحرم عليكم الحديث مع أي أحد بشأن ما تتعلموه هناك. حتى أبويكم، اصدقائكم، أو حتى الجنود في دورات أخرى في هذه القاعدة. كل وحدة هي مستقلة بذاتها ويجب ان تبقى كذلك. في نهاية الدورة ستؤدين القسم الى "أمان"، السرية هي وضعك الطبيعي من الآن فصاعداً.

نبدأ العمل مباشرة: نحفظ خرائط عن ظهر قلب، في ليلة واحدة، مع مئات الأماكن التي عليها. علينا ان نعرف كل مدينة، قرية، نجع، تل، جبل، وأي أسم لمكان لدى البلدان المجاورة. وكذلك القواعد، محطات الرادار، الأسماء الشفرية للوحدات، الذبذبات المستخدمة، الأسراب، والطياريين. في غضون شهر تعلمت عن جغرافية الأردن، سوريا، العراق مئات المرات أكثر مما تعلمته عن إسرائيل. من المتوقع ان يتم تعييننا للإنصات على الطائرات. بفضل هدية صغيرة خلفها البريطانيون قبل عقود قليلة يتحدث الطيارون الأردنيون بالإنكليزية.

كل يوم هناك اختبار لما تعلمناه في اليوم السابق. وكل يوم خميس هناك امتحان للبرنامج الأسبوعي. هناك توتر دائم. لم أكن أتوقع ان بإمكانني ان أتذكر كل تلك المواد. كل يوم أشعر بأنني وصلت الى كامل طاقتي، ليس في عقلي المثقل أي مجال لأي معلومة بسيطة. حتى ولا الى سطر واحد في أغنية ساذجة مثل: الشمس تشرق ببهاء/ سألاقيك هذا المساء/ يا طفلي، أحمليني بين ذراعيك/ أموت عشقاً بمفاتنك. أشعر بأنني حين أترك هذا المكان سينتابني مرض النسيان، عدا كل ما يتعلق بجيران إسرائيل.

لكن لا. العقل لا يزال ماضياً بالتسجيل، مستمراً. تأتيه الإمدادات، من اقراص الذاكرة بين الحين والآخر بين الفينة والأخرى، وفي المساءات أجد نفسي أحلم بالبراء، الإيتش فور، الإيتش فايف، الجزيرة، عمان بغداد، مدن وقواعد لم يتسنى لي مشاهدتها، ولن أذهب اليها، بسبب الحدود التي تفصل بين عدوين، ولكنني أستطيع ان أوشر عليها فوق الخارطة وعيني مغمضتان.

90، 100، 98، 99، تأتي درجاتي، ممتازة أو تكاد. "تمار" و"رومي" يبتسمان كل مرة يناولاني أوراق. أشعر بأنه لن يمر

وقت طويل حتى يسلماني جائزة بإعتباري الأمل المشرق للخدمات السرية.

يمنحوننا إجازة كل أسبوعين، لحد الآن ذهبت مرة واحدة، ولم أقابل "راحيل" التي تم تعيينها سكرتيرة للكتيبة في مرتفعات الجولان بالقرب من الحدود مع سوريا. نكتب لبعضنا البعض تقريباً كل يوم، أكتب لـ "فريدي" أيضاً فهو في حالة كآبة شديدة في السجن. "يوليا" تعمل في مكاتب عسكرية في بئر سبع وتذهب الى بيتها كل مساء. تقول انها تشعر وكأنها لا تزال في المدرسة عدا أنهم يدفعون لها مرتبا نهاية كل شهر. تبدو رائعة وتقول انها تصرع الجنود موتى. ليس لدى أي مشكلة ان أصدقها. هي فعلاً رائعة الجمال. كنت سعيدة بان أراها ولكن وجدت من الصعوبة ان أبقى عيوني مفتوحة.

اليوم هو الخميس. لا أطيع الإنتظار ليوم الغد. "راحيل" ستكون هناك، وكذلك أختي التي لم أرها منذ شهرين. نخطط لكي نمضي كل عطلة نهاية الأسبوع في حفلات. "يوليا" حصلت على تذاكر لفلم "ترويض النمرة". كما فكرنا أيضاً بان نذهب الى الشاطئ لكي نستثمر آخر أيام الشمس قبل حلول الشتاء، والذي عادة ما يطل بدرجات تقارب العشرين مئوية مع حلول ديسمبر. أعتقد ان بإمكانني ان أذهب أيضاً لكي أرى "جين-ديفد". مقارنة مع كم المعلومات التي بإمكانني ان اتلقاها خلال أربع وعشرين ساعة، فمن المفروض ان بإمكانني أيضاً ان أحيا حياة شهر في غضون يومين.

الساعة السادسة مساءً. "تامار" و"رومي" تأتيان الى الصف لكي يعيدوا لنا أوراق اختبار هذا الصباح؟ كانت بشأن قوة الجيش الأردني وتحليل بشأن معركة جوية خلال حرب الأيام الستة، وبدا انه أكثر صعوبة من الإمتحان الذي سبقه. "نوا" "هيدي"، "اينات" ذات الشعر الأحمر، "اينات" الشقراء، "راحيل" "هيلا"، "ايماك"، "تسيلا"، "ميراف"، وانا، نركض جميعاً باتجاه معلمينا. يبدوان مثل قائدين أدركا للتو ان جنودهما خدعوهما.

تمنيت الا يكون سوء الحظ قد أصابني ورحت أستعيد في ذاكرتي الدرجات التي حصلت عليها منذ بداية الدورة. على أسوء تقدير يمكن ان أحصل على 85 وهي أقل درجة يمكن ان يتسامحوا

بها دون ذلك سيمطرونك بالعقوبات، واجبات اضافية، المزيد من الإختبارات، الإحتجاز مرة أو مرتين خلال أيام الإجازة. تنفست البنات الصعداء وهن يستلمن أوراقهن واحدة تلو الأخرى. تقف "تمار" أمامي وعلى وجهها تعبير صارم، تقول ببرود: "نحن نشعر بخيبة أمل كبيرة"، يضيف "رومي".

(لقد كنت على خطأ، ما كان ينبغي لي ان ادعوها "لورين وهاردي"، بل "ديبونت وديبوند"، من كتب تان تان.)

"80" تقول "تامار" بصوت لا حياة فيه.

"80" تتساءل "رومي"، وكأن "تامار" كلمتني باللغة الصربية-الكرواتية واحتجت الى مترجم.

"الأمر جدي، جدي تماماً، تقول "تامار". "بإمكانك ان تفتلي من هذا الفشل مرة ولكن ليس مرتين."

"لقد فكرنا بعقوبة"، تقول "رومي" متظاهرة بأسف منافق. "لن يكون لك أية إجازة هذا الأسبوع وستقومين بواجب الحراسة ثلاثة مرات. وفي ما تبقى من الوقت يمكنك ان تأتي الى هنا للمراجعة. وسيجرى لك امتحان آخر يوم الأحد."

كان ذلك أقسى عقوبة تم فرضها منذ بداية الدورة. تسعة أزواج من العيون بحلقت بوجهي. "هيدي" "اينات" ذات الشعر الاحمر، "راهيل" و"هيللا" بدون مصدومات، ولكن لست أدري ان كن متعاطفات، أم أنهن يفكرن فقط بما قد يحدث لهن يوماً ما. "نوا" "اينات" الشقراء، "ايميك"، "تسيلا" و "ميراف" بدون راضيات. أحرق بزاوية الطاولة، أعيد على نفسي "لا يجب أن أبكي، لا يجب ان أبكي." يندفع الدم الى رأسي، الدموع تنحبس في عيني، جاهزة لكي تتدقف. اذا ما أرتجف فكي، فتلك هي العلامة، لن استطيع ان أحبس دموعي. لذلك أعصر فكي بين ابهامي وسبابتي وأبحث بيأس عن جملة من كتاب، بيت من الشعر، سطر من أغنية، لكي أهرب من تلك اللحظة التي لم أتهم خلالها وأدان، بل وجدت كذلك مذنبه. كل ما كان بإمكانني ان أجده هو أسماء القواعد، الأسماء الشفرية، بالعربية أو الانكليزية، كلها تتراقص وتدور أمام عيني بسرعة هائلة أصابتني بدوار. أحمل على نفسي، أبحث بعزيمة، وكأن الأمر هو مسألة حياة أو موت، ألمم أجزاء وجه

"جين-ديفد" بعيني، في ومضة ضوء تعمي، وأسمع كورالاً يغني لي:

"إلهي، أمنحهم الراحة الأبدية ودع النور الأزلي يشرق عليهم يا الله تباركت دعواتهم اليك في صهيون في القدس نضحي من أجلك، أسمع دعواتي اليك من يأتي اليه الفانون يارب أمنحهم الراحة ودع نورك الأزلي يشرق عليهم.

تراثيل موزات: بإمكانني ان أسمعها وكأن المئات من العازفين والكورال قد هبطوا في قاعدتنا كي يعزفوها لي خصيصاً لقد نجوت، كما اني تمكنت من اراحة فكي، وان أنظر الى عيون معلمي الأثنين.

"لا عليكما"، أتمم مع نفسي. "طبعاً، سأدرس طيلة عطلة نهاية الأسبوع وسأعوض عن ذلك يوم الأحد."

تبدو "تامار" حائرة، في حين تبدو علي محيا "رومي" علائم سعادة. قلبي يكاد يستسلم خلال ثلاثين ثانية، ولكني مصممة على الصمود هذا المساء، لوقت متأخر هذا المساء، حتى أتمكن من سماع التراتيل حقيقة. واخيراً أبكي.

أتصل بالبيت. أحاول ان أبدو سعيدة. "لن تصدقوا هذا. سيمر شهر دون تروني، أو ان تغسلوا بزتي العسكرية، سيكون الأمر أشبه بعطلة صيفية للوالدين." أمي كانت كما هي. اقترحت ان تكلم قائد القاعدة لكي تخبره بان من العار حبس ابنتها التي حصلت على أفضل الدرجات في الدورة لحد الآن، واننا لا نحكم من قبل هتلر أو ستالين، وانني، موضوعياً، لم ارتكب جريمة، وان درجاتي جيدة.

"انه أمر يحدث للجميع"، أقول محاولة ان أهدئها، "ليس الأمر بالمأساة. لقد كنت في اجازة منذ أسبوعين. هناك أسبوعان آخران وسأكون معكم، سيمضي الوقت سريعاً. تظاهري بانني ذهبت الى زيارة عبر الولايات المتحدة بسيارة جيب، أنا سأفكر بذلك أيضاً."

أتصل بـ "يوليا" التي تبذل جهداً لمواساتي. أقول لها ان تخبر "راحيل" بأنني سأتصل بها عند الساعة السادسة صباحاً في الغد.

لم أتصل بـ "جين-ديفد". ما كان باستطاعتي ان أتكلم معه. هناك جمل كثيرة انحشرت في بلعومي. كان لابد ان أكون قادرة على

اخباره بانى أحببته، واني وددت ان يكتب لي وان يأتي
 ويزورني.ربما كان عطوفاً جداً معي، مواسياً.ولكنه لم يكن
 يحبني.لدي من القوة الكثير لكي أواجه الصمت أكثر من ان أواجه
 العطف.

العاطفة هي شيء تحمله البنات اللواتي يشاركني غرفتي
 بكثرة-حتى اللاتي بدون سعيادات قبل قليل."هيدي" عرضت علي
 ان تترك لي مخزونها من البسكويت."نوبا" أعطتني شريطها
 المفضل."هिला" احتظنتني بقوة وقالت بصوتها الكارتوني (الذي
 جعلنا في الأيام الأولى ننفجر من الضحك)"هذا ليس عدلاً فجميعنا
 حثلنا على 80 بالمائة.ونحن لم نعاقب بهذه الشريكة."
 "بالضبط، لأنها هي الأفضل" تتلغثم، "راحيل"، الأكثر هدوءاً،
 الأكثر عمقاً وتانياً منا جميعاً.

"سيكون السكن بكامله لك، كأنك مقيمة بجناح في "الهلتن".،
 تقول "ايانيت" ذات الشعر الأحمر بطريقة غنائية.
 "وهل تعرفين ان الطاهي يتفوق حتى على نفسه اثناء عطلة
 نهاية الاسبوع"، تقول "ايانيت" الشقراء بخبت.
 أنظر اليهن كأني أكتشفتهن للمرة الأولى.أشعر بقليل من
 الخجل، أدرك اني اعتبرتهن منذ البداية مجرد بنات
 مدلالات.صحيح، ان الحياة أفسدتهن ولديهن كل الأشياء التي لن
 تكون لدي في العشرين سنة القادمة.الا ان ذلك لا يجعلهن عديمات
 الخيال وان لا يتمكن من فهم ما بي، على الأقل اليوم.
 قررت ان أبذل بعض الجهد وان أقوم بمشاركتهن الطعام في
 المقصف في المرة القادمة.لدي كل الوقت لأكون وحدي في عطلة
 نهاية الأسبوع هذه.

ومع ذلك، فلم يكن من بد ان أشعر ببعض الضيق وانا أراهن
 يغادرن بحقائب مليئة بالملابس المتسخة.مارقة، خروف أسود،
 طفيلية، كلها كلمات مشينة جالت في خاطري.وما هو أسوأ (ليس
 بإمكانني ان أسر بذلك الا الى "راحيل") هو الخشية من ان أترد
 من الدورة اذا ما ارتكبت نفس الغلطة ثانية.الرعب اجتاح بدني
 كله:الجميع يرتعب من ذلك، أثناء كل دورة في الجيش.في الحقيقة،
 باللغة العبرية، تقول أنت "تسقط" بالدورة، تماماً مثلما تقول تسقط

بمعنى تموت. قررت ان أمضي قدماً، أصك أسناني، وان أدرس بكل ما اوتيت، مثلما قلت أمس. سوف أدفن ألم الا أرى الناس الذين أحتاجهم أكثر من أي شيء في الدنيا. لا أعرف ان كان سيعجبني الأمر، ولكني أعرف بأنني فخورة بان تم اختياري كي أكون في الخدمة السرية. لذلك علي ان أبقى مهما كان الأمر.

خوف لا يبوحُ باسمه

أمضيت عطلة نهاية الأسبوع بين الصف وغرفة الحراسة وكابينة الهاتف. حين عادت البنات وجدني مرهقة جداً. ولكني اجتزت الإمتحان انا متأكدة من ذلك، ووجه "تامار" يؤكد ذلك صباح هذا الأثنين. تناولني الورقة مع إيماءة من رأسها.

"92، ليست النتيجة سيئة. ولكن ستكون أفضل لو عدتي الى درجاتك القديمة."

"رومي" تبرطم، غير مقتنعة. "بالكاد، خاصة وانها عملت ليومين على ذلك."

هناك شيء من الزهو في لهجتها، ما الذي تتوقعه؟ هل كانت تتوقع مني ان أفشل؟ كان بودي ان أسألها، ولكن ذلك سيكون مجازفة، لا يمكنك ان تتحاذق مع من هو أقدم منك، ذلك عيب، لأنه يعني الا وجود للمصارحة وللعلاقات. علي ان أبلع أسألتي وان أنظر للمستقبل. هناك رقم واحد، 100، علي ان أحققه مهما كان الأمر، في كل مرة بدءاً من الآن. أغرق نفسي بجنون بدراسة مقارنة بين الطائرتين المقاتلتين اف-5 واف-1.

كانت وجبة العشاء مكونة من أفخاذ الدجاج وهي أكثر الوجبات رفاهية تقدم بالجيش-لكني لم أكن جائعة. الآن نعود الى صفوفنا، وانا أشعر بسخونة شديدة. أسرع الى مقعدي، أحاول ان أسحب نفساً قوياً ولكني أشعر بان الأمر لا يجدي. الدم يتدفق الى رأسي ولا يعود الى أسفل. أشعر بالإختناق. أخلع نظارتي وأحاول ان أقاتل هذا الشيء المجهول، غير ان الأمر يزداد سوءاً. أريد ان اطلب المساعدة، وجهي مصاب بالشلل، لا يمكنني ان أحرك شفاهي، أشعر بوخزات الإبر في وجهي، أسمع احداهن تقول، "انظروا ان "فاليري" لا تبدو في حالة جيدة."

"فاليري، فاليري، هل بإمكانك ان تتكلمي؟"

لا، لا أستطيع الكلام، أقول لهم بعيني اني مرعوبة، اني خائفة بأني سأموت في غضون الدقائق القادمة، وعليهم انقاذي.

احدهن تركض الى جانبي،"أسرعن نادين على "تامار" و"رومي".

اتوقف عن الحركة، خوفاً من ان يشتد علي ذلك الذي يحطم رأسي وقلبي.تظهر كل من "تامار" و"رومي" أمامي.تحاولان مساعدتي بان أخطو بعض الخطوات، لكني مشلولة بلا حراك.ما يقلقني أكثر:ذلك الرعب الذي ارتسم على وجه "رومي" والجديّة التي على وجه "تامار".

أوضع على سديّة.مستوصف.ممرضة تقيس لي ضغط الدم تسأل بصوت متكاسل، "أين تشعرين بالألم؟" أشير الى رأسي، وأحاول ان انطق بضعة كلمات. "أشعر بأني معصورة.كأني عبرت المحيط بزورق تضرب به الأمواج."

تبقى جامدة:تريد تفاصيل دقيقة، شئى واضح.

"لكن ما الذي حدث بالضبط؟"

"شعرت بسخونة جسمي..."

أسقط ميتة.كل شيء يبدأ من جديد، الألم يوقظ بعض أجزاء جسمي ثم يترفع الى رأسي، ويزداد في كل لحظة ويملاً جمجمتي التي تكاد تنفجر.انا قنبلة.أبكي من غير أية دموع.أمسك برأسي بين يدي وأنوح، انه يعود، انه يعود، انه يعود.لا، أرجوك أعلمي شيئاً ما، ساعديني!لا، لا.انه يؤلم، انه مؤلم كثيراً.

أشعر بالرعب، والممرضة أكثر رعباً مني.

"افي"، "افي" تعال الى هنا بسرعة."

يظهر جندي، وينظر الى كلينا ليحاول ان يتبين من هي الأكثر رعباً منا، ويقرر بحكمة انها انا، ويقرر بمعقولية انها انا، فيضغط على يدي لكي يطمئني بينما يستخدم يده الأخرى في ضرب رقم على الهاتف.

"إسعاف، بسرعة.نحتاج لأخذ جندي الى المستشفى".

الجندي هو انا، وانا أتألم مثلما لم أتألم من قبل، واكتشف للغرابة ان بإمكانك ان تعاني من آلام مبرحة ومع ذلك يمكنك ان تكون متألماً، ترى كل شيء، تسمع كل شيء، ولذلك تخاف.

تنطلق الإسعاف بأقصى سرعتها ، وصوت الصفارة يشق طبقات أذني. يعتصرني الألم وأبكي وأون. مالذي حدث لي؟ هل سأموت دون أن أرى الناس الذين أحبهم.

مستشفى "ياشيلوف". تراجع الألم الى مخبئه ثانية وأخذ كل قوتي معه. أبحث عنه، أراقبه. عدم وجوده هنا يقلقني. أين سيأتي في المرة القادمة؟ والى أي درجة من عدم التحمل سأكون عليه؟.

يقيسون ضغط الدم ثانية. يعملون رسماً للقلب ويأخذون عينة من الدم. يتحدثون الي برفق، كأنما يتحدثون الي طفلة، مرهقة جداً لكي أفهم. يعطونني قرصاً ويضعوني في غرفة مجاورة مع رجل عجوز بسحنة سمراء وعيون شاحبة. لا أدري لماذا ولكنني أشعر بألم فضيع لدى نظري اليه. تلك كانت آخر ما خطر بعقلي قبل ان أغط في سبات عميق.

حين أستيقظ تقول لي ممرضة بانى أحسن حالاً الآن، واني سأتمكن من العودة الى القاعدة اليوم. الرجل الذي في الجوار لم يعد موجوداً هناك. أسأل عن أخباره ولكنها لا تجيب. أحاول ان أعرف ما الذي جرى له ولكنها لا زلت لا تتكلم، أو بالكاد.

"ستعرفين كل شيء في الوقت المناسب."

لا بد ان هناك من أدى القسم على الكتمان أيضاً قبل سنين.

يعطونني أوراق الخروج مع قرصين من الدواء علي ان أخذهما في حالة صدمة أخرى. أقلب بالغلغلاف: "فاليوم". كنت اعتقد انه من المخدرات ولم أظن ان مستشفى يمكن ان توصفه لك.

الممرضة-الجنديّة من القاعدة تنتظرني. تنظر الي وكأنها مرعوبة مني. تتخلص مني: ما فائدة ان تحاول ان تجعل الآخرين يلملمون شتاتهم اذا كنت أنت متخاذلاً؟

"لدى سعار"، أقول لها (لكي أمنحها سببا وجيهاً لكي

ترتجف). أعطوني مهدها ولكن مفعوله سيختفي بعد ربع ساعة."

عيناها تتسعان في تعبير عن رعب تام. تصر بان تجلس في مقدمة سيارة الإسعاف الي جانب السائق، تاركة أياي في الخلف. ذلك بالضبط ما أريده، أريد ان أكون لوحدي لكي أفكر، ولكن مهما حاولت فان الآلية الموجودة في عقلي معطلة بشكل واضح.

"رونيت"، الأسم الذي ناداها به الحارس عندما اجتزنا بوابة القاعدة، تأخذني بسرعة الى غرفتي، وتهرب، وهي تتمم "ستأتي مدربتك لتراكي. حاولي ان ترتاحي."

أنتظر بلهفة قدوم "تامار". لعلها تستطيع ان توضح لي بعض الأمور. غير ان "رومي" هي التي تأتي سائرة على رؤس أصابعها، وتبدو غريبة الأطوار. تشرح لي، بكل ما تظهره من تردد، بانها لا تعرف على وجه التحديد ما الذي حدث لي.

"ربما هو نوع من الصدمة العصبية لأنك كنت متوترة ومرهقة. بالطبع بإمكانك ان ترتاحي هنا في القاعدة اليوم، وسنرى ان كنت ستعودين للدروس غدا..."

"أظن بان أصحاب السلطة لن يمدوا بعطفهم علي لكي يمنحوني اجازة حتى أتمكن من الذهاب الى البيت لعدة أيام."

قلت ذلك مع ابتسامة صغيرة. أخمن بان حالتي تسمح لي بان أقول ما أشاء دون خشية. بإمكانني ان أقول لـ "رومي" الآن بانها قبيحة، متملقة وغيبية وبان من العار انها تحمل أسم شخص عرفته يوماً وأحببته وهي تنظر الي بتعاطف وتقول لي بان على ان أرتاح.

الحرية هي نوع من الجنون تعني بان بإمكانك ان تقول بالضبط ما تفكر به دون أية مجازفة.

"ستأتي البنات لرؤيتك قريباً. كن قلقات بشأنك"، تقول ذلك بنبرة تأنيب في صوتها: لا يمكنها ان تخفي ذلك الشعور ضدي. بقدر ما يتعلق الأمر بها، فأنا مجرد بنت تحاول ان تلتفت الإنتباه، ولكي أوفر عن نفسي المزيد، أغمض عيني. في كل كتاب قرأته، وفي كل فلم شاهدته، ذلك ما يفعله الناس حين يكونون مرضى يريدون ان يتركوا لوحدهم لأنهم لا يتحملون تعابير التعاطف من الناس الأصحاء الذين حولهم. يبدو ان "رومي" ذهبت الى السينما في حياتها) والتي أعتقد انها كانت متوسطة الحال) لأنها انسحبت مباشرة، أشعر بإرتياح ان حديثنا أنتهى هناك.

جاءت البنات الى الغرفة واحدة تلو الأخرى. بدون في منتهى الجدية.

"نحن كنا مرعوبات جداً" قالت "هيدي".

"توافقها "نوا، "نعم، كنت ، كنت"
 "شاحبة" تكمل "راحيل، وهي تحدد بي بشكل غريب.
 "مالذي قالوه لك في المستشفى؟" تسأل "ايميك" بشكل
 عملي.
 "لا شيء."

ابدأ بالشعور بالذنب. كيف يمكن لزلزال الا يكون شيئاً؟ اذا لم
 يكن باستطاعتك ان تجد اسماً طيباً لما مررت به، ففي الواقع كأن
 شيئاً لم يحدث.

"نوا" تنظر الى الآخريات بعجل.

"حان وقت العشاء"، تقول، "هل تريدان ان نأتي لك بشيء؟"
 "لا، شكراً، لست بجائعة."

الشيء الوحيد الذي يمكنني عمله، وأريد ان أعمله، هو ان
 أنام، أنام وأتوقف عن الوجود. ان أتوقف عن رؤية ذلك الخوف
 الذي أصحبت فجأة أراه فيهم جميعاً.

لم أسمع "تامار" تدخل الغرفة، تركت رسالة على بطانيتي:
 خذي قسطاً من الراحة، غداً يوم آخر.

قررت ان أعود الى دروسي بسرعة. اذا ما خسرت يوماً آخر
 فاني سوف أسجل رقماً قياسياً في الدورة بعدم الدقة حين أحصل
 على درجة تحت الخمسين، وذلك سيجعلني مريضة طيلة حياتي.
 بدأنا الدروس بالإستماع الى موجات الراديو من خلال
 سماعات كبيرة فوق رؤسنا. هناك شريط علينا ان نفك رموزه،
 نكتب فوق قسائم كتب في أعلاها "سري للغاية". الشريط حول
 طيارين اردنيين يقومون بالتدريب والحوار الدائر بديع.

صياد-1، مسموح الإقلاع.

حسناً.

صياد-2، مسموح الإقلاع.

حسناً.

هناك أربعة منهم، الجميع أقلعوا.

يقومون بتغيير التردد.

صياد-1 الى صياد-3، 2، 4، هل تسمعونني؟

بكل وضوح.

حسنا لنرتفع الى خمسة آلاف قدم.

خمسـة آلاف قدم، حسناً.

يقمون بتنظيم أنفسهم في تشكيل قتالي. قائد السرب يدير العملية بكل اقتدار المخرج المسرحي، يضع كل طائرة في مكانها كأنها فوق رقعة شطرنج. صياد-3 يلعب دور الهدف. صياد-2 عليه ان يقودها الى إرتفاع 7000 قدم في حين ان صياد-4 يقوم بحركة لولبية كي يأخذ موضعاً في خط النيران.

صياد-1 الى صياد-4، هل ترى الهدف.

ثعلب-1.

جيد، أرمي.

ينتهي التمرين. القتال الجوي ينتهي عادة خلال دقيقتين. صياد-

4 يغني بالعربية، من الواضح انه سعيد. بنفسه.

جميعنا نبتسم. ما تعلمناه من التكتيكات المستخدمة في القتال يعني ان بإمكاننا ان نرى الطائرات. شيء أشبه بالسحر. شيء مثير للنشوة ان تكون في موضع حلم كثيرون ان يكونوا فيه يوماً ما. ذبابة على الحائط بإمكانها ان ترى وان تسمع كل شيء دون ان يراها أحد. قريباً، خلال أسابيع قليلة، سوف نمضي كل ايامنا مع صياد-1 وأصدقائه. حتى الآن أكاد لا أصدق أنهم "اعداؤنا".

نهاية اليوم، تناولني "تامار" ورقة استدعاء الى المقر العام في اليوم التالي. علي اللقاء هناك مع ضابط، اسمه "رونين تال"، عند الساعة الخامسة والنصف مساءً. المقر العام في تل أبيب ولدي أربعة ساعات اجازة. مهما تكن نتائج هذا الاجتماع الذي يقلقني، الا ان لدي اجازة لطيفة.

فرويد جاء لوجدتي

مررت بثلاث نقاط تفتيش مختلفة حيث دققوا في كل منهما بأوراق. تم وضعي في غرفة كبيرة أشبه بغرفة الإنتظار في عيادة طبيب باريسى من ان تكون مكتباً في الجيش. أفتح كتاباً، ولكن ما في ذهني حقيقة هو من يكون "تال رونين"، أم هو "رونين تال"؟ كلاهما أسم شخص، أهياً نفسي للأسوء وللأفضل.

الأسوء: ان يبلغني بانى طردت من الدورة. كفاية يعني كفاية. درجة متدنية يتبعها بإجراء غير مفهوم يكفي لكي ينزلني الى عمل في السكرتاريا او في المطبخ.

الأفضل: "رونان تال" هو المسؤول عن العمليات السرية ويريد ان يكلفني بمهمة خاصة.

ميلي الدائم للواقعية يجعلني أختار الأسوء. الأحلام التي أداعبها ليل نهار تهمس لي ان كل الأمانى شرعية.

تفتح باب ويدخل رجل الى الغرفة. متوسط الطول، نحيف، بشرته داكنة، شعره خفيف. في حوالي الأربعين من عمره، جذاب جداً (لن أصفه بأكثر من هذا واظن انى أوضحت بما فيه الكفاية بان وجدت "رونين تال" هذا لطيف الشكل). هناك ملاحظة واحدة مثيرة للاهتمام وهي انه في الدور السادس من المقر لا يرتدي بزته العسكرية.

يمد يده ويشير الى مكتب أنيق. هناك مقعدان دواران من الجلد بمسندين أمام طاولة ويواجهان بعضهما. أنوار تل لبيب تتوهج من خلال شبك واسع.

"أهلاً وسهلاً، انا العقيد "رونان تال"، انا أدير الوحدة النفسية للجيش. هل لديك أية فكرة لماذا أنت هنا؟"
"لدي فكرة ما."

"أخبريني عن تلك النوبة-مالذي شعرت وفكرت به؟"
استغرقت في وصف طويل، بادئة بالعقوبة التي فرضت علي: حرمانى من الإجازة لأسبوعين. شعرت بالإختناق حين نطقت "تامار" بالكلمات التي وصلت الى حد: لن تستقلي بعد الآن الحافلة رقم 370 في طريقك الى البيت، لن تنامي بعد في غرفتك والتي

هي ليست سكناً جامعياً ولكن غرفة عادية تلصقين على جدرانها بوسترات وبطاقات بريدية لأماكن لم تزورها ولكنك تتمني ان تفعلي ذلك يوماً، لن تأكلي بعد الآن في صحون عادية (مقارنة بمرجل غوليفر)، لن تذهبي للنادي مع أصدقائك، لن تذهبي الى الشاطئ، لن تتحدثي الى "راحيل" لساعات لكي تتابع كل منا حياة الأخرى، (علما ان ذلك لن يحصل ولكنه مجرد أمل)، لن تذهبي لكي تقابلي "جين ديفيد".

بعد ان لفظت باسم "جين ديفيد" أشحت بنظري الى الأرض: يبدو اني قلت الكثير: ماعلاقة كل ذلك به؟ لكنه يبدو مهماً بكل شيء لأنه عاد ليسأل: "ماهو شعورك تجاه الجيش؟" أتهد.

"لا.... بأس."

"يبدو انك مترددة."

"لا، بل لأن الجواب يبدو معقداً."

"لدي متسع كافٍ من الوقت."

"ليس لدي."

يرفع حاجبه بتعجب.

"علي ان أعود الى القاعدة في غضون ساعتين." أحاول ان أوضح بان أذكره باننا في الجيش ولسنا نحاول التعرف الى بعضنا البعض في بار ما في ايرلندا.

يتجاهل ملاحظتي بإشارة من يده اليمنى، وكأنه يقول: "كفي عن ذلك، تلك هي لعبتي."

يبدو مصمماً، أستم.

"حسناً سأتكلم بصراحة. انا أشعر بانني في حالة جيدة وأيضاً لست كذلك. أدرك بان هذا ليس جواباً جيداً ولكنها الحقيقة المطلقة. انا فخورة بانني أرثدي البزة لأنها تمثل التاريخ الذي دروسه لي، لأنها بزة الأبطال، لأنني قضيت سنوات مراهقتي وانا أحاول ان أتخيل مع صديقاتي أي نوع من الجنديات سنكون. انا أدرك، مثلي مثل الآخرين، بانني حين أكون في الجيش فاني سأكون جزءاً من هذا البلد. انا سعيدة جدا كوني سأخدم بالخدمة السرية، أشعر بانني ذات فائدة، انا سعيدة بالدروس التي أتلقاها. لكن في نفس

الوقت فان النظام قاس جداً مما يدفعني الى الإحباط. أدرك ان الأنضباط شيء أساسي، ولكنني اظن انهم لو سمحوا لنا بالمزيد من الوقت والحرية، لو لم نجبر على ترتيب أسرتنا مرة وثانية وثالثة، كدليل على الإنضباط، فاننا سنكون جنديات جيداً أيضاً، وأيضاً أكثر سعادة بالحياة."

ثم اضفت. "حسناً، لا علم لي بالأخريات... ولكن بقدر تعلق الأمر بي فاني سأكون كذلك."

العقيد الذي يرأس الوحدة النفسية بالجيش بدا في تفكير عميق بشأن ماقلته.

"ما معنى ان تكوني امرأة بالنسبة لك؟" يسألني فجأة.
لا أرى رابطاً بين الأثنين، ولكني لا أتجرأ على قول ذلك.
اذا كانت غايته هي دفعي لان أخلع ملابسني فقد ظل الطريق. تركني السؤال أضحك.

ان تكوني امرأة معناه ان تعيشي حياتك بكثافة أكثر من الرجل لأن لدينا تجارب طبيعية قوية أكثر منهم. انها الرغبة بتغيير العالم، وهو ما تركنا نسعى لآلاف السنين الى ان نحصل على القبول وايضا ان نكون مكملين للرجال.

بدا وكأنه أعجب بإجابتي. أستمر بإستجوابه المبتسر، قافراً من موضوع الى آخر، من والدي الى ذوقي في الموسيقى، من ما الذي يجعلني أضحك (بالطريقة التي يكون فيها الأطفال وكبار السن سذج وماكرين)، الى ما الذي يجعلني أبكي (يأس الآخرين، الشعور باللاجدوى، فقدان الحب، الكتب والأفلام التي تنتهي نهايات حزينة). من ما الذي يخيفني (النار، الشعور بالضعف أمام الألم، العنف، ان لا أكون معشوقة من رجل أحبه) الى ما الذي يثير اشمزازي (الظلم، أي نوع من الظلم) من خصالي الحميدة (العناد، الإخلاص، قلة الصبر) الى رذائلي (الإفراط بالاعتزاز بالنفس، نوع من حب الذات، ومرة ثانية قلة صبري) من ما الشيء الذي يمكن ان أموت من أجله (لا اظن اني مستعدة ان اموت في الثامنة عشرة من عمري) الى ما الشيء الذي يدفعني لان أعيش (أحلامي، رغبتني بان تتحقق، كتب لم أقرأها بعد، كتب أريد ان

أكتبها، مشاعري التي عشتها ومشاعر أرجو ان أعيشها، أوقات الغروب، حياتي كما أرغب ان أعيشها.)

كلي رغبة بان اظل في هذا المكتب، لا حد أبدي مثل ذلك الإهتمام بي منذ خمسة عشر عاماً على الأقل، لكن كل الأشياء الجميلة لا بد ان يكون لها نهاية.

"حسناً، فاليري، ستعودين الى ثكنتك وستكملين دورتك حتى النهاية. هناك ضابط طبيب نفسي في القاعدة، هي جيدة جداً، يمكنك الذهاب لرؤيتها لتبادل الحديث بين الحين والآخر اذا ما رغبتى بذلك. ذلك سيكون مفيداً لك لتتأقلمي مع أشياء قد تكون ثقيلة الوطأة عليك. اسمها "شلوميت درور" (هل هذا يعني شيئاً ف"شلوميت" هي مؤنث "شالوم" والتي تعني سلام، كما ان "درور" تعني حرية.)

أنهض وأمد يدي: حتى لو كان أقدم مني لكني وجدت ان من السخف ان اؤدي التحية العسكرية لشخص يعرف الآن عني كل ما هو أساسي.

مصافحته قوية ولكن ودية.

"حظاً سعيداً" يقول قبل ان يتردد قليلاً ويضيف، سترين ان الأمور ستتحسن، انا متأكد من ذلك."

أبتسم، أشعر بخفة، ها انا قد نفضت عن كاهلي نصف طن من القلق في مكتبه ولا يبدو انه قد تأثر بذلك.

في القاعدة، أسأل "تامار" ان كان باستطاعتي ان ارى الملازم "شلوميت درور". لا يتحرك لها جفن لكنها تقول انها ستخبرني في أقرب وقت ممكن. أركز على جلسة أستمع فيها الى سرب من طائرات "بلو سكاي" وهي تتدرب على القتال ضد سرب من طائرات "بلاكبيرد."

ذلك المساء، ناولنتي "تامار" استمارة (524 ب): رقم 3810159 لديها موعد مع النقيب شلوميت الساعة 10:30 غداً صباحاً.

من المفروض ان نكون ساعتها نؤدي الواجب في المطبخ- هذا يعني انني سأتخلص من بعضها. تلك بعض المكاسب التي حصلت عليها.

يقع مكتب "شلوميت درور" الصغير في بناية مسبقة التجهيز مميزة عن باقي البنايات في القاعدة لأن الجيرانيوم يتدلى من شبابيكها. وصلت مبكرة بحوالي دقيقتين. في تمام العاشرة والنصف تفتح امرأة نحيفة، في حوالي الأربعين من عمرها، بشعر أشقر مجرد الباب. من منا كان أكثر صدمة. ربما هي. مرات عديدة شاهدتني أقرأ منذ اليوم الأول لوصولي. تشير الي بيدها. خلال أكثر من شهرين من وجودي في الجيش هذه هي الشخص الثاني الذي يفعل ذلك لي. أجد ذلك مريحاً جداً في هذا العالم الذي يكون فيه رفع اليد الى الصدغ هو النظام السائد.

"أهلاً، انا شلوميت درور."

"فاليري زيناتي" تقول الورقة اننا يجب ان نلتقي."

تريني رسوم غريبة تحتوي على خطوط سوداء عريضة عديدة تكون شكلاً على ان أفسره. بعد ذلك أقول لها مالذي أتى بي الي هنا، تلك النوبة التي ليس هناك من هو على استعداد لكي يسميها. تفتح اضبارة وتقول لي انه أعراض شيء يسمى ب (ف.ش.س) أي ما معناه فتاة شابة ساخنة.

أفكر بالتسمية ملياً ومن ثم أقول بشيء من السخط "انه أسم ينطوي على مهانة."

توافقني الرأي لكنها أبدت حرصاً على ان تشرح لي الأمر.

"انه مزيج من شلل تشنجي، وفي حالتك صدادع نصفي عنيف، وهي أعراض تصيب الفتيات أكثر من الصبيان."

أشعر برضا معقول من شرحها.

"تعرفين"، تقول بلطف، "أحياناً يقول جسدنا أشياء لا يمكننا

ان نسميها."

ما ان سمعت ذلك حتى بدأت أرتجف، ثم أنهمرت دموعي.

الدورة على وشك الإنتهاء. بعد أسبوعين من النوبة دعونا الي أمسية ثقافية، الي مسرحية تجريبية، قام بتمثيل أدوارها الجنود، لم أفهمها مطلقاً. الجيش هو في الواقع النسخة الخاكية من المجتمع: هناك جنود طباخون، جنود سائقون، جنود مغنون، جنود

صحفيون، جنود مشغلون للتلفونات، وحتى أيضاً جنود معلمين
 للابتدائية يرسلون الى مدارس في "المدن النامية."
 مؤخراً اكتشفنا ان هناك ثلاثة مواقع محتملة لإرسالنا نهاية
 الدورة. قاعدتان في الشمال والجنوب تعرفان بانهما قواعد
 "مغلقة"، (يعني ان الجنود يقضون أسبوعين على التوالي ثم
 يأخذون خمسة أيام اجازة) وقاعدة واحدة بالقرب من القدس تسمى
 "مفتوحة" وذلك يعني ان بإمكانك الخروج طالما أنت لست بواجب
 الحراسة أو أي نوع آخر من الواجب. جعلوني افهم بان من الممكن
 ان يرسلوني الى الجنوب، طالما ان والدي يسكنان هناك. أهتز من
 وقع الفكرة، لألف سبب وسبب، وهي حريتي، و"جين ديفيد".
 لأول مرة في حياتي أقرر ان أجري حساباتي بعقل بارد وان
 أجا الى "شلوميت درور" التي أراها مرتان بالأسبوع هرباً من
 الروتين الجهمي ولأن من المفيد ان انتكلم مع شخص يصغي
 حقاً. كما اني موقنة بان كل شيء يقال عندها يتم تسجيله بدقة
 وينقل الى السلطات اذا ما استدعت الحاجة. فهم لا يطيقون خطر
 وجود محبطين أو عصابين أو أي شخص يمكن ان يحمل أعراضاً
 هستيرية. لذلك فاني ادبج حديثي عادة بعبارات مثل "اذا ماكنت في
 قاعدة مغلقة، كنت سأختنق". "اذا ما كنت في قاعدة مفتوحة لما
 كنت عانيت هكذا."

أشعر بخجل من المرأة التي تمنحني كل ذلك التعضيد الدائم،
 التي تعتقد انه أمر حسن الا يشبه الإنسان شخصاً آخر، ان ليس
 هناك ما يعيب الشخص اذا ما كان يخلق الى السماء أو الى الغيوم
 أو انه يريد ان يقرأ بدلاً من ان يبتلع طعاماً دون شهية. لكني أشعر
 وكأن نجاتي تعتمد على هذه الوظيفة التعيسة، كما أعتقد جازمة
 بان الشخص الوحيد القادر على ان يخلصني ليست من النوع الذي
 يسهل خداعه.

حين كنت في البيت المرة الماضية كان هناك رسالة مرسلة
 من باريس. "جين ديفيد" كتب ليقول انه في فرنسا لقضاء أعياد
 الكرسماس ورأس السنة الميلادية وانه سيذهب للترحلق على
 الثلج. يقول بشيء يثير الغرابة "دائماً ما أفكر بجنديّة صغيرة تعتقد

انها ضعيفة، لكني أرى انها قوية." ينهي الرسالة: "ابتسامه أخرى". ج.د.

بعد قرائتي لها مرات عديدة، أحفظ الرسالة عن ظهر قلب، ومع ذلك أقرأها مئات المرات بينما أستمع الى الأغاني التي يحبها "جين ديفيد".

مثلما أفعل في مثل هذا الوقت من كل عام، أشعر بحنين الى عروض المحلات في الكرسماس. كيف لنا ان نعيش حياة مختلفة فوق كوكب واحد؟ نحتفل في مكان ولكن لا نفعل ذلك في مكان آخر. شاهدت رأس السنة بينما كنت اؤدي واجب الحراسة الليلية أشرب قهوة كريهة بكوب كارتوني. "ايميك"، الوحيدة التي تدخن في مجموعتنا، كانت رفقيتي بنوبة الحراسة، صنعت العابا نارية بان رمت سيكارتها على جذع شجرة، وتمنت كل منا للأخرى سنة طيبة.

أركز كل طاقتي الذهنية في الدروس التي أصبحت أكثر كثافة، في حين أقضي الوقت المتبقي وحدي. مرة أخرى البنات ينظرن الي بريية. منذ النوبة التي أصابتنني لم يفهموني اطلاقاً. من الواضح ان الجيش وقوانينه هي ما يهمهم، يرضعون من منطق الواجب منذ ان كانوا في أحضان والديهم، (والديهم دون استثناء، اما ضباط دائمون، أو احتياط). والدي امضى خدمته بالجيش الفرنسي وهو يحرس دار سينما والتي ساهمت مساهمة كبيرة في ثقافته السينمائية. لا يمكن هزيمته بشأن أي فلم ظهر خلال الفترة بين 1960 و1962، لكن حين يكلمني عن الجيش الفرنسي (عالم ذكوري من النكات القبيحة)، فأنتني لاجد أي علاقة بينه وبين التجربة التي أمر بها. على الناحية الأخرى فأني لم تلبس البزة او تلمس سلاحاً أبداً، وهو شيء طبيعي في أي مكان آخر في العالم.

11 يناير، الساعة 11 مساءً.

أدينا يمين الخدمة السرية اليوم. أقيم الإحتفال داخل القاعدة. بالقرب من المتحف الصغير الذي أقيم لتخليد "يوناتان ناتياهو"، بطل وحدة النخبة، الذي مات في عملية "عنتيبة".* العلاقة بين

المكانين شيء يثير الإعجاب كانت أمي هناك، تبدو فخورة، مع "يوليا"، رافي، ايلان وفريدي (الذي لم أكن قد قابلته منذ إطلاق سراحه) يبدو انه فقد من وزنه، لكن السجن لم ينجح في إطفاء البريق الذي في عينيه أو تغيير صوته. غنا لي أغنية من "ايريك اينشتاين" مليئة بالأمل وحب الحياة. كنت على وشك ان أبكي، كنت بغاية السعادة. كان شيئاً رائعاً ان أراهم مرة أخرى، من خلالهم رأيت ذاتي التي أعرفها، (سعيدة ومحبوبة) في هذا المكان الذي شعرت بانني سأقضيه وحيدة للأبد بالنسبة للدورة التي كنت قد منحت نفسي رفاهية ان تكون الأولى التي التحقت بها فانهم منحوني شعارها ذي اللونين الأخضر والأبيض، ومن المهم، المهم أنهم عينوني في القاعدة القريبة من القدس، شكراً لك يا "شلوميت".

رقية وفخورة بذلك

مطرقة-1 الى إعصار-1، يمكنك الإقلاع
مطرقة-1 الى إعصار-2، يمكنك الإقلاع
مطرقة-1 الى إعصار-3، يمكنك الإقلاع
إعصار-1 الى إعصار-2، إعصار-3، قناة 29، انطلق! حول،
قناة 29.

تردد 29، تردد 29! أبكي وأضع قلبي جانباً.
مضى أسبوع الآن على وصولنا الى هذه القاعدة الصغيرة
المزدحمة بالهوائيات الغربية المغروسة بالتلال الصخرية التي تطل
على قرية فلسطينية تحتنا. "نعمل" من مستودع يفتقد الى أية
لمسات جمالية ياللتناقض: نحن نتنصت على كل شيء يطير في
السماء ولكننا غير قادرين على رؤيتها. في أول مرة ذهبنا فيها الى
"المطبعة"، (ذلك هو الأسم السري الذي أعطي لمحطة التنصت)
أصبنا بالدهشة: كان هناك حوالي عشرين أو أكثر من الجنود
يجلسون ووراء أجهزة تسجيل بينما وضعوا السماعات فوق
رؤسهم. في الإتجاه المقابل وعلى منصة مرتفعة كان هناك أربعة
أشخاص (ثلاثة منهم من القوة الجوية)، يدونون الملاحظات

ويعطون التوجيهات. وعلى منصة أخرى بعيدة شيئاً ما، كان هناك جنديان، أيضاً مع سماعات في أذانهم، يستمعون الى الأشرطة وينقرون على مفاتيح الكمبيوتر. ابتسموا لعلامات الدهشة التي على وجوهنا وعادوا الى أعمالهم كأن شيئاً لم يحصل.

حالياً، نحن نعمل برفقة آخرين نرتبط بنفس جهاز التسجيل وذلك لتفادي أي خلط قد يحصل بين محادثات الطيارين وشريط لمادونا. من المفترض ان نبدأ عملنا الأسبوع القادم، هناك عشرة أفراد من الدفعة السابقة على وشك ان ينهوا خدمتهم (جميع هؤلاء من الفتيات اذ ان للأولاد عام آخر للخدمة، ويبدو، لمرة واحدة على الأقل انهم لا يمانعون من وجود مساواة بين الجنسين). تلك هي الطريقة التي يتم بها إستبدال المجموعتين بتتابع لا ينتهي، حيث يصبح القادمون الجدد شيئاً فشيئاً قداماء في حين يتقدم خلفائهم محلهم.

نقوم بالعمل ثلاث وجبات كل يوم، صباحاً، عصراً، ومساءً، هذا المكان مشغول بشكل دائم منذ عقود. لا تتطلق طائرة من الأراضي الاردنية دون ان نكون على علم بها، واجد ان الفكرة مثيرة.

كل جهاز تسجيل مضبوط على موجة ترددات: ترددات لأبراج مراقبة، محطات رادار وترددات تدريب الطيارين. حالما تغير الطائرة ترددها، نبلغ الجميع بذلك ويقوم شخص ما بتولي الأمر في جهاز آخر. نبلغ القوة الجوية بأي نشاطات التي تثير انتباهنا كونها غير طبيعية، وهم بدورهم يبلغون مكتباً مركزياً يقوم بدوره بمتابعة المعلومات التي ترسلها الوحدات المختلفة. في السماء نقوم بحل شفرة الأشرطة المهمة ذلك اليوم كما نقوم بتحليل الأساليب القتالية للطيارين وما تعلموه.

وهناك فوق المنصة الصغيرة يقوم أحد الجنود بعرض الترددات على شاشة حالما يتم تفعيلها. هو بمثابة المستوى الثاني للإنصات، أي التعزيز الذي يأتي حين تكون المحادثة غير مسموعة بشكل جيد. عادة ما يكون هذا الشخص جندياً قضى هناك ما لا يقل عن ستة شهور. الى جانبه هناك جندي يقوم بمراجعة الترددات بشكل دقيق حتى يتمكن من تحديد تلك التي تم ادخالها حديثاً.

القاعدة. إنهار "أوري" من الضحك في حين خرجت الوجبة القديمة من مخبئها وهي تغني: مازال توف"، مازال توف".*

نمطهم بدورنا بسباب وفير ونلاحقهم كي نمسك بهم ونمسح الوحل ببزاتهم النظيفة. "غيل"، أحد القدماء يضربنا على ظهورنا ويعني: الآن أنتن منا، الآن أنتن منا.

"أوري" يطلب منا الوقوف إنتباه، قائلاً أن الإحتفال لم ينته بعد، وأحدهم يأتي لكي يأخذ لنا صورة. "شجرات طماعة الكرز" تبدو فخورات، منقوعات، وجوهنا مغطاة بالدقيق، وصفار البيض يغطي شعرنا.

"حسناً، أيتها الفتيات يمكنن أن تستحموا، اذا أصررتن على ذلك. علي أي حال، من ليست في جماعة الإنذار بإمكانها أن تتمتع بإجازة حتى الساعة العاشرة مساءً. من حسن حظي أي كنت في المجموعة أمس. سأنتقل لكي أغزو القدس.

الجندي الذي التقطني من الطريق بينما أحاول إيقاف سيارة مارة أوصلني إلى ناصية جامعة "جبل المشارف"، الظلام يغطي المدينة، الليل يهبط حوالي الساعة 4 مساءً. أقف بانتظار الحافلة مع طلاب أكبر مني سنأ قليلاً. دائماً عندما أخرج من القاعدة أشعر كأنني اجتزت شيئاً أشبه بالستار الحديدي ودخلت إلى العالم الحر. "المدنيون" لهم الخيار بان لا يستيقظوا صباحاً عندما يغسلون الصحون فأنهم يغسلون ثلاثة وليس سبعة. لا أحد يوقظهم في الثانية صباحاً لكي يقوموا بواجبات الحراسة. يرتدون ما يحبون....

تتدريج الحافلة بطيئةً إلى وسط المدينة، مارةً عبر الأحياء الدينية حيث تسرع الضلال الداكنة في الشوارع آذنة لصلاة المساء. أتصل بـ "جين-ديفيد" من نفس المقهى التي أتصلت في المرة السابقة. الخرافة تسيطر علي بشكل ما. صوت رجل يجيب، ناعس وغير مألوف.

"أنا أشاركه الشقة"، يقول لي، "سيعود الليلة."

"هل هو في العمل؟"

"لا، لا أعتقد ذلك. حسناً، أنا لست مرضعته، لا أعلم."

أغلق السماع. أفكارى تتلاعب في رأسي. هو مع أحد ما مع أصدقاء. على علاقة حب مع واحدة ما يقيم مع صديق في منزله. لم يعد يشعر بوجودي. ينتظر أن يسمع أخباري.

أحاول ان أوازن الأمور بيني وبين نفسي بصوت عالٍ (دائماً ما أفعل ذلك). حسناً، ستدمرين حريتك القليلة هذه بسبب ذلك. ماذا تعتقدين؟ سيبقى طيلة حياته ملصوقاً بالهاتف، ينتظر بصبر أن يرن وأن تكوني أنت على الطرف الآخر. كفى أحلاماً. هو الآن يستمتع بحياته. أنت كنت ستفعلين الشيء نفسه لو كنت في مكانه. (أحاول أن أحتج بلطف)، لكن الصوت يمضي بقوة: أمضي قدماً، استمري بالمشي. أنظري كم هي جميلة هذه الأبنية من الحجر. الا يدق قلبك أسرع لمجرد سماعك أسم القدس؟ هذه هي المدينة التي تأتينها حالما أنت خارج القاعدة، إنها أول منطلق لحريتك والتي ستأتين إليها مرة بعد أخرى. عليك أن تعرفي هذا المكان وعليك أن تتعلمي كيف تحبينه، مثل كل الآخرين الذين أحبوه قبلك: بقوة؟

أتوقف عن الكلام. (قررت أني مرافقة بارعة لنفسي) دائماً ما أشجع نفسي على ذلك بأن يكلم جزء مني الجزء الآخر. "فاليري" الحقيقية، الهشة، المفككة، تصغي بانتباه إلى "فاليري" الأخرى، الحليمة، التي لديها أجوبة عن كل الأسئلة، التي لا تستسلم، التي تهز الناس وتوقظهم بصوت موسيقى، ولكن لم يزل مقتعاً.

أسير نحو شارع "بن يهودا"، ثم أعرج نحو شارع "الملك جورج" الذي ينتهي بطاحونة "مونتيفيرو". من هناك يمكنني أن أشاهد أحلى المناظر لأسوار المدينة القديمة في القدس لا يمكنك أبداً التوقف عن الصعود والنزول، فالمدينة مبنية على ألف تل. فإذا ما كنت في القاع، فلا مفر أبداً من التسلق إلى أعلى، وإذا ما كنت في القمة فلا خيار لك أن تهبط إلى الأسفل. بامتداد ما تصل إليه قدماك فإنه درس في الأمل والتواضع في مدينة واحدة.

“هذا نوع من الفلسفة الطبيعية”، أهمس لنفسي. حتى أني لم ألاحظ أن الطريق الذي أسير به ومدعاتي للإعجاب بالأسوار هو نفس الطريق الذي

تسير فيه الحافلة رقم 9 والذي يؤدي إلى شقة "جين-ديفيد". فقط حين تصل إلى ساحة باريس تتجه يميناً بدلاً من السير باتجاه مستقيم. هناك لوحة تجلب انتباهي: "التحالف الفرنسي". أعرف أن هذه مؤسسة تأسست في القرن التاسع عشر لنشر الثقافة الفرنسية. البناية المشيدة بالحجر الأبيض تبدو مرحة. بضعة سلالم، باحة خارجية صغيرة، لوحة اعلانات كبيرة كتب عليها أحدهم بخط اليد "ضمن الإحتفالات بذكرى الثورة الفرنسية، يقيم "التحالف الفرنسي في القدس" هذا المساء عرضاً لبرنامج "ابوستروفيس". أفتح الباب. أسوار القدس التي تعود إلى وقت أطول بكثير من الثورة الفرنسية يمكنها الإنتظار قليلاً.

أطلب العضوية في الإتحاد (بأسعار مخفضة للجنود)-الآن يمكنني أن أتى لمشاهدة الأفلام الفرنسية وإستعارة الكتب. أشعر بحماس: طالما هناك كتب في متناول يدي، لا شيء فضيع يمكن أن يحصل لي.

في غرفة العرض هناك عشرة منا. البرنامج يثير إعجابي، مثلما الضيوف المثقفين، متحضرين ومتقدين. أذكر منذ طفولتي أنني سمعت أحدهم يجادل بضرورة إلغاء عقوبة الإعدام. أقول لنفسي أريد أن أصبح مثله: أن تكون لي مثل تلك القوة والهدوء، ذلك الإقناع الذي يخدم قضية عادلة.

في إسرائيل يعيش كل المتطرفين في المجتمع جنباً إلى جنب، رغم أن ذلك ليس بالأمر اليسير دائماً. هناك أناس أغنياء جداً، وآخرين فقراء بشكل مخزي، ضلال تهتز حين تصلي إلى الله، وبنات بتتورات قصيرة تتحول إلى ضلال حين ترقص، يفكرن بمتعتهن ويعشن حياتهن، مناصلون يريدون السلام الآن، يعرفون أن تحقيق ذلك يتطلب أن تمنح للفلسطينيين حقوقهم في أن يعيشوا بالطريقة التي يريدونها، وآخرون يقسمون على ولائهم إلى الأرض والكتاب المقدس، الذين يصمون آذانهم ويعمون أبصارهم عن حقيقة أن 3,000,000 فلسطيني يعيشون-وضعاً ليس بالجيد- في غزة، وفي في تلال يهودا والسامرة. التوتر يزداد يوماً كذلك بين المتشددين الدينيين الذين يصرون على غلق دار سينما معينة في القدس، وبين اليهود العادين الذين ينتقدونهم لأنهم لا يؤدون الخدمة العسكرية، بين العاطلين عن العمل الذين يتظاهرون أمام البرلمان معربين عن خيبة أملهم والمهندسين المهرة، بين

اليهود المغاربة واليهود الروس، بين المناضلين اليساريين والمناضلين اليمينيين الذين يتبادلون الشتائم والكراهية: "قتلة" !يصرخ أحد المعسكرين، "خونة" يرد الآخرون.

ويستمر الطوفان، يتدفق في الأراضي وفي القدس-حيث يرفع عامل فلسطيني بلطة أو سكين صارخاً لله أكبر. البعض يقول أيضاً بأن بإمكاننا أن ننهي هذا التوتر بحرب جيدة. ولكن ما هي الحرب الجيدة؟ في البلد الذي أعيش فيه، هناك آلاف الثورات التي ينبغي تفجيرها.

حرب الحجر

لأول مرة منذ أسابيع تجتمع المجموعة كلها في بئر سبع في أجازة، نجلس جميعاً على النجيل، عملياً تحت شباك غرفة نومي. "راحيل" تعود من مرتفعات الجولان حيث تعمل سكرتيرة في وحدة مدرعات، رغم ان عملها بعيد جيداً عن عمل السكرتاريا. هي معالجة سايكولوجية، صديقة، أخت كبيرة وحافضة أسرار الجنود. هي التي تنظم الحفلات، والدعوات وأعياد الميلاد لكل الناس هناك. هي التي تعزي وتواسي، بعبارة أخرى هي التي توفر اللمسة الأنثوية لوحدة جميع أفرادها من الذكور.

تخبرنا عن مسرحية عرضتها مع باقي الجنود وعنوانها: الطاهي هو عدونا الأكبر.

"النص كان مثيراً للضحك. كل واحد اراد ان يكون له دور، وبضمنهم القائد والطاهي الذي عمل كل جهده لكي يدافع عن مكانه. "تبدو سعيدة جداً. انا متأكدة انها تشعر بالسعادة أكثر كونها تخدم في وحدة من الرجال وليست مختلطة.

عندما خرج "فريدي" من السجن لم يرد ان يعود الى وحدته القديمة، فتم تعيينه سائق لقائد الوحدة في المنطقة الجنوبية، والتي تتمركز في بئر سبع.

"يوماً ما كنت أغني بينما كان هو هناك، ومنذ ذلك اليوم وهو يطلب مني ان أغني على الأقل اغنيتين في كل رحلة-يقول انها تساعد على التركيز. بنته ستتزوج خلال شهرين وطلبت مني ان اغني في حفلتها.

نصفق جميعنا، ونهنيه على ذلك. نشعر بسعادة لأن مواهب صديقتنا أقر بها عقيد في الجيش.

"إيلان" يخدم في وحدة "غيفاتي" في غزة."

لا أريد الحديث عن ذلك. "يقول. "انا أحيا في ذلك لمدة أربع وعشرين ساعة كل يوم. من حسن حظي أنهم يسمحون لي بان أعزف على الغيتار، ولذلك يعود الفضل بان لي الكثير من الأصدقاء."

"ايلانا" ممرضة في قاعدة كلهم من الرجال.

"كلهم يتملقونني". بعضهم يريد ان تعطيه اجازة مرضية، في حين ان آخرين يريدون ان يُبقوا نقاط ضعفهم مخفية. تبدو سعيدة للسلطة الصغيرة التي بين يديها. "راحيل" و"يوليا" وانا نتبادل النظرات: "انت لا تقصدين انك أصبحت نجمة؟"

"كلهم يجثون تحت قدمي" تقول "يوليا"... لكن ليس للسبب الذي قد تظنوه، بينما تضفر حزمة من شعرها حول أصبعها. ثم اني لا أقدم لهم القهوة، بل هم من يقدمها لي" ، تقول بزهو. تغمض عينها وتسحب نفساً من سيكارتها منذ فترة قصيرة بدأت بالتدخين، وسط رعب أصاب المجموعة (نحن ضد التدخين بشكل قوي). ربما سأذهب للجحيم بسبب ما سأقولها ولكني سأقوله على أي حال، "التدخين يضيف شيئاً الى شعورها بالثقة".
بدؤا بتحويل اهتمامهم الي، بانتظار ان اخبرهم عن حياتي في الجندية.

"همممممم. لا أحد يجثوا على قدمي، والباقي كله سري جداً. أحياناً يتغير الأمر ويصبح سري للغاية" أضيف لكي يصبح الأمر مشوقاً.

"انت غريبة الأطوار"، تستوقفني يوليا. "هل انت حقا ممنوعة من الحديث الينا؟"

لا، بإمكانني ان أتحدث اليهم. أكثر ما يمتعني في القاعدة هو ما أقوم به هناك، انها اللحظة التي يعلن فيها طيار ما: "ثعلب-1" خلال تمرين والتي تعني انه أصاب الهدف منذ البداية. اتخيله حينئذ نشوان، سعيد بما عمله، وانا أشعر معه بنصيبي من تلك السعادة. الأصوات أصبحت مألوفة لدي واحاول ان أتخيل الوجوه التي تختبئ وراء تلك الأصوات. "اينايت" ذات الشعر الأحمر وقعت بحب واحد من المدربين والذي كان اسمه الشفري "النسر-1" هي لا يمكنها الإنتظار الى حين حفلة التخرج للدورة الحالية والتي سيتم بثها على التلفزيون الأردني. (والذي نشاهده نحن هنا.) حتى تتمكن أخيراً لا من رؤيته وترسل اليه عرضاً للزواج. تلك ستكون قصة رهيبة. لم يأتي روائي يمثل هذه القصة بعد: جندية إسرائيلية شابة تعمل في محطة رصد تقع في حب طيار أردني من خلال

صوته العميق. تغامر بحياتها بعبور الحدود وتكون الى جنبه. هو مفتون بها (هو دائماً يحب ذوات الشعر الأحمر). يسأل فيما اذا كانت مستعدة لأن تقضي حياتها معه. العصفوران يهربان من جيشيهما ويتزوجان في معبد بوذي في الهند.

"انت ايتها الجاسوسة، هل لا تزالين معنا؟"

عودة على بدء: حلقت بعيداً جداً، جداً في السماء.

"منحوني بضعة ساعات بعد ان رقيت الى رتبة الرقيب"،
أتمتم، "ذهبت الى المركز الفرنسي وشاهدت هناك برنامجاً جيداً
عن الثورة الفرنسية."

الجميع ينظر الي وكأني بدأت أتكلم بالصينية.

"فكرت ربما علينا نحن أيضاً ان نبدأ بثورتنا."

يبدو انهم بدؤا يعتقدون اني أسير من سيء الى أسوأ. لكني
استمر. فجأة أصبح لدي الكثير مما يمكنني ان أخبرهم به.

"هيا، أسمعوا: مالذي تعلمناه في المدرسة؟ اننا نعيش في بلد
رائع بناه ابناؤه بعملهم المصنعي وبقتالهم بلدانا أخرى تريد ان تراه
يفنى. كل شيء وضع على خلفية موسيقية حيث كلمات "أرض"،
"حقول"، "ينابيع"، و"جندي" تشكل ثمانون بالمائة من
الأغاني. كما يقال لنا انه دورنا الآن ان "نمنح الوطن شيئاً"، ننضم
الى الجيش ونمشي على خطى الأبطال الذين دافعوا عن الدولة. كل
ذلك شيء جيد، ولكنه ليس الحقيقة، لم تعد كذلك."

"ما هي الحقيقة؟" يسأل "فريدي" وهو يراقبني.

"حسناً، ينبغي ان نتوقف عن الهيمنة على الآخرين، علينا ان
ننسحب من يهودا والسامرة ومن غزة. بعد ذلك علينا ان نتفرغ
لمعالجة المشاكل في هذا البلد. ليس من المعقول ان نظل نقبل
حقيقة ان بعض الناس يحصلون على الفتات من الرواتب في حين
ان آخرين يملكون الكثير من الأسهم التي لا يدرون ما الذي
يفعلونه بها. ألم يكن الهدف هو بناء دولة يهودية اشتراكية؟ حسناً
فلتكن كذلك. علينا ان نتوقف عن جعل الطلاب يدفعون رسوماً
باهظة، في حين ان رجال الدين، الذين يجب ان أذكركم انهم لا
يخدمون في الجيش، ويدفعون ضرائب كل سبع سنوات، تدفع لهم
الدولة دعماً لكي يدرسوا.

"والقدس، ما الذي ستفعلينه بالقدس؟" تسأل "يوليا"، التي
تخذلني دائماً في اللحظة الحرجة.

أشعر بثقل في قلبي: لا يمكنني ان أرى المدينة المقدسة مقسمة
الى جزئين. مشاعر لا علاقة لها بالسياسة، ولكن مع ذلك... هل يمكن
لجسم ما ان يعيش دون قسمه الثاني؟
"لا أعلم.. علينا ان نجد حلاً ذكياً."

تشعر "يوليا" بالانتصار. وكما هي عاداتها حين تكون متمكنة
فإنها لا تتوقف.

"وماذا عن الاشتراكية؟ هل تعتقد ان الاشتراكية جعلت
الناس سعداء في الأتحاد السوفيتي؟"

"لا يمكنك المقارنة، تلك كانت دولة توتاليرية اما اسرائيل
فديمقراطية، وما أسأله هو مجرد القليل من المساواة لكل
شخص"، أجيب واثقة من نفسي هذه المرة.

"لكن الفلسطينيين يهاجموننا كل يوم، كيف يمكن التفاوض
معهم؟" تحتج "الينا".

"ليس الأمر هو يمكن أم لا يمكن، بل علينا ان نقوم بذلك."
"ماذا تعنين؟"، تتدخل "راحيل".

"إذا ما استمرينا بالبقاء في الأراضي، إذا ما استمر الجيش
بالتدريب بأسلحته على السكان المدنيين، فإن هناك ما هو أسوء
سيقع، العالم لن يعد يرانا كطلائع مثيرين للإعجاب. نحن لم نعد
كذلك. لكن أسوء ما في الأمر اننا لم يعد بإمكاننا ان ننظر الى
أنفسنا بالمرأة... كما سيموت الكثير والكثير من الناس.. لا
لشيء. أنظروا الى "ايلان"، انه لا يريد ان يتكلم عما يبدو الأمر
هناك. إذا كانت الأعمال العسكرية هناك مبعث فخر حقاً لجئت وقلت
شيئاً، اليس كذلك؟"، اجيب بينما أرمقه بنظرات (قوية).

"ليست هذه هي المسألة"، يقول بتردد. "أعتقد انك تغالطين
نفسك إذا ما أعتقدت ان السلام ممكن."

"لكن السلام ليس طيوراً تغرد وزهوراً تينع فجأة، مثلما تقول
الأغاني! ما أقوله هو ان نعمل على حل هذا الصراع مرة واحدة
والى الأبد، وليكن هذا البلد ما أراد ان يكونه حين ولد: بلد يعمه
العدل، البناء والتضامن."

بين بئر سبع وأول القرى الفلسطينية هناك حوالي 20 كيلومتراً من الأراضي التي هي أشبه بالصحراء. من السخف اني لم أعرف انهما بهذا القرب بدأت أشاهد بيوتا مبنية بالحجر، غالباً فوق ركائز وبين الأحراش والطرق المحفورة. نسبة كبيرة منها غير مكتملة. الغريب ان معظمها يحمل فوق سطحه هوائي أشبه... ببرج "ايفيل". تبدو لي بشعة ومؤثرة في آن. اذن هذا هو الحلم الفلسطيني: باريس!

يقول أحدهم في الحافلة، "انها تمطر." ذلك حسن، حين تمطر يقل الحجر الذي يرمى علينا."

من لحيته وقبعته أدرك انه يهودي يعيش في الأراضي، من يسمونهم المعارضون بالمستعمرين. لعله يتأكد من نشرة الأحوال الجوية قبل بدء الرحلة.

تنتشر القرى على مسافة كيلومترات عديدة. لا يعرف أحد أين يبدأ مكان ما وأين ينتهي. فقر، حزن، كراهية. بإمكانني ان أرى كل ذلك في الوجوه التي تنظر بين حين وآخر الى الحافلة ذات اللونين الأحمر والأبيض. عجائز يتعكزون على عصي، يبدون محترمين، مثل أولئك البدو في فلم "لورنس العرب". أطفال في ملابس مترهلة. نساء بوجوه تعب متغضنة، يحاولن موازنة سلال فوق رؤسهن. هناك بعض الفتيات بملابس رمادية عائدات من المدرسة ويصرخون بوجوهنا. شيئاً ليس بودي سماعه. سيارات مرسيديس عفا عنها الزمن، حمير، قطعان من الخرفان، أشجار زيتون. أشعر بأنني عبرت حدوداً، ولكنها ليست حدوداً جغرافية. أين انا؟ مائة سنة، مائتان الى الورااء.

أبراج المنائر تستلفت نظري. بين الحين والآخر بإمكانك ان ترى الطابوق الأحمر لمستوطنة يهودية فوق التلال.

تتوقف الحافلة مرات عديدة، ينزل منها جنود ذاهبون الى معسكراتهم ومدنيون الى بيوتهم. لا يتبقى منا سوى حوالي عشرة حين نقرب من الخليل، أكبر مدينة في يهودا. كل الركاب اختاروا بحصافة ان يجلسوا عند المشى، الا انا. أحشر بأنفي الى زجاج النافذة. أريد رؤية كل شيء.

صوت إرتطام عنيف تحت وجهي تماماً. أتيح لي وقت ان أرى
فتى يرمي من مقلعه. وجهه صارم وحاقد. كان يوجه حجره
نحوي. انا متأكدة فأنا البس البزة العسكرية، انا العدو الأكبر.
أشعر كأني أريد فتح النافذة وأصرخ عليه. "انت، انا بمثل
عمرك وأفكر تماماً كما تفكر!"
لكن الحجر ينهمر علينا في تلك اللحظة. السائق يسرع، سرعته
أكثر من المقرر قانوناً، ولكني سأستغرب لو انه توقف عن ذلك. في
الأراضي الجيش الإسرائيلي هو وحده صاحب السلطة.
كل من في الحافلة ينبطح على الأرض، وانا من ضمنهم. نتطاير
من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار لكي نتفادي
القذائف. مع كل حجر أشعر بألم كأني من ضربت به. أسمع انفجار. لا
يمكنني القول من أطلق النار وإذا كان هناك أحد قد قتل أو
جرح. أنفجر بالبكاء ويحاول ركاب الحافلة تطميني. ليس لدي
الارغبة بان أخبرهم اني لا أبكي لأنني خائفة.

الجنديات يبكين أيضاً

25 فبراير، الساعة 6 وعشرة دقائق مساءً.
 أمس تمكنت من الإتصال بـ"جين-ديفيد". قلت له ان لدي اجازة
 لليلة واحدة وأشعر بانى أرغب بالنوم في مكان آخر غير القاعدة.
 تلكاً قليلاً، ثم قال ان بإمكانى ان أتى لكن سيكون لديه أصدقاء
 هذا المساء.
 تملكنى إحساس فضيع بالضعة، لكنى قاومت، قلت لنفسى لا بد
 من رؤيته، كانت حاجتي اليه أقوى منى، أقوى من مخاوفي
 بالرفض.
 "سأترك لك المفاتيح لدى المنظفين" أضاف "سكون هناك
 حوالي الساعة".
 شيء حسن أن أكون في بيته لوحدي، كأننا نعيش
 معا. استحميت، ارتديت ملابسى، ورحت تحت غطاء سريره مع
 كتاب كنت أستعرتة من "الإتحاد الفرنسي".
 لم أقرأ حرفاً واحداً.
 كنت في سريره، أتلفح بعطره الذي أستنشقه بعمق وعيناى
 مغمظتان. أفتحهما لكي أجدها أمامى.
 حقيبة مكياج.
 قنينة عطر، "جيوغرو من بيفرلى هيلز: التي اتشققها مدركة
 انها الرائحة التي أكرها طيلة حياتى.
 قميص قصير الأكمام من نوع "كوكى".
 مزيل روائح نسائى.
 بدأت أرتجف وأتكلم بصوت عال، مرددة، "انها ابنة عمه، انها
 ابنة عمه، لا بد انها جاءت من فرنسا لكي تراه."
 لم يقل لي ان لديه ابنة عمه.
 عندها سمعت صرير المفتاح في الباب، رفعت الغطاء الى حد
 نقنى، متظاهرة بانى نائمة. سيكون رقيقاً معى على الأقل لثوانٍ
 قليلة، ويوقظنى.
 مسد شعري بيد حزينة.

فتحت عيني ونظرت باتجاه حقيبة المكياب. لم يقل ان "ابنة عمي جاءت لتراني"، تنهد.

وضعت الكتاب في حقيبتني واتجهت نحو الباب. حاول ان يمنعني.

"انتظري على الأقل لكي تتعشي معنا."

أنفجرت بالضحك، ضحك يانس، بلا رجاء.

"لا أريدك ان تنجرحي" قالها بصوت عنيد.

"حسناً، لقد فشلت"، أجبت وصدفت الباب خلفي.

لم يكن لدى وقت سوى أن أرى فتاة أكبر مني بقليل (22 عاماً أو ربما 23) تنظر الي باستغراب. لم تكن حتى جميلة.

في الحافلة بطريق العودة، بكيت كما لم أبكي من قبل، ليس حتى مثلما تركته في المرة الأولى.

المرأة الجالسة الى جنبي بدت قلقله سألتني ان كان هناك شيء يألمني، ثم ان كان هناك قريب لي قد مات. لم تطاوعني نفسي ان أجيبها، لذلك احتظنتني طيلة الرحلة، وظلت تقول ان كل شيء سيكون على مايرام وان الله سيكون الى جانب أولئك الذين سيتعذبون. لم أكن أتصور بانني سألقى عزاء عند شخص غريب تماماً عنني لم يتسنى لي ان أرى وجهه كما لا أعرف حتى اسمه.

في القاعدة بحثت عن البنات اللواتي كن في نوبة الحراسة تلك الليلة. "هيدي" كانت في نوبة العاشرة الى الثانية صباحاً. "نوا" كانت من الثانية حتى السادسة. عرضت عليهما ان آخذ مكانيهما. لم تقولا شيئاً بشأن عيني الحمراتان، غير أنهما طرحا فكرة ان اللوائح قد لا تسمح بالقيام بنوبتي حراسة متعاقبتين. قلت لهما هذا ليس شأنكما. لم تصرا، كانتا ممتنتان بانهما ستنامان دون مقاطعة.

قمت باددورية مع "عوفر" وهو جندي احتياط الذي حدثني عن رحلاته الى الهند. قال لي ان أول رحلة قام بها جاءت بعد ان تركته صديقه.

"شعرت بانني تحولت الى قالب من الثلج وأحتجت ان ادفا نفسي تحت سماء مختلفة."

حوالي الرابعة فجراً بدأ المؤذن في القرية المجاورة بدعوة المؤمنين الى الصلاة.

"انهم يهينوننا"، قال "عوفر" (هو يفهم العربية بشكل تام). "هم يوعدوننا بالنار قريباً".

كانت أسناني تصطك من البرد والإرهاق، لكنني وجدت لدي القوة لكي أردد.

"قل له الا يتعب نفسه، المهمة انجزت، انا هناك بالفعل".
نظر الي بعطف.

"لا أتحمل صوت المؤذن"، يقول. "انت تغنين بالفرنسية، هل لك ان تغني، كي لا نسمع صوته أكثر من هذا".

بصوت متهدج أبدأ بتلك الأغنية التي كان يحبها "جين ديفد": "قل لي، قل لي أذن، انها هجرتني ليس لشخص آخر بل لي..."

غنيانا بهدوء سوية لساعتين، بالعبرية، بالفرنسية، أغاني لـ "ايديث بياف" وغيرها كثيرين، اكتشفت ان بعضها يحفضها عن ظهر قلب في حين أنني كنت أحفظ أجزاء منها.

سأكون في نوبتي بعد نصف ساعة لم أنم لأربعة وعشرين ساعة. أشعر بالإرهاق، ذلك بالضبط ما أردته.

خلال أيام سيحل الأول من ابريل. سأكون في التاسعة عشر من عمري، وسأكون في اجازة كل ستة أشهر يمنحوننا اجازة "طويلة"، لمدة أسبوع. وضعت خططا كثيرة ولكني أعلم اني سأقضي نصف الوقت أعمل ما يعمله الجنود في العطل: النوم.

في الوقت الحالي، نجلس جميعا في غرفة التلفزيون في القاعدة، مجتمعين حول "اينات" ذات الشعر الأحمر، والتي تهيج بالإثارة. اليوم ستنتهي دورة الطيارين الأردنيين وأخيراً سيتمكنها رؤية وجه فارس أحلامها.

كي نتمكن من تحديد شخصية الرجل، قدمنا طلباً رسمياً ليأتي ضابط من قسم آخر على معرفة بالرجال الذين نعرفهم نحن بأسمائهم الرمزية. أعتقد انه يبتسم بطريقة معينة.

تبدأ مراسم الإحتفال بحضور الملك حسين والملكة نور. إستعراض عسكري، عرض تمارين قتالية، الضيوف يتظاهرون بأنهم مهتمين جداً بالعرض، في حين انهم ضجرون

بشكل عميق...خلافنا، نحن اللواتي نراقب المشاهد وكأنها لشريط فيديو عن هنود البايوان اكتشفنا فجأة اننا على صلة بهم.

تأتي اللحظة الكبيرة.نسر-1 سيقوم بمنح الجناح الفضي لكل من الطيارين المتدربين، نفس الأشخاص الذين كان يوجه لهم الإهانات دون رحمة لثمانية أشهر.تنتقل الكاميرا الى المنصة التي يقف عليها الطيارون بانتباه.

"أقرب، أقرب،" نصرخ على التلفزيون.

أسمه الحقيقي "عدنان ب" يقول صديقنا الضابط، والذي من الواضح ان ابتسامته تصبح أكثر سخرية.

"أعتقد ان ذلك يعني بالعربية، رقيق"، تقول "نوا" لـ"اينات"

التي تكتم أنفاسها.

"أقرب، أقرب، أقرب" لا تزال الفتيات الآخريات يصرخن.

فجأة يقوم مصور التلفزيون الأردني بشيء كان لا يجب ان يفعله:انه يلبي رغبتنا ويأخذ لقطة مقربة لـ "نسر-1"، المكنى "عدنان ب."

"عدنان ب"، رائد ومعلم.

"عدنان ب" بصوته العميق الدافئ.

"عدنان ب" الذي يمتاز بخاصية انه يغني أغاني البيتلز بعد

كل تمرين، أغنيته المفضلة هي "العواصة الصفراء".

"عدنان ب" الذي تحبه "اينات" بصدق (مهما بدا ذلك غير

واقعي).

"عدنان ب"، أو "نسر-1"، طوله 1,55 سنتيمترا، أصلع،

سمين، بشوارب وفوق الخمسين.

صمت رهيب حل على الجبهة الإسرائيلية، حالياً، في حين ان

الأردنيين يطلقون بالونات ملونة وسط صيحات الفرح بإمكانية

القول ان الفجوة بين الدولتين لم تكن بذلك العمق، أبداً.

لا يتجرأ أحد النظر الى "اينات" التي تتسمر في كرسيتها.

"لا يمكن ان يكون ذلك هو"، تهمس "ايميك" باذن الضابط

الجاسوس.

يومي برأسه بأسف بالغ.الآن أستطيع فهم ابتسامته الصغيرة

في البداية.

"أنت لئيم"، أقول له كي يتأكد من انه لم يتمكن من خداعي.
 "لا، انا لست كذلك"، يرد ببرود؟ : ليس مهماً كيف يبدو
 المرء، اليس كذلك؟ على الأقل هذا ما لا تتوقف البنات عن
 قوله. "استناداً لمصادرنا فان لدى عدنان ذكاء خارق، وهو مثقف
 عال المستوى، متقن لعمله، حساس و... أرمل. مالذي تريدان ان
 تعرفي عنه أكثر؟"

تسقط كف بسرعة على خده. تهجم "إينات" عليه بغضب،
 ونحاول نحن ان نوقفها. اضافة الى خيبة أملها فاننا في الواقع لا
 نستطيع ان نسمح بان تقضي عدة أسابيع في السجن لأنها صفت
 ضابطاً في وجهه.

تقوم المجموعة باسترضائه. "نحن جميعا سنعتبر ان ماحدث
 كان خارج النطاق العسكري. لن أتقدم بشكوى، عمتن مساء
 وتعازي لك ايتها السيدة الشابة."

تعجبت من رد فعله، أو بالأحرى غياب رد فعله عن صفة
 "إينات". هناك تفسيران محتملان. اما انه كائن فضائي أو انه
 بالواقع بريطاني. احتمال ثالث: انه مجرد في العشرين من عمره
 وانه مثل معظم الملازمين الإسرائيليين رغب بان يكون هناك جو
 من المرح.

في اليومين الأولين من اجازتي أشعر بانني خارج السياق،
 يبدو ان هناك متسعاً من الوقت. أنام حتى منتصف النهار، أتغدى
 عصراً، أرقد في الحمام لساعات وألتهم ثلاثة كتب خلال
 يومين. لأكثر من سبعة أشهر لم أخرج من بزتي العسكرية لأكثر
 من ثمانية واربعين ساعة. أكاد أنسى انني رقيب في الجيش
 الإسرائيلي. لدي وقت بان أذهب الى السينما مع "يوليا" وغداً هو
 عيد ميلادي وسنذهب الى النادي في تل أبيب مع "فريدي".

نتوقف في بار ونشرب قليلاً ونتكلم كثيراً. أدرك ان لدى مشكلة
 في تقبل "يوليا" كما هي الآن (واثقة جداً من نفسها، مغرية،
 ومندفعة جداً)، لكنها الشخص الذي يمكنني ان أضحك بشكل
 هستيري معه. هي لا تقاوم، خاصة حين -مثلاً اليوم- تقلد معلمينا

القدماء، قائد قاعدتها، رئيس الوزراء أو قنينة الألوان. اللؤم الذي فيها والذي يزعجني أحياناً يتحول الى دعاية قوية.

كانت الساعة قد قاربت الثالثة صباحاً حين عدنا الى البيت، ذراعاً بذراع، ملتصقين معا بالفودكا.

"هوووو، أنظري هناك ضوء في بيتك"، تقول لي، ارنو نحو الدور الأول من العقار رقم 12 في "شارع سافيد".

أمي لا زالت مستيقضة، ذلك لا يثير استغرابي: في خمسين عاماً ستظل تدخل علي ليلاً في البيت لكي تتأكد اني عدت سالمة، وعندها ستؤي الى فراشها.

لكن النظرة التي أراها في عينها الناعستين ليست تلك التي تعودت عليها.

تتكلم بجد، وتقول بان الرائد "أوري" اتصل بالتلفون لكي يقول بان اجازتي الغيت دون ان يشرح ذلك، بطبيعة الحال. علي ان أكون في القاعدة عند الساعة التاسعة على أقل تقدير. لدي ثلاثة ساعات لكي أعد حقيبتني، أنام، وأستعيد وعي.

عملية الخشخاش الأزرق

احتفل بعيد ميلادي التاسع عشر في الحافلة التي تقلني عائداً الى القاعدة، منهكة القوى ولكني أستيقظ بين الحين والآخر مع سؤال واحد يؤرقني: لماذا طلبوا مني العودة في منتصف اجازتي؟ لو كانت الحرب قد قامت لكنت قد عرفت ذلك.

لكن ربما هناك حرب ستقع وطلبوني لأنهم بحاجة الى وجود جميع العاملين بخدمات الإنصات لكي يستطيعوا مواجهة الموقف. عند الساعة 8:57 أضع حقيبتني فوق سريري، أعدو الى الملجأ، أرفع بطاقتي الى وجه الضابط المناوب عند الباب المؤمن واندفع بكل قوتي لكي أفتح الباب الثاني المحصن المفضي الى "المطبعة".

بسرعة أفهم ما الذي يعنيه تعبير "فضاء ملغوم جداً". غرفة الإنصات مزدحمة بأناس كثيرين. حضر كل جندي في القسم، البعض يضع زوجين من سماعات الإنصات. جميع أجهزة التسجيل تعمل، هناك عشرة أشخاص على المنصة الرئيسية يصرخون، يصرون انذارات، وأوامر بشفرات ليس باستطاعتي التعرف عليها.

"أوري" الذي لاحظ للتو اني موجودة، يسرع نحوي لكي يفسر لي الأمر على نحو سريع، "يقومون بتغيير كل الترددات والشفرات. أسرعى وخذي موقع "ياريف" التي تقوم بالبحث". أجلس فوق المنصة الصغيرة أمام جهاز الكمبيوتر أبحث في الترددات. كان من المفترض ان تجري هذه العملية والتي تدعى "الربيع النظيف" الأسبوع القادم: كل ما لدينا من معلومات انها ستجري يوم 8 أبريل. الأردنيون يثبتون لنا أنهم أصحاب نكتة عملية: انه يوم الأول من أبريل.

هناك عدة أرقام تظهر بالتناوب على الشاشة التي أمامي. أبقى مع كل تردد لمدة عشرة ثواني، ثم أنقل المعلومات الى "أوري" والى الجندي الذي يقوم بنقلها على شريط التسجيل. تمضي المعلومات كما يلي

"تردد 176، سرب من ثلاثة طائرات!"

"245 و برج المراقبة."

"189 محطة الرادار."

"165 أصوات ما."

"213 طائرتان، هدف-1 ، هدف-2 ."

"310 طيار ومساعد طيار."

"278 يتكلمان العربية."

"213 سرب، لا أعرف كم عدد طائراته!."

"213 تصحيح، ثلاثة طائرات. جمل-1-2-3!"

بحدود الثالثة بعد الظهر تهدأ الأجواء. لم أحس بانقضاء الوقت. الإثارة والسرعة التي صاحبت العملية حملتني على جناحين.

نبتسم جميعنا بملء أشداقنا، سعداء باننا تمكنا من إنجاز المهمة. والان يبدأ العمل الآخر: الإستماع الى كافة الأشرطة التي سجلت، تبويب المعلومات، وضعها في الإطار الصحيح-الأسماء المشرفة، الترددات، الأسراب، أبراج المراقبة، التعرف على الأصوات واحداً واحداً لكي نعدل ان "صياد-1" اصبحت "نمر-1" وان القاعدة التي كان اسمها "صحراء" اصبحت "الأراضي المقدسة."

عند الساعة الحادية عشر مساء نوقف فريق العمل الدقيق هذا، نسقط أعباء. يبقى جنديان فقط في محطة الإنصات-كل الأعمال تسير على قدم وساق تماماً مثلما عندما يتم إغلاقها في هذا الوقت كل يوم عدا حين يكون هناك تمارين ليلية. ولكن ليس هناك ما يشير الى إمكانية حدوث ذلك هذه الليلة، أعتقد ان الأردنيين مرهقين مثلنا تماماً. أستلم النوبة من "نوا"، أنصت الى خط مطار عمان الدولي. طائرة فرنسية تحلق في الأجواء الأردنية.

"إيرفرانس 847، في طريقها من باريس الى بغداد، مساء الخير عمان."

"مساء الخير إيرفرانس 847، ماهو ارتفاعك؟"

"خمسة آلاف قدم."

"خمسة آلاف قدم، حسناً."

"إيرفرانس 847 الى عمان، اليوم هو عيد ميلاد الطيار المساعد. هل بودك ان تقول له شيئاً؟"

"طبعاً، عيد ميلاد سعيد"، يقولها بالفرنسية.

كاد ان يغمى علي عند سماعي المراقب الجوي الأردني وهو يلفظ "عيد ميلاد سعيد" بالفرنسية. الطياران الفرنسيان ينفجران ضحكا ويعربان عن امتنانهما للتحية السريعة التي جاءتهم. أبتسم لنفسي، أفكر ان هناك شخص ما على الأقل يشاركني الإحتفال بعيد ميلادي. لا يهم على الإطلاق انه لا يعرف ذلك.

استغرق الأمر عدة أيام حتى تمكنا من تحليل الأشرطة للعملية التي اطلق عليها الأردنيون أسماً لطيفاً وهو "الكلب الأزرق". اجازتي أجلت الى إشعار آخر. لست سعيدة بذلك ولكن ما الذي بيدي فعله؟

عزاء لي منحوني إجازة صغيرة لعطلة نهاية الأسبوع. سأكون حرة منذ الرابعة عصراً الجمعة حتى السادسة مساءً السبت. تلك هي بالضبط فترة الشابة، يوم الراحة اليهودي، حيث لا تسير الحافلات. بالطبع أصبحت معتادة على إيقاف وركوب السيارات المارة (والتي أحبها حقاً: هناك شيء من الإثارة في لعبة الحظ على الطرق هذه حيث تقضي وقتاً مع أشخاص غرباء تماماً الذين يعرفونك بالحديث عن قصص حياتهم والذين أحياناً انا أيضاً أستأمنهم على حكاياتي، مدركة ان من غير المحتمل ان ألقاهم مرة ثانية)، لكن بئر سبع بعيدة جداً عن القدس وليس بإمكانني المجازفة بان أعود في الموعد المحدد مساء السبت.

(لو... لو كان "جين-ديفيد" لا يزال يحبني... لكان باستطاعتي.. لكان باستطاعتنا... شششششش! هذه التمنيات مؤلمة.)

ما الذي علي ان أفعله؟ سيكون في منتهى الغباء لو اني بقيت في القاعدة. ذلك سيبدو مثل فوزي بالجائزة الأولى في اليانصيب ولكنها لا تغير شيئاً في حياتي، أو كأي ربحت تذكرة سفر بالطائرة الى البندقية ولكني لا أريد الذهاب لأنني أخشى ان أدفع أجور التاكسي الى المطار.

تل أبيب على مقربة 60 كيلو متراً من القدس. إذا ما أسرعت فسأتمكن من اللحاق بحافلة الساعة الخامسة. في رحلة العودة هناك فرصة ان أعثر على من يقلني الى القدس في مدينة ساحلية كبيرة من مدينة صغيرة وسط الصحراء.

حافلة رقم 400 تنطلق حالما أحط في محطة الحافلات. أجرى ورائها وألوح بيدي وأصرخ، قف!" قف!" أعلم اني أبداً مثيرة للضحك تماماً، ولكنني كنت قد قررت نهائياً بانني سوف أذهب لمشاهدة البحر وليس هناك قوة بإمكانها ان توقفني. لا بد ان السائق شاهدني بمرآة الحافلة يبطأ سرعته ويفتح الباب ثم يبتسم لي بحنو.

"على مهلك ايتها الجندي، خذي وقتك. هل تعتقدين بانني سوف لن أقف الى جندي في طريقه الى البيت؟"

أشكره، وأجلس على الأرضية وسط الحافلة. في هذا الوقت من النهار لا يمكن ان يكون هناك مقعد خالٍ. منذ أشهر وبإمكاني ان أجلس أينما كان وان أنام أينما كان. المهم هو ان أكون في حافلة تأخذني الى حيث أود الذهاب.

مُضافة الجنود (شيء أشبه بمضافة الطلبة محجوز للجنود- شيء يستحقونه) ليس بعيداً عن الشاطئ. يعطوني غرفة ربما لم تجر أي تحسينات عليها منذ ثلاثين عاماً. أخرج للمشي في شوارع تل أبيب.

ها هو البحر، أمامي محاط بفنادق مترفة حيث لا يمكن لرواتب ثلاثة رقباء ان تكفي لأجور غرفة تطل على الكراج أو المطبخ. أشعر بفورة من الحماس. مثل ذلك اليوم الذي أديت فيه ان نظراتي تهشمت لكي أخرج من التمرين. ينتابني ذلك الشعور بانني ألعب لعبة طالب هارب من المدرسة، واني أكثر حرية، ولأن لا أحد يعرفني هنا كما ان لا أحد يعرف أين انا الآن. لم أتصل بالبيت لكي أخبرهم بإجازتي. ربما سيزعجهم اني لم أذهب لكي أقضي بضع ساعات في البيت أو مع الأصدقاء.

أخلع نعلي وأغمس اقدمي بالرمل الذي سخنته أشعة الشمس الحارقة التي بإمكانك ان تشعر بها في أبريل. أعض على شفتي. لم

أفكر ان اسأل نزل الجنود فيما اذا كان لديهم مشجب فطبيعي لا يمكنني السباحة مع بندقية عوزي التي أحملها، مالم أتعهد ان أدعها تصدأ. وبالتأكيد فليس بمقدوري ان أتركها على الشاطئ، حتى لو اني طلبت بشكل مؤدب من أحدهم ان يراقب سلاحي لمدة خمسة دقائق، بينما أغطس قليلاً في الماء. لذلك، لا سباحة اليوم.

انه أمر مخزي. لا يمكن ان أشعر بالراحة مثلما أشعر وانا في الماء. في الواقع انه شعور ينتاب الناس جميعاً. لا أعتقد ان هناك أحد بإمكانه ان يتشاجر وهو يسبح، أو ان يبكي وهو يغطس تحت الماء، أو ان يشعر بموجات كراهية للبشر حينما يطوف على ظهره.

النتيجة: لا فرانكو ولا هتلر ولا موسوليني طافوا بما يكفي. تراودني هذه الأفكار بينما أرفع بنطلوني الى ركبتي، أحمل بندقيتي الى خصري، أمشي فوق الشاطئ كأنني في نوبة حراسة فقط كاحلاي وأصابعي هي التي تتذوق الماء المالح اليوم. أنتبه. هناك بعض الناس يستمتعون بالمشهد. مجموعة من السواح الهولنديين يهتفون بحماسة وهم ينظرون الي. كك. كك. كك! صور عظيمة بإمكانني ان أتصور انهم سيعرضون الصور في امستردام أو أي مكان آخر، وسيقولون، "انظروا في إسرائيل هناك جنود في كل مكان. كما ان هناك جنديات أيضاً. البعض منهن يستعرضن الشاطئ ويستمتعن بالفرصة التي وאתهن للتمشي.

بتلك الطريقة تبدأ الأساطير بالانتشار. وفي الحقيقة اذا ما تأملوا ملياً، فسيدركون ان بشرتي ليست برونزية اللون كما هم، باعتبار اني أقضي معظم اليوم داخل الخندق حيث لا أرى الشمس وحيث درجة الحرارة حوالي 15 مئوية، الدرجة المثالية للملائمة لأجهزة التنصت.

لكن الهولنديين السعداء لا يكتفون بصور من بعيد. يريدون الحديث معي، ان يأخذوا صوراً معي، ان يأخذوا معهم الى الوطن تذكراً من هنا. (ولربما يريدون أيضاً ان يشتروا قبعتي، اشارتي، بزتي، بطاقة هويتي وسلاحي اذا ما طالوه.

“لقد أخطأتم فأنا لست "دونالد ديوك"، كما هذه ليست "ديزني لاند"، أقول لهم أحاول ان أحتفظ بكرامتي.

أتكلم الفرنسية ولكنهم لا يفقهون شيئاً تماماً مثل العبرية، ولا يثير ذلك إستغرابي. لذلك أشرح الأمر بالانكليزية بان الجيش يمنع أخذ الصور للجنود بدون رخصة خاصة (وهي نصف الحقيقة) وانني أسفة، ولكن هكذا هي الأمور.

هذه المرة لا يهتفون، بل يطلقون عويلاً ملؤه الإحباط، وانا أتركهم في تلك الحالة، مع نظرة مليئة بالأسف. أعتقد ان الهولنديين أناس رائعون، حين تتعرف عليهم عن كثب... ولكن لماذا يدعى كل من سمي سائحاً دائماً تافهاً أكثر من الآخرين؟

"انت صعبة المراس." أقول لنفسي، "اذا ما بقيت تفكرين بهذه الطريقة فستصبحين خادمة عجوز حادة المزاج عديمة الصبر". ولأني مرعوبة مما يخبأه لي زماني، فقد قررت الا أكون سلبية وان أبتسم لأي شخص الى جانبي. والشخص الذي الى جانبي كان بالصدفة شاباً في حوالي العشرين (بملايس مدنية) الذي اخذ ابتسامتي كنوع من الدعوة له ودعاني بطريقة خفية ان أشاركه الليلة الفراش. تظاهرت بأني طرشاء. يطلق ضحة هازئة، معتبراً (على حق) ان الجيش لا يجند أناساً لديهم مثل هذا العوق. أترك الشاطئ (هناك الكثير من الناس لا يزالون يرتادونه) مع وعد لنفسي بان أنهض عند الفجر وأعود اليه.

وجهتي هي مضافة الجنود والى غرفتي ذات الضوء الخافت. فجأة أشعر وكأني أتخطى وحدتي. "غالي" يعيش في تل أبيب، هو صديق قديم من أيام الدراسة، يمتلك أجمل عيون زرقاء على الأرض، أحلى شففتين وشعر بني كثيف. حين رسب في العام الذي سبق سنة البكلوريا نشب صراع ضاري بين البنات بدأت المنافسة مباشرة ولكنها لم تصل الى نتيجة. هذا الولد الرائع كان اجتماعياً ولكنه بقي محتفظاً بمسافة. انا شخصياً تخلت سريعاً عن فرصتي: لم تكن في نفس الصف وعندما كان يلتقيني لم يكن تماماً يبدو كأنه يهيم بي.

في سنة البكلوريا كنا سوية في صف الرياضيات. أثناء احدى الفرص وحين كان المطر يهطل كنت أقرأ ترجمة فرنسية لاحدى

روايات "أموس عوز"، أحد الكتاب الإسرائيليين البارزين. نط "غالي" وبريق ساطع في عينيه وبدأ يتكلم بإنفعال عن فرنسا، والكتاب الفرنسيين. (كان قد قرأ معظم الكتب التي لم أقرأها) جيد، بروس، وسارتر) وكلمني بطريقة وكأني سأقوم بشكل ما بتعريفهم به. ذلك اليوم جلسنا خارج المدرسة لحوالي ساعتين، نتكلم عن الله-الذي ربما لا وجود له ولكن كتبت عنه تلك الكمية الكبيرة من الكتب. تلا ذلك الحديث كلام حميمي. لم أتبادل مثل ذلك الحديث مع أي احد بعمرى، وفي الحقيقة أي أحد آخر.

في إحدى المرات دعاني الى بيته في طريق عودتي من "اكسترفارم". أحببت غرفته: فراش على الأرض (شعرت حينئذ، وأشعر الآن، بان ليس هناك شيء أكثر برجوازية من النوم على سرير)، كتب حول كل الموضوعات الممكنة، بضع شمعات، شبكة صيد تتعلق من السقف على الجدران.

كنت أرتجف، من غير ان أسأل لماذا دعاني.

أشعل سيكارة من سيكارة كان قد أنهاها لتوه، وعرض علي ان يقرأ لي من مذكراته التي يحملها بيده. كانت حقاً رائعة، معظمها حزينة تتخللها أفكار عنيفة عن السعادة، الله والحب. كنت أرتجف أكثر فأكثر. كنت أشعر وكأنه يتعري أمامي. استمر بالقراءة حتى أصبح صوته مجرد همس حين قال...، "لأني انا "غالي" شاذ جنسياً."

شعرت بالمفاجأة لأنه يسرني بذلك، بدا ذلك وكأنه يولني ثقته الكبيرة. في نهاية العام كنا قد أصبحنا قريبين لبعضنا، رغم اننا لم نكن نلتقي كثيراً. لم يكن حريصاً علي ان يلتقي بصديقاتي. أثناء الإمتحانات أخبرني بان اهله سينتقلون الى تل ابيب. كان سعيداً بأنه سيترك هذه المدينة الريفية الصغيرة الثرثرة الى حيث يكون نفسه دون ان يجد أحداً يسخر منه.

منذ ذلك الوقت كتب لي رسالتين او ثلاث جميلات، وانا كنت بطينة جدا بالرد بسبب تتابع تلك الأفلام المثيرة (الانفصال، الدورة، الإنهيار، الانفصال-2، عملية الكلب الأزرق....) قال ان بإمكانني ان آتي لزيارته في أي وقت أشاء.

أضرب أرقام الهاتف، وحين يجيب أشعر بأنه سعيد حقاً بسماع صوتي. وعندما أقول له اني في تل أبيب يقول لا بد ان نلتقي.

"الليلة، حوالي العاشرة، في قهوة بيكاسو المظلة على البحر، ليست بعيدة عن السفارة الفرنسية."

أشعر ببعض التوتر من رؤيته ثانية. مر أكثر من عام على أدائنا امتحان البكلوريا، جرت خلاله أمور كثيرة.

يسير باتجاهي. عيناه لاتزالان زرقاوان، شعره أقصر (في الجيش لا بد من ذلك)، وابتسامة صغيرة على شفثيه. نعانق أحداً الآخر ونبدأ حديثنا كأننا انهيناها البارحة. لا يستغرب صمتي الطويل، يفهم كل شيء حتى قبل ان أنهي الجملة. هو سعيد بعرض صداقاته دون أي مقابل.

لست معتادة على مثل هذا النوع من العلاقات: مع صديقاتي الأمر أكثر حميمية، عواطف، امتلاك، غيرة. كل تلك الiardات التسع. اما معه فهناك حوار راق، ولست أدري كيف تسنى لي ان أبقى بدون طيلة كل ذلك الوقت. معه أتحدث عن الكاتب "ستيفان زويغ" وهو يحدثني عن "توماس مان". هو يحدثني عن "فيردي" انا أحدثه عن "برامز". انا اكلمه عن الجروح التي لاتزال نازفة عن فقداني "جين-ديفد"، هو يحدثني عن صديقه الذي يلعب معه لعبة "لن أكلمك، وسنرى من سيستسلم أولاً."

أحدثه عن انهيار الصغير خلال الدورة ومشاعر الإختناق التي تتناوبني حين أريد الخروج من القاعدة ولكني لا أتمكن من ذلك. يمؤ برأسه ويقول أنه ما كان بإستطاعته ان يتحمل ذلك بعد دورة قصيرة تمكن من ان ينقل نفسه الى القسم الثقافي في الجيش. ينزل كل يوم لكي يكون الى جانب البحر كل ليلة.

يتكلم أيضاً عن الوضع السياسي. يقول ان علينا ان نعيد كل شيء الى الفلسطينيين، بضمن ذلك ذلك الجزء من القدس الذي يريدونه. منا يعتقد ان ليس هناك ثمن للحياة وانها فقط الشعار الذي يستحق كل شيء.

"تل أبيب لا تنام، لكن أظن انك تنامين"، يقول في حوالي الساعة الرابعة صباحاً.

جفوني تبدوا ثقيلة جداً. ولكن لو ذهبت للنوم الآن فلن انفذ ما
وعدت به نفسي: ان أعود الى البحر عند الفجر. اقترح عليه ان
نذهب ومنتظر الإشعاع الأول

*يوهانس ابرامز موسيقار ألماني من أتباع المدرسة
الرومانسية
سوية. نجلس بصمت رقيق نرقب النهار يطلع فوق تل أبيب،
نغمر اقدمنا في الماء.

عندما يموت العجوز كأن مكتبة أشعلت فيها النيران
(مثل افريقي)

19 سبتمبر، الساعة الثالثة والنصف عصرًا
لا أعرف ان كان لي ان اكتب "سنة واحدة انقضت" أم "سنة
واحدة متبقية". انا الآن
في منتصف الطريق بالضبط، ولكن ذلك لا يعني ان المسافة
قد قصرت عليك الانتباه اننا نكسب ميزة مع مرور الوقت، فمثل
باقي البنات في الدورة فأنتي بدأت أبدي وكأني جنديّة قديمة. هناك
جنود مستجدين انظموا الى هذا القسم، هم أصغر منا ببضعة شهور
ولكن ذلك كفيل بان يرسلهم الى أسوأ الواجبات والأعمال وفي
الحراسة أصبحت مغرمة بالتلال وبالأحجار التي تحيط بالقاعدة. هذا
المكان أصبح بيّتي.

اليوم سأأخذ الحافلة الى تل أبيب. منذ شهر أبريل، حين التقيت
بـ"غالي" للمرة الثانية، أصبحت مسافرة منتظمة على خط
الحافلات رقم 400. حالما يمنحوني اجازة أتسلل الى هذه المدينة
الفريدة: معظمها قميء بشكل لا يصدق. البيوت التي بنيت في
الثلاثينات تركت لكي تشيخ ولم يتم إجراء أية تحسينات عليها،
ولكن الى جنبها بنيت عمارات شاهقة، حديثة، كل منها تحاول ان
تنافس التي قبلها بالحدثة وبالتقنيات العالية.

نعم، مدينة قبيحة، لكنها تعيش دورة أبدية وكأن الغد لا يأتيها،
كأن كل واحد فيها سيموت خلال ساعات، ولذلك فهو يرقص
رقصته الأخيرة، ويشرب كأسه الأخير، يسكر بثمانية الحب،
الموسقى، والخمر قبل ان يذوي.

تل أبيب اكبر مدينة في إسرائيل، والتي تحاول ان تنسى انها
في إسرائيل، تقع على بعد بضعة كيلومترات فقط من الأراضي
ال فلسطينية. تل أبيب التي تؤمن بالبحر والمقاهي وصلالات الدسكو،
شانها شأن القدس تؤمن بالله.

المدينتان لا تشبهان أحدهما الأخرى، والأثنتان منغستان في
حرب حرب لا أسم لها منذ عام 1926 حين ولدت تل أبيب (مقارنة

مع القدس التي عمرها 3000 عاما). هناك نكتة قديمة تقول انه طلب من أحد الأشخاص من تل ابيب ان يسمى مكاناً يحبه أفضل من القدس، فأجاب: "الطريق الى تل ابيب" وبالعكس.

وقعت في حب المدينتين. لا أكلُ ولا أملُ من حجارة القدس، الضوء الذي يتكسر فوقها، الروائح، الوجوه والأديان، اليهودية، المسيحية والإسلام تلك التي عبت طرقها. أحب التجوال في السوق العربي في المدينة القديمة، أشرب قهوة تركية (مرة، غامقة وفي قدح، أو أكل الخبز العربي المعمول بالسهم والزعتر. أراقب اليهود المتدينين بجانب الحائط الغربي بإعجاب: الناس الذين يصلون هنا، يهزون بأجسادهم الى الأمام والى الخلف، لا يبكون أو يتعزون. عيونهم متألقة كأنهم يروون شيئاً أو أحداً لا أراه أنا (الله)، واحداً يعرفونه حق المعرفة ويسألونه ان يعمل شيئاً لهذا العالم الذي جن.

هناك آلاف الطرق لوصف القدس ولكن هناك طريقة واحدة للوقوف في حبها، وهي ما أقوم به "السير دون توقف من الحي العربي الى الحي المسيحي ومن أسوار المدينة القديمة الى المقاهي في المدينة الجديدة.

لكني أيضاً بحاجة الى تل ابيب كي أتنفس ذلك الهواء الذي يبتغيه الشباب في سن العشرين، يريدون من العالم ان يكون على شاكلتهم، أحراراً، مندفعين، محلقيين بين السعادة والتعاسة، بين العبت والجدية، لمجرد ان ينتهوا أكثر سعادة.

أسسنا انا و"غالي" مقرنا في شارع "شينكين"، الشارع الوحيد في العالم حيث هناك مقهى لكل انسان. نجلس لكي نتحدث لساعات طويلة في مقهى "كازيه" الى جانب كتاب منهمكين في وضع اللمسات الأخيرة على كتبهم وهو يحدقون في كوب القهوة. من لا يكتب فإنه يحلم أن يكون كاتباً يوماً ما.

مثل "غالي" ومثلي.

مثل "غالي" ومثلي فان الجميع يعتقدون انه لا بد ان يكون هناك ثورة، وأحياناً نذهب لكي نتظاهر مع "نساء في سواد" مطالبين بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية. يلبس السواد حداً ويتعرض الى سوء معاملة مزرية من قبل اليمينيين المتعصبين كل

يوم جمعة.(الأسبوع الماضي قلت لغالي"يبدو ان اللون الأسود أصبح يمثل اليسار).

أحياناً نتفق على ان نتخلى عن السياسة في أحاديثنا-انه لأمر شاق ان نحاول ان نغير عالماً يبقى عصياً على التغيير.بعد ذلك نتحول الى الكتب: يخبرني "غالي" بان علي ان أقرأ "عوليس" لـ"جويس" وانا أرد بان عليه ان يقرأ "فينا عند الغسق" لـ"شينتزلر".أحب ان يكون لي صديق، مثلي، يعتقد ان ليس بالإمكان ان يجازف المرء بالموت دون ان يقرأ كتاباً معينة.

بعض هؤلاء الأصدقاء ينضمون إلينا أحياناً، أناس أنهموا الخدمة العسكرية، أعمارهم بين الثانية والعشرين والأربعين، مخرجون سينمائيون، طلاب، ممثلون ورسامون في النهار...ونادلون في الليل.
في تل أبيب أنسى اني جندي.

اليوم يقرر "غالي" ان يقدمني الى أقرب الأصدقاء اليه، "زفي كامناسكي".في المرة الأولى التي ذكر فيها اسمه الي قال "انه أقدم بائع كتب في تل أبيب، في الخامسة والسبعين من عمره.ليس هناك من في العالم من يستطيع ان يثير فيك المرح وان يجعلك تضحكين مثله يحب الضحك على نفسه وان يكون لطيفاً مع الآخرين."

نذهب الى محله الصغير حيث أكوام الكتب تصل الى السقف.هناك عدد قليل من الأشخاص يجلسون على مساطب،يحتسون الشاي، يتحلقون حول رجل ملتحي بشعر أبيض.يذكرني بشخصية "غيببتو" في رواية "بينوشوا".أشعر برهبة ولكن حالما يلمحنا "زفي كامناسكي" ينهض وبرفق يطلب من الآخرين ان يغادروا.

"هلموا، لقد تعمقتا في الماضي بما فيه الكفاية، افسحوا الطريق للشباب.وعلى أي حال فان هذا الشاب يشتري كتباً مني"، يقول "زفي" وهو يشير الى "غالي".في عينيه بريق، أدرك ما كان يعنيه "غالي".نجلس على المساطب.
"أهلاً فاليري".

أنظر الى "غالي" باستغراب.

"حسناً، من الطبيعي انه أخبرني عنك، على الأقل بقدر ما أخبرك عني."

لا أعرف ماذا أقول في هذه اللحظة، أبارك ذلك الشخص المميز الذي ابتدع الأخلاق الحميدة.
"انا سعيدة بلقائك "سيد كامناسكي".

"سيد كامناسكي"، المرة الأخيرة التي نوديت بهذا الاسم كانت في بولندا قبل الحرب! لا ينبغي ان نتحدث عن الأشياء التي تثير الإحباط، علينا ان نتعرف على بعضنا بدلاً من ذلك: هل تشربين شايبك بالسكر أو بدونه؟"
"بالسكر، أرجوك."

"ممتاز، اذن انت من النوع الذي يحب الحياة. ولكن انا أعرف ذلك من قبل. سأذهب لكي أجلب أقداحاً نظيفة."
في اثناء غيابه، يهمس "غالي" لقد عرض عليك الشاي، معناه انت الآن ضمن المجموعة. بإمكانك ان تأتي الى هنا في أي وقت، حتى ولو كان في منتصف الليل، فسيفتح باب المحل لك بمفردك."

يعود "زفي" وهو يصفر بمقطوعة "شوبرت" السمفونية الناقصة. لا أستطيع ان أرفع عيني عن أكداش الكتب، بينما الفنان الذي خلق كل هذا الكيان الغريب يقول: "لا بد وانك مستغربة من كل هذه الفوضى، أليس كذلك؟"
"يعني، قليلاً."

"حسناً، هذا ما أحاول ان أفعله، ان أفاجئ الناس حين يدخلون الى هنا. الكتب لا تهوي ان تنظم حسب الحروف الأبجدية أو حسب مواضيعها. فالترتيب الأبجدي يظهرها بشكل مترادف سيء والترتيب حسب المواضيع يجعلها مثيرة للملل. فمقالة تاريخية لن يهتمها اذا ما وضعت جنب رواية عن الحب... ذلك يعطي فرصة للتأمل، للتفكير بشيء مختلف. اكره المكتبات التي تبدوا وكأنها صيدلية" يقول وعلامات عدم الرضا تظهر على محياه. "كل شيء فيها منظم والناس تأتي بقوائم صغيرة (الوصفات)، يتحدثون بهدوء (هناك مرضى موجودون) ، يدفعون حسابهم بسرعة، ثم يذهبون ، انه شيء مثير للشفقة.

"ولكنك توصي دائماً بان القراءة مثل وصفة طبية؟"، يتدخل "غالي".

"ممممممممم، هنا انت على صواب...ولكن تلك المسألة.فأنت لايمكنك ان تعطي "المحاكمة" لـ"كافكا" لشخص انفصل توا عن صاحبه، فلربما لن يُصلحا علاقتهما أبداً." "وماذا تقترح لشخص في طريقه للانفصال؟" أسأل وكلي فضول.

ينظر الي بحنو.

"أولاً انصحهما ان يذرفا دموعهما الى آخر قطرة، حتى يشعرا انهما جفا مثل تراب هذه الأرض.بعد ذلك ليفتحا "عشيقتها" لـ"البرت كوهين"-انه من مواطنيك.ألف صفحة من الحب والانفصال، ذلك كثير."

جرس صغير يرن في جيبى يدفع "زفي" الى الصمت-كدت أموت من الخجل.منذ حوالي شهر أصبح على كل جندي في القسم ان يحمل جهازاً حيث بإمكان القاعدة ان تكلمه على مدار الأربعة والعشرين ساعة.أنظر الى الرسالة:

عاجل:على 3810159 العودة الى القاعدة فوراً.توقيع-3575028، تلك هي قائدتنا الجديدة "دفورا".

أنهض على مضض واتلغثم بكلمات بان على الذهاب.ينفطر قلب "غالي"، مثلي تماماً؛ "زفي" هو الوحيد الذي يبتسم. "انهم ينادونك بالعودة حتى تكوني أكثر اشتياقاً بالرجوع الى هنا المرة القادمة."هذا المحل هنا منذ أربعين عاماً ولن يغلق أبوابه غداً، هيا خذي هذا للطريق"، يضيف، ويناولني كتاباً صغيراً.أحاول ان أجد محفظتي ولكن "غالي" ينغزني بمرفقه بما يعني:لا تفعلي ذلك، سيشعره ذلك بالإهانة.ولذلك أشكره بأفضل ما يمكن، لكني أدرك ان الأمر ليس سهلاً عندما تكون متأثراً وعلى عجل.

في الحافلة وفي طريق العودة (نفس السائق الذي أتى بي بالذهاب، ولا يفهم إطلاقاً عندما رأي).فتحت الكتاب الذي اعطانيه "زفي".

"قصائد عن القدس" بقلم "يهودا أمخاي".

أدفن نفسي فيها فوراً.

"دفوراً" تنتظرنني عند بوابة القاعدة، شعرها الأحمر المجدد في فوضى، عيناها الخضراوتان، وجه هادئ ممتلئ، وصوت عميق مذهل. تمنحك الأحاسيس بكفاءة لامعقولة. أحس بانّي أفضل معها بكثير من القائد الذي سبقها. "أوري" كان يطلق نكاتاً سخيفة، في حين ان لدي "دفوراً" روح المرح، وهما شيئان مختلفان. أحياناً تشتغل ثمانية عشر ساعة في اليوم الواحد، وتجعلنا نشعر بالحاجة ان نعمل الشيء ذاته. أصبحت في التاسعة عشر والنصف من عمرها (في الجيش نحن مثل أطفال رضع، نقوم بحساب أعمارنا بدقة، فأشهر قليلة تجعل الأمر مختلفاً تماماً.

ترحب بي "دفوراً" بإبتسامة عريضة، هدفها ان تطمني، على ما أعتقد.

"أتركي حوائجك عند البوابة، وتعالني معي."

تقدم لي الشاي. وأخذه لأنه لم يتسنى لي اكمال الشاي الذي كنت اشربه في تل أبيب: تحمل قلماً وتبدأ برسم بيت صغير بينما بدأت تتحدث.

"حسناً، سيتم يوم غد تنفيذ مهمة خاصة جداً. من الواضح أن لا انت ولا انا نريد ان نعرف ما هي في الوقت الحاضر. احدي طائراتنا ستقوم بالتحليق بأجهزة الإنصات فوق المنطقة. طلب منا ان نرسل شخصاً ما ووقع اختياري عليك."

يكاد قلبي الذي ينبض بقوة ان ينفجر. بعض القدامي سبق وان كانوا في مهمات كهذه وعادوا في منتهى الإثارة واحتفظوا بتلك النظرة الغامضة على سيمائهم لعدة أيام تالية. لاتزال "دفوراً" مستمرة بالرسم، تضيف أشجاراً الى جانب البيت، بحيرة وزورق.

"عليك ان تعلمي ان هناك مخاطر"، تقول وهي تنظر نحوي. "الطائرة لن تبقى في الأجواء الإسرائيلية ولربما يتم اعتراضها، ستكونين تحت الحماية، بطبيعة الحال، ولكن ليس هناك مهمة بلا مخاطر."

"ألن تقومي برسم طائرة؟" أسألهما وانا أشير الى الورقة التي على المنضدة.

"لا، ذلك هو البيت الذي سأبنيه يوماً ما على بحيرة طبرية."
أعجب بها لأن لديها خطط محددة-انا لذي أحلام فقط.
"حسناً؟" تسألني.

"سأأتي لزيارتك في بيتك" أقول لها، ثم أضيف، "وسأخبرك
كيف سارت الأمور في مهمة الغد."

تتنفس الصعداء ثم يصبح صوتها أكثر جدية حين تقول، "هذه
هي أوامرك للمهمة. هذا المساء ستركبين حافلة رقم XXX الى
قاعدة ب. القاعدة على بعد كيلو متر واحد من هنا فقط، وعليها
علامة أم كي 1086. سيقومون بشرح المهمة لك هناك."
تنهض وأنهض انا معها ثم تصافحني.

سترين. عندما تنسين كل ما جرى أثناء الخدمة العسكرية فانك
ستتذكرين هذه."

ها انا في حافلة مرة أخرى، الثالثة التي استقلها هذا اليوم. اذا
كانت شركة "اي جيد" تمنح بطاقات اخلاص سيكون بإمكانني السفر
مجاناً لثلاثة قرون بسبب النقاط التي جمعتها. الليل يهبط سريعاً
جداً، أدمر عيناى ساعية ان أقرأ السطور الأخيرة من قصائد
"امياخي".

أكاد أشعر بعينين حنونتين تراقباني. الى يميني هناك امرأة
عجوز متغضنة الوجه تراقبني بلطف.

"انت تذكريني بشخص ما." تقول لي "شخص طيب."
أرد عليها بإبتسامة.

"انت كذلك، عيناك تشبهان عيني جدتي، وهي كانت شخص
طيب أيضاً."

أشعر بأننا قلنا كل شيء. ما الذي يمكن ان تقوله بعد ان تطمئن
الى شخص كهذا؟ لكنها تمضي بالقول.

"انت فتاة طيبة، وانا متيقنة انك جنديّة جيدة. أتمني ان يكون
لي بنت مثلك، لكن لم يكن لي أطفال. كنت في "فيلنا". هل تعرفين
أين تقع؟"

دروس التاريخ سرعان ما تظهر، عاصمة "لتوانيا"، القدس
الجديدة كما كانت تسمى، مدينة الآلف حاخاماً قبل ان يجتاحها
النازيون. أطاطأ رأسي، أشعر بألم في داخلي.

"الألمان أتوا. أطلقوا النار على بعض اليهود وأخذوا الباقين الى غيتو. لماذا يقتلون شخصاً وليس غيره؟ كنت في الثانية والعشرين، لدي أب، أم، أخ صغير، وأخت أصغر. كان لي حبيب وكنا على وشك الزواج. أراد الإنتظار حتى تنتهي الحرب، كان يقول لن يكون لنا أيام حلوة ونحن محاطون بالموت. كان اسمه "ياتسيك"."

"في اليوم الأول قتلوا أبي. مرضت أمي وتوفيت بعد ذلك بقليل. كنا جائعين ونعاني من البرد. كنت مرعوبة مثلما كنت في صغري أخاف من الذئب في الليل. ولكن حينها كنت في الثانية والعشرين، وكان يحوم حولنا مجموعة ذئاب ليل نهار. حاول "ياتسيك" ان يهرب من الغيتو لكنهم مسكوه. لم يره أحد منذ ذلك الوقت.

أبكي بصمت. تستمر وهي تضع يدها فوق ذراعي.
 "في أحد الأيام خرجنا انا واختي نبحث عن شيء نأكله. شاهدنا أحد الألمان، جاءنا ينفجر ضحكاً، ثم وجه بندقيته الي، الى اختي، الي، الى اختي. في النهاية كانت هي التي من تلقت طلاقته.
 "بعدها، بقي اثنان منا. "شلوميل" أخي الصغير، وانا. تمكنا من الهروب من الغيتو واستطعنا الإختباء لدى جيرانا القدامى. بقينا في سردابهم سنتين. عند نهاية الحرب سألونا ان كنا نرغب بالبقاء معهم، لكننا لم نستطع، كنا نريد ان نترك البلد الذي غرق بدم أهلنا.
 "في عام 1948 ركبنا مركبا جاءت بنا الى هنا. وصلنا في نفس اليوم الأول لحرب الإستقلال. أخذوا أخي حالما وطئت أقدامنا الأرض، واعطوه بندقية، وقالوا له: "أذهب لتقاتل مع الآخرين لكي تدافعوا عن الوطن." لم يحمل سلاحاً من قبل وقتل في اليوم الثاني من القتال."

لا أعلم ان كنت لا أزال أتففس. أنهت رواية قصتها بهدوء.
 "لماذا أعيش بعد ان مات الجميع؟ لا جواب عن هذا السؤال. انت تذكريني بأخت "ياتسيك". ذلك هو السبب الذي جعلني أقول لك كل تلك الأشياء." تتوقف هنيهة، ثم تضيف، " لا ينبغي ان تبكي. الآن هناك فتيات مثلك بإمكانهن الدفاع عن الوطن اذا ما احتاجن. لم أتزوج أبداً، لم أرد ان أجعل أحداً ما تعيشا طيلة

حياته. لكن كل طفل في هذا البلد هو طفلي وأشعر بسعادة عندما أراكم..."

تخرج مني زفرة عميقة. علي النزول من الحافلة خلال دقائق، لدي مهمة ينبغي إنجازها. هناك دم جديد يتدفق في أوردتي، كأني سأقاتل من أجل هذه العجوز، ذات العينين الودودتين والتي ترتجف يدها وهي تمسك بذراعي.

مهمة سرية جداً ولم شمل في الجو

قادني عريف في الفيلق الجوي الى الخيمة.
"ستامين هنا"، قال لي. "سوف تبلغين ببعض التفاصيل يوم غد."

هناك ستة أسرة داخل الخيمة، ثلاثة منها تبدو مشغولة يشير العريف الى أماكن الحمام والمقصف، ويتمنى لي ليلة سعيدة.
لم أعد أستغرب من الرقة في بعض المحادثات التي يمكن ان تجري في الجيش. لكن من الطريف ان أنام في قاعدة مختلفة. لا أعرف أحداً ولست مكلفة بأية واجبات هنا. أبدو كسائحة.
في المقصف لا أكرث بالحديث الى أي أحد. ما الذي يمكنني ان اخبرهم عن مهمتي هنا؟ في نفس الوقت أثني على براعة الطاهي، يبدو انه يريد ان تكون معاناة الجنود الذين يطعمهم أقل من تلك التي يريدونها الطاهي في قاعدتنا.

كنت على وشك الإنتهاء من كيكة الفاكهة، أفكر بالغد، حين توقفت فجأة عن التنفس. أحد ما يضع كلتا يديه على عيني يبدو ان هناك من يمزح في قواعد الفيلق الجوي أيضاً. كرد فعل شكلي أقاوم، ثم أنهار بينما أسمع صوتاً مألوفاً يهمس. "هل فرت جندياً الإستخبارات من الخدمة وطلبت اللجوء عندنا؟"
"اينات" صديقتي من الدورة الأولى، أكثر الصديقات جنوناً اللواتي قابلتهن.

"لكن مالذي تفعلينه هنا؟" أسألها باستغراب.
تبرطم قليلاً.
"علي ان اسألك هذا السؤال، الست في قاعدتي؟"
"أسمك ليس مكتوباً عليها" أرد عليها. "مالم يدعوك الان أم.كي 1086."

تنتهد وترنوا الى السماء.
"حسناً، لا تعبثي معي، أعطيني جواباً والا سأضعك في واجب المراحيض منذ الآن. لا بد ان تعرفي ان لدى بعض السلطة هنا."
أقف باستعداد واؤدي لها التحية.
"تحت أمرك، أيتها الرقيببة."

تضع يديها الأثنتين حول عنقي وتتظاهر بأنها تخنقتي. أوماً نحو إشارة الخدمة السرية التي على كتفي وأهمس، "ليس بوسعي ان أنبس ببنت شفة سري للغاية."

"بالطبع"، تقول بإستفهام بينما تطلق أصابعها، "انت هنا من أجل الغد، يا عزيزتي نحن في نفس القارب، او دعيني أقول في نفس الطائرة."

تعبيرات مرتبكة مني.

"هل نسيت اني أرسلت الي وحدات الرادار. رادار! هل نسيت العلاقة مع الطائرات، أم تريدني أن أرسم لك صورة؟" أخذها من ذراعيها وأهزها.

"حسناً، دعينا نحتظن أهدانا الأخرى وان نحتفل بلم شملنا، أم تريدان ان نقضي الليل نسخر من بعضنا البعض مثل جنديتين في حافلة في طريقهما الى الدورة الاولى."

تأخذني الى غرفتها، تضربني على ظهري، تأتي ببعض البسكت وعصير البرتقال من الدولاب، أشعر وكأنه حفل شاي. تضطجع على سريرها.

"حسناً."

"أنت أولاً"، أقول لها، احتراماً لسيدة الدار.

"لا، انت اولاً. ماذا عن قلبك المفطور؟"

"أصلحته."

"ماذا؟"

"نعم، تقابلنا بالكاد مرة واحدة، ثم هجرني بكل صراحة في المرة الثانية."

"انت مجنونة، لا يجب ان تعودى للصديق السابق بأية حال، أبدأً أبدأً، أبدأً. اذا لم تنجحي في المرة الأولى فما الذي يجعلك تظنين أنك ستنجحين في المرة الثانية؟"

أظن ان كلامها منطقي جداً. وفي الحقيقة لم يكن الحديث عن "جين ديفد" مؤلماً.

تسألني أسئلة أخرى، أسئلة من نوع إستجابات الأصدقاء.

"كيف هي مهمة التنصت؟"

"انه أمر روتيني، لكن هناك الكثير من المفاجئات أيضاً، مثل اليوم."

وصديقاتك في بئر سبع؟"

"نرى بعضنا أقل من السابق، بطبيعة الحال.أظن بان كل واحدة منا لاتزال معجبة بالأخرى، أو ربما نحن مغرمون بما كان يجمعنا في الماضي.كل واحدة منا الثلاث تسير في طريق مختلف تماماً.لم نعد نحلم نفس الأحلام."

"والآخرون في وحدتك؟"

"متغطرسون، وطنيون، رافضون للخدمة العسكرية، ولكن ليسوا سيئين على أي حال.الضابطة المسئولة، بنت رائعة." أخبرها عن "غالي" أيضاً وكذلك عن تل أبيب والقدس.ومن ثم يأتي دوري لكي أمطرها بالأسئلة.

تتظاهر باللامبالاة حين تقول، "حسناً، منذ المرة الأخيرة التي رأينا بعضنا فيها... متى كان ذلك؟ تذكرت، ذلك كان أمام حروف النار، انشدنا القسم.عموماً، تورطت منذ أيام ما قبل تلك.."
"تورطت؟"

"بمعنى الجنس.كنت في ثلاثة قواعد مختلفة:في دورة مشغلي الرادارات، تعيني في الجنوب ومن ثم نقلني الى الشمال.أعتقد اني تركت لدى شخص ما في كل قاعدة ذكرى طيبة..." تقول ذلك ببعض الرضا.

"لكنك لم، تقيمي علاقة، لم تقعي في الحب؟" أسألها بتعجب.

"لا، كنت مرتاحة حينها، ذلك كل شيء.سأقع في الحب حين أكون ناضجة وواثقة من ان ليس هناك المزيد الذي يمكنني ان أتعلمه عن الصبيان."

"والآن؟" أسألها بعد ان لطمتني ببرودها.

"لا أحد.لقد انتقلت الى هنا منذ فترة قصيرة، ولكن يطول الوقت.."، تقول بينما تغمز بعينها. وتضيف. "تعرفين كنت أفكر بك دائماً."

"وانا أيضاً.وبما انني وجدتك في طريقي ثانية فأني أقسم لن أدعك تفرين مني ثانية حتى نهاية عمرك، أو عمري." ثم أضيف بشيء من الجدية، "مالذي تعرفينه عن يوم غد؟"

"ليس الكثير، ربما ليس أكثر مما تعرفينه انت. ستكون هناك حركة بالإتجاه الشرقي. شيء حول الأردن، سوريا والعراق. تعرفين ان هناك الكثير يدور بشأن العراق."

"نعم، التوجيهات التي لدينا ان نكون اكثر حذراً، خاصة حين الإنصات الى الطيارين الذين يتكلمون العربية-العراقيون، على عكس الأردنيين، لا يستخدمون الأنكليزية."

"غداً، سيكون هناك في الطائرة جنود من خدمات التجسس الجوي الثالث، المنصتون، مشغلو الرادار والمصورون. سيكون هناك العديد من الضباط المهمين الذي لن يهتموا حتى بالنظر اليك. لديهم تلك الطريقة بالتركيز الشديد، شيء مثير للإعجاب."

لبرهة نستغرق بالأحلام جنباً لجنب. فجأة تنهض فزعة.

"انها العاشرة، دعينا نرتب سريرك، علي النهوض باكراً. انت هنا في أجازة، اذ ليس لديك الكثير لتعمله غير ان تحضري إجازاً عند العاشرة وأخر في الظهر. لكن انا لذي الكثير من المهمات."

أودي لها التحية مرة أخرى. ننفجر بالضحك، كلانا سعيدتان باننا التقينا مجدداً.

في العاشرة كان هناك نحو ثلاثون منا مجتمعين في قاعة دراسية كبيرة. يرسم عقيد شيئاً أشبه بالحوت على السبورة، انها الطائرة التي سنستقلها. يري كل واحد منا المكان المخصص له، كما يوشر الى المحطات التي سنرسل اليها المعلومات. كما يعطينا حوالي عشرين اسماً مشفراً لم نسمع بها من قبل، علينا ان نطلق الإنذار حالما نسمع بأي منها (ومن المفترض ان نهرب أيضاً).

أشعر بانتشاء. ساكون حقاً في قلب عملية، و"اينات" الى جانبي. لا يمكنني ان أجلس لكي أقرأ أو أكتب. أتجول في القاعدة، أغني وأعد الساعات. الإقلاع سيكون عند الساعة العاشرة مساءً.

في الرابعة يكون موعدنا مع الإجاز الثاني والذي كان محبباً للآمال. يقول لنا العقيد ان العملية تأجلت، التنبؤات الجوية سيئة. لكن السماء فوقنا زرقاء. أعزي نفسي بانني سأقضي يوماً آخر مع "اينات".

في اليوم التالي وعند الساعة الرابعة يؤكدون ان العملية ستبدأ كما كان مقرراً لدينا متسع من الوقت لكي نهيئ أنفسنا. تأخذني "اينات" الى غرفتها وتفرغ دولا ب ملابسها على السرير. "هل ستأخذين حماماً الآن؟" أسألها، مستغربة ان كان الوقت مناسباً لذلك.

"هل سبق وان ركبت طائرة استطلاع؟" لا، اذن لا يمكنك مقارنتها برحلة بطائرة بوينغ من باريس الى تل أبيب. ليس هناك مقاعد مريحة، لا مضيفات يأتونك بالحلوى، ليس هناك سجاد فوق الأرضية، والطائرة تكاد تكون خالية. "اذن؟"

"اذن، انها شديدة البرودة هناك، ستتجمدين حتى ان أسنانك لن تتوقف عن الاصطكاك في كل عملية ذهبت اليها كنت أضع طبقة اضافية من الملابس، ومع ذلك كنت أموت من البرد. "كم طبقة ستلبسين؟" "أربعة."

لا يمكنني الا ان انظر باعجاب الى تلك الخبرة الواسعة التي تتمتع بها. ثم أرتعب.

لكني لم أجلب شيئاً لي عدا الانوراك! لم يخبرني أحد بذلك. تشير الى كومة من القمصان والبلوزات. "ماذا عن كل هذا؟، هل تعتقدن انها من أجل الطباخ؟"

بينما نمضي باتجاه الطائرة نبدوا مثل بيض عيد الفصح باللون الخاكي. ارتديت بنطلون داخلي وثلاثة أزواج من الجوارب، قميص نصف كم واثنان بكم كامل، بلوزتان، بزتي العسكرية والانوراك. "أبدو كبطل مسلسل "جاسوس طائر فوق السحاب"، أهمس لـ "اينات"، محتجة.

"نعم، ولكن مثل بطل فلم "الجاسوس القادم من البرد"، أنت على أفضل ما يرام"، ترد بحبور. تمدني بقطعتين من الشكولاتة.

"ستحتاجينها عندما تشعرين بالجوع. عادة ما يعدون لنا شيئاً لنأكله، لكنه شحيح. من الواضح ان مغامرتنا بحياتنا لا تعني ان من حقنا الحصول على طعام أفضل."

"انت تتصرفين كأى كجدة، اينات هايموفيتش."
في الطائرة يسلموننا، رزمة كبيرة، سترة نجاة، ومظلة بعد الظهر علمونا كيفية عمل المظلة. رفعت يدي لكي أقول اني لم أقفز بالمظلة من قبل.

أحدهم يرد بمزاح. "لا يهم، فان سقطت في أرض العدو فمن الأفضل الا تفتح مظلتك."

الجميع ينفجر بالضحك لكني أرتجف من الرعب.
وانا أرتجف الآن مجدداً في الطائرة التي حلقت لتوها، من الخوف والإثارة ونعم من البرد.

هناك ثلاثون وجهاً صارماً يركزن في واجباتهم. أضع سماعاتي وأدون الملاحظات، نفس الملاحظات التي أدونها في القاعدة، لكنها على هذا الإرتفاع تبدو شيئاً مختلفاً. هل نحن ببساطة نحاول ان نحمي أنفسنا من عملاء يحاولون اختراقنا؟ هل هذه هي مهمة تجسس محمولة جواً؟ لدي شعور بان هناك طائرات تنطلق في نفس الوقت مثلنا.

نبقى في الجو لساعتين دون أية حادثة. عندما نهبط يقول العقيد المسؤول عن العملية "لقد قمتم بعمل جيد. شكراً لكم جميعاً."
في اليوم التالي هناك مقالات عن آلاف الأشياء ولكن ليس عن تلك العملية. أعود الى قاعدتي بتلك النظرة الغامضة في عيني.

حررة

19 سبتمبر، السنة التالية، منتصف النهار.
دعونا نرى من التي ستجعل الأخرى تضحك أكثر. انا و"اينات"
جنباً الى جنب في ذات القاعدة التي بدأت بها حياتنا العسكرية قبل
سنتين.

نحن الآن في العشرين من عمرنا، وها نحن نستعد لكي ننطلق
بالإتجاه الآخر.
أمس أقاموا لي احتفالاً صغيراً ولكن كان مختصراً بسبب
الحرب بالعراق.

"ايتها البنات، ربما سنلتقي مرة اخرى بأقرب مما هو
متوقع"، قالت "دفوراً". "إذا ما ساءت الأمور أكثر، فاننا سنكون
بحاجة الى تعزيزات، فلذلك سيتم إستدعائكن كأحتياط". انا لا أريد
ان أتحدث عن ذلك اليوم. كنا انا و"اينات" قد قررنا ان نحتفل
بالمناسبة طوال أربعة وعشرين ساعة في تل أبيب. سنذهب أولاً
للسباحة، وهي بإمكانها ان تلتقي ب"غالي".

نسلم بزاتنا العسكرية، الانوراك، اكياس الجوت، والأحذية التي
لم نلبسها منذ ايام الدروس الأولية. يسمح لنا بالإحتفاظ بقرص
التعريف وبأوراقنا الثبوتية كتذكار.

يمنحوننا شيكاً بمائتي شيكل لكل واحدة، هدية مع الحرية.
ننظر الى المستجدين من أعلى الى أسفل بتعالٍ وهن ينهين
مهماتهن الوضيعة تلك.

أولئك اللواتي ضحكنا علينا قبل عامين لم يعدن هنا، غير ان
ذلك ليس مهماً، فنحن أنتقمنا لأنفسنا.

بينما نغادر القاعدة، نطلق زفرة عميقة، غير مصداقات. نجتاز
حافلة مليئة بالبنات في الثامنة عشرة من أعمارهن بملابس ملونة
وبتعبيرات قلقة. ها نحن نجتاز دائرة كاملة.

في الشاطئ نخلع ملابسنا بأسرع ما يمكن. أقول ل"اينات" اننا
نمتلك الآن كل العالم بين أيدينا، لسنا فقط في إجازة.

"هل تعلمين؟"، أقول لها، "لقد كانت هاتان السنتان لي بمثابة
عالم لا نهاية له".
تجري نحو البحر" وهي تصرخ: "اذن فقد وضعنا ذلك العالم
اللانهايي وراءنا الآن".
